الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مناهج المفسرين

إعداد
لجنة المناهج العلمية بالجامعة

الهدف العام

من تهذيب التفسير والمفسرون

الحمد لله رب العالمين ﴿ الحمدُ لله الذى أَنْزَلَ على عبْدِه الكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً ﴾ والصلاة والسلام على البشير النذير ، الداعى إلى ربه بإذنه والسراج المنير وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ... فلما كان القرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة وهو المعجزة الباقية ، وكانت الفائدة منه متوقفة على فهمه فهماً صحيحاً ، كانت دراسة التفسير ومناهج المفسرين من الأهمية بمكان لتحقيق هذا الفهم الصحيح وتحصيل الفائدة المرجوة .

ولما كان كتاب (التفسير والمفسرون) لفضيلة الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله من أجمع ما كتب فى هذا المجال فقد اعتمدت الجامعة تقريب الكتاب وتهذيبه ليسهل فى مأخذه .

ومن خلال هذا التهذيب سنقف إن شاء الله تعالى على ما يلى :

* نشأة التفسير وتطوره .
* وألوانه ومذاهبه .
* عرض لمدارس التفسير وأشهر المفسرين .
* تحليل لأهم كتب التفسير من عصر النبى ﷺ إلى عصرنا الحاضر ..

مناهج المفسرين
الوحدة السابعة
الوحدة السادسة
الوحدة الخامسة
الوحدة الرابعة
الوحدة الثالثة
الوحدة الثانية
الوحدة الاولى

الوحدة الأولى

التفسير فى عصر النبي ﷺ والصحابة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملمًا بما يلي :

[١] تعريف التفسير في اللغة وفي الاصطلاح .

[٢] تعريف التأويل في اللغة وفي الاصطلاح .

[٣] معرفة الفرق بين التفسير والتأويل .

[٤] معرفة كيف كان النبي ﷺ والصحابة يفهمون القرآن الكريم .

[٥] مصادر التفسير في هذا العصر وهي :

أ- القرآن الكريم .

ب- النبي ﷺ .

جـ- الاجتهاد وقوة الاستنباط .

د- أهل الكتاب .

ومعرفة أهمية كل مصدر .

الرسم التوضيحي

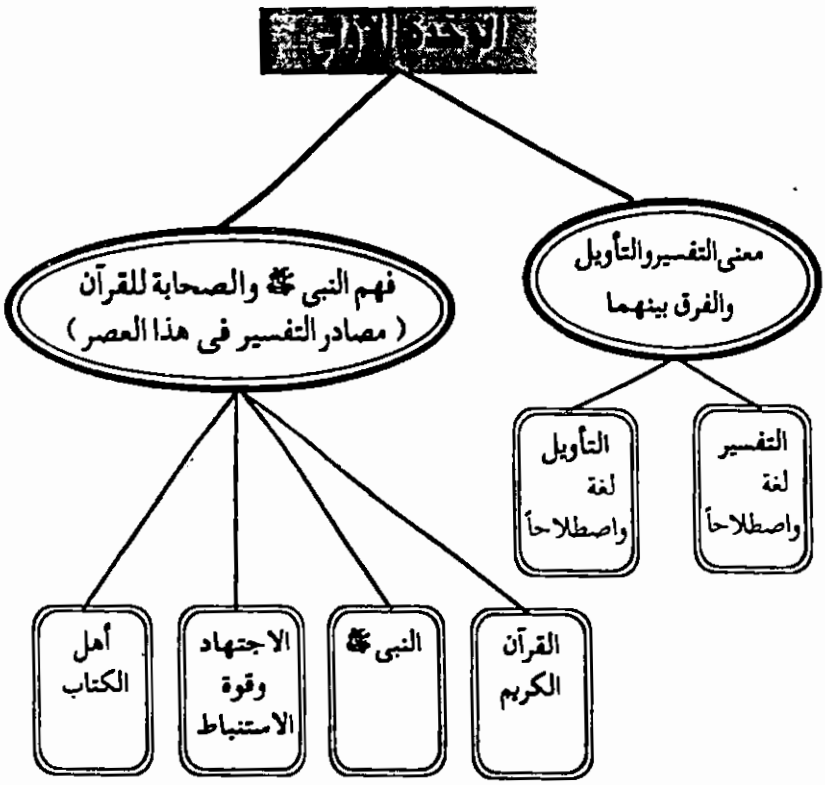

معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

التفسير فى اللغة :

التفسير هو الإيضاح والتبيين ومنه قوله فى [سورة الفرقان : ٣٣] : ﴿ **ولا يأتونك بمثَل إلا جئناك بالحق وأحسنَ تفسيراً** ﴾ أى بياناً وتفصيلاً ، وهو مأخوذ من الفَسْر وهو الإبانة والكشف . ويستعمل لغةً فى الكشف الحسى ، وفى الكشف عن المعانى المعقولة ، واستعماله فى الثانى أكثر من استعماله فى الأول .

التفسير فى الاصطلاح :

يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التى يتكلف لها حد ، ويكتفى فى إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله ، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها .

بينما إذا تتبعنا أقوال العلماء الذين تكلفوا الحد للتفسير وجدناهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة ، يمكن إرجاعها كلها إلى أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد .

والتأويل فى اللغة :

التأويل مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع ، قال فى القاموس : (آل إليه أَوْلاً ومآلاً : رجع ، وعنه ارتد .. ثم قال : وأَوَّلَ الكلام تأويلاً وتأوله : دبره وقدره وفسره ، والتأويل عبارة الرؤيا) .

وعلى هذا فيكون التأويل مأخوذاً من الأوْل بمعنى الرجوع ، باعتبار أحد معانيه اللغوية ، فكأنَّ المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعانى.

وقيل : التأويل مأخوذ من الإيالة وهى السياسة ، فكأن المؤول يسوس الكلام

ويضعه فى موضعه .

التأويل فى الاصطلاح :

١ – التأويل عند السلف : وله معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين .

ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبراً ، كان تأويله نفس الشئ المخبر به . فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا هو نفس طلوعها ، وهذا فى نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التى نزل بها وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء فى القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثانى .

٢ – التأويل عند المتأخرين من المتفقهة ، والمتكلمة ، والمحدِّثة ، والمتصوفة : والتأويل عند هؤلاء جميعاً : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف.

والمتأول على هذا النحو مطالب بأمرين :

الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذى حمل عليه وادعى أنه المراد.

الأمر الثانى : أن يبين الدليل الذى أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح ، وإلا كان تأويلاً فاسداً ، وتلاعباً بالنصوص .

وهذا أيضا هو التأويل الذى يتنازعون فيه فى مسائل الصفات ، فمنهم من ذم التأويل ومنعه ، ومنهم من مدحه وأوجبه .

الفرق بين التفسير والتأويل :

اختلف العلماء فى بيان الفرق بين التفسير والتأويل اختلافا نتجت عنه أقوال كثيرة ، والذى تميل إليه النفس من هذه الأقوال : هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية ، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان ، والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ ، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحى وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع ، وخالطوا رسول الله ﷺ ، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معانى القرآن الكريم .

وأما التأويل فملحوظٌ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل . والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها فى لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعانى من كل ذلك . قال الزركشى : « وكان السبب فى اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ، ليحيل على الاعتماد فى المنقول ، وعلى النظر فى المستنبط » .

فهم النبي ﷺ والصحابة للقرآن

تمهيـــد :

نزل القرآن الكريم على نبى أمى ، وقوم أميين ، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم.

وكان كلامهم مشتملاً على الحقيقة والمجاز ، والتصريح والكناية ، والإيجاز والإطناب .

وجرياً على سنة الله تعالى فى إرسال الرسل ، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم فى كلامهم : ﴿ **وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ .. فألفاظ القرآن عربية ، إلا ألفاظاً قليلة ، اختلفت فيها أنظار العلماء ، فمن قائلٍ : إنها عربت فصارت عربيةً بالاستعمال ، ومن قائلٍ إنها عربيةٌ بحتةٌ ، غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات ، وعلى كلا القولين فهذه الألفاظ لا تخرج القرآن عن كونه عربياً .

وكان طبيعياً أن يفهم النبى ﷺ القرآن جملةً وتفصيلاً ، وقد تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان : ﴿ **إنَّ علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إنَّ علينا بيانه** ﴾ ، كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبى ﷺ القرآن فى جملته ، أى بالنسبة لظاهره وأحكامه ، أما فهمه تفصيلاً ، ومعرفة دقائق باطنه ، بحيث لا يغيب عنهم شاردةٌ ولا واردةٌ ، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن ، بل لابد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبى ﷺ فيما يشكل عليهم فهمه .

ولا أظن الحق مع ابن خلدون حيث يقول فى مقدمته : (إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه) أ.هـ . ودليلنا ما نشاهده اليوم من الكتب المؤلفة على اختلاف لغاتها ،

وعجز كثير من أبناء هذه اللغات عن فهم كثير مما جاء فيها بلغتهم ، إذ الفهم لا يتوقف على معرفة اللغة وحدها ، بل لابد لمن يفتش عن المعانى ويبحث عنها من أن تكون له موهبة عقلية خاصة .

تفاوت الصحابة فى فهم القرآن :

ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا فى درجة واحدة بالنسبة لفهم معانى القرآن ، بل تفاوتت مراتبهم ، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم ، وهذا يرجع إلى تفاوتهم فى القوة العقلية ، وتفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروفٍ وملابساتٍ ، وأكثر من هذا ، أنهم كانوا لا يتساوون فى معرفة المعانى التى وضعت لها المفردات .

ومما يشهد لهذا الذى ذهبنا إليه ، ما أخرجه أبو عبيدة فى الفضائل عن أنسٍ : (أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : ﴿ **وفاكهةً وأبًا** ﴾ .. فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر) ، وما روى عن أن عمر كان على المنبر فقرأ : ﴿ **أو يأخُذَهم على تخوفٍ** ﴾ .. ثم سأل عن معنى التخوف ، فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا التنقص .

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباسٍ قال : (كنت لا أدرى ما ﴿ **فاطر السموات** ﴾ حتى أتانى أعرابيان يتخاصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، والآخر يقول : أنا ابتدأتها) .

وروى البخارى أن عدى بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ .. وبلغ من أمره أن أخذ عقالاً أبيض وعقالاً أسود ، فلما كان بعض الليل ، نظر إليهما فلم يستبينا ، فلما أصبح أخبر الرسول ﷺ بشأنه ، فعرَّض بقلَّة فهمه ، وأفهمه المراد .

قال مسروق : (جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ - يعنى الغدير - فالإخاذ يروى الرجل ، والإخاذ يروى الرجلين ، والإخاذ يروى العشرة ، والإخاذ يروى المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم) .

مصادر التفسير في هذا العصر :

كان الصحابة فى هذا العصر يعتمدون فى تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر :

الأول : القرآن الكريم .

الثانى : النبى ﷺ .

الثالث : الاجتهاد وقوة الاستنباط .

الرابع : أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

ونوضح كل مصدر من هذه المصادر الأربعة فنقول :

أولاً : القرآن الكريم :

الناظر فى القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب ، وعلى الإجمال والتبيين ، وعلى الإطلاق والتقييد ، وعلى العموم والخصوص وما أوجز فى مكان قد يبسط فى مكانٍ آخر ، وما أجمل فى موضع قد يبين فى موضع آخر ، وما جاء مطلقاً فى ناحيةٍ قد يلحقه التقييد فى ناحيةٍ أخرى وما كان عاماً فى آيةٍ قد يدخله التخصيص فى آيةٍ أخرى .

لهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر فى القرآن أولاً ، فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض ، ليستعين بما

جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً ، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً ، وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله بما جاء عن الله ، وهذه مرحلة لا يجوز لأحدٍ مهما كان أن يعرض عنها ، ويتخطاها إلى مرحلةٍ أخرى ، لأن صاحب الكلام أدرى بمعانى كلامه، وأعرف به من غيره .

وعلى هذا فمن تفسير القرآن بالقرآن : أن يشرح ما جاء موجزاً فى القرآن بما جاء فى موضع آخر مسهباً ، وذلك كقصة آدم وإبليس ، جاءت مختصرةً فى بعض المواضع ، وجاءت مسهبةً مطولةً فى موضع آخر .

ومن تفسير القرآن بالقرآن : أن يحمل المجمل على المبين ليفسر به ، وأمثلة ذلك كثيرةٌ فى القرآن ، فمن ذلك تفسير قوله تعالى فى سورة غافر الآية (٢٠) : ﴿ **وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم** ﴾ .. بأنه العذاب الأدنى المعجل فى الدنيا ، لقوله تعالى فى آخر هذه السورة آية (٧٧) : ﴿ **فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون** ﴾ . ومنه تفسير قوله تعالى فى سورة النساء آية (٢٧) : ﴿ **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً** ﴾ .. بأهل الكتاب لقوله تعالى فى السورة نفسها آية (٤٤) : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل** ﴾ .

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص فمن الأول : آية الوضوء والتيمم ، فإن الأيدى مقيدة فى الوضوء بالغاية فى قوله تعالى فى سورة المائدة آية (٦) ﴿ **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ .. ومطلقة فى التيمم فى قوله تعالى فى الآية نفسها : ﴿ **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ .. فقيدت فى التيمم بالمرافق أيضا .

ومن الثانى : نفى الخُلَّة والشفاعة على جهة العموم فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ ، والكافرون هم الظالمون** ﴾ .. وقد استثنى الله المتقين من نفى الخُلَّة فى قوله : ﴿**الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلا المتقين** ﴾ ..واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله : ﴿ **وكم من مَلَكٍ فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ .

ومن تفسير القرآن بالقرآن : الجمع بين ما يتوهم أنه مختلفٌ ، كخلق آدم من ترابٍ فى بعض الآيات ، ومن طينٍ فى غيرها ، ومن حمأٍ مسنونٍ ، ومن صلصالٍ ، فإن هذا ذكرٌ للأطوار التى مر بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه .

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القراءات على غيرها ، فبعض القراءات تختلف مع غيرها فى اللفظ وتتفق فى المعنى ، فقراءة ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ **أو يكون لك بيت من ذهب** ﴾ تفسر لفظ الزخرف فى القراءة المشهورة : ﴿ **أو يكون لك بيتٌ من زخرفٍ** ﴾ .. وبعض القراءات تختلف مع غيرها فى اللفظ والمعنى ، وإحدى القراءتين تُعيِّن المراد من القراءة الأخرى ، فمثلا قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ ... وفسرتها القراءة الأخرى ﴿ **فامضوا إلى ذكر الله** ﴾ ؛ لأن السعى عبارة عن المشى السريع ، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب .

وبعض القراءات تختلف بالزيادة والنقصان ، وتكون الزيادة فى إحدى القراءات مفسرة للمجمل فى القراءة التى لا زيادة فيها .

وهنا تختلف أنظار العلماء فى مثل هذه القراءات فقال بعض المتأخرين : إنها من أوجه القرآن ، وقال غيرهم : إنها ليست قرآناً ، بل هى من قبيل التفسير ، وهذا

هو الصواب ، لأن الصحابة كانوا يفسّرون القرآن ويرون جواز إثبات التفسير بجانب القرآن فظنها بعض الناس – لتطاول الزمن عليها – من أوجه القراءات التى صحت عن رسول الله ﷺ ورواها عنه أصحابه .

ومما يؤيد أن القراءات مرجعٌ مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن ، ما روى عن مجاهد أنه قال : (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثيرٍ مما سألته عنه) .

ومن أجل هذا نستطيع أن نوافق الأستاذ جولدزيهر على ما قاله فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) من أن (المرحلة الأولى لتفسير القرآن والنواة التى بدأ بها ، تتركز فى القرآن نفسه وفى نصوصه نفسها ، وبعبارة أوضح : فى قراءاته ، ففى هذه الأشكال المختلفة ، نستطيع أن نرى أول محاولة للتفسير) ، ولكن لا نستطيع أن نوافقه على ما يرمى إليه من إلحادٍ فى آيات الله وما يهدف إليه من اتهام المسلمين بالتساهل فى قبول القراءات .

كما لا نستطيع أن نوافقه على ما نسبه إلى الصحابة من أنهم هم الذين أحدثوا هذه القراءات جميعا ، ونفى كونها من كلام الله .

فهذا الكاتب دفعه إلى رأيه الذى رآه ولم يقطع به كما هى عادته ، جهله بأساليب العرب وأفانينها فى البلاغة ، ولا يريد إلا أن يوقع فى أذهان الناس ، أن القرآن كان عرضة للتبديل والتحريف من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقد ساق الكاتب أمثلةً كثيرةً فى كتابه ، كَنها من هذا القبيل ولهذا الغرض بدون أن يفرق بين قراءةٍ متواترةٍ وقراءةٍ شاذةٍ .

ثانيا: النبي ﷺ :

المصدر الثانى الذى كان يرجع إليه الصحابة فى تفسيرهم لكتاب الله تعالى هو رسول الله ﷺ ، فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آيةٌ من كتاب الله ، رجع إلى رسول الله ﷺ فى تفسيرها ، فيبين له ما خفى عليه ، لأن وظيفته البيان ، كما أخبر الله عنه بذلك فى كتابه حيث قال : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ .. وكما نبه على ذلك رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده إلى الرسول ﷺ أنه قال : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه . ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » ... الحديث .

والذى يرجع إلى كتب السنة يجد أنها قد أفردت للتفسير باباً من الأبواب التى اشتملت عليها، ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ ، فمن ذلك :

ما أخرجه الترمذى وغيرهما عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المغضوب عليهم هم اليهود ، وإن الضالين هم النصارى » .

وما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

وما رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ** ﴾ .. شقّ ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله .. وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « إنه ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم ؟ إنما هو الشرك » .

وما أخرجه مسلمٌ وغيره عن عقبةَ بن عامرٍ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ** ﴾ .. ألا وإن القوة الرمى » .

•عير هد، كثير مما صح عن رسول الله ﷺ

الوضع على رسول الله ﷺ فى التفسير :

عير أن القُصّاص والوُضّاع زادوا فى هدا النوع من التفسير كثيراً . وسبوا إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله ، ولهذا رد العلماء كثيراً مما ورد من التفسير منسوباً إلى رسول الله ﷺ ، وقد نُقل عن الإمام أحمد أنه قال : (ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، المغازى) ومراده من قوله هذا - كما نقل عن المحققين من أتباعه - أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة

المقدار الذى بينه رسول الله ﷺ من القرآن لأصحابه :

اختلف العلماء فى المقدار الذى بينه النبى ﷺ من القرآن لأصحابه : فمنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ بين لأصحابه كل معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه ، وعلى رأس هؤلاء ابن تيمية .

ومنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ لم يبين لأصحابه من معانى القرآن إلا القليل ، وعلى رأس هؤلاء : الخوبى والسيوطى ، وقد استدل كلُ فريقٍ على ما ذهب إليه بأدلة نوردها ليتضح لنا الحق ويظهر الصواب

أدلة من قال بأن النبى ﷺ بين كل معانى القرآن :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾

والبيان فى الآية يتناول معانى القرآن ، كما يتناول بيان ألفاظه

ثانياً : ما روى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا

تعلموا من النبى ﷺ عشر آياتٍ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) ، ولهذا كانوا يبقون مدةً طويلةً فى حفظ السورة .

وهذا يدل على أن الصحابة تعلموا من رسول الله ﷺ معانى القرآن كلها ، كما تعلموا ألفاظه .

ثالثًا : قالوا إن العادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتاباً فى فن من العلم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكتاب الله الذى فيه عصمتهم ، وبه نجاتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟

رابعًا : ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة عن عمر رضى الله عنه أنه قال : من آخر ما نزل آية الربا ، وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها ، وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل ، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية ، لسرعة موته بعد نزولها ، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه .

أدلة من قال بأن النبى ﷺ لم يبين لأصحابه إلا القليل من معانى القرآن :

استدل أصحاب هذا الرأى بما يأتى :

أولاً : ما أخرجه البزار عن عائشة قالت : ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آياً بعددٍ ، علمه إياهنَّ جبريل .

ثانيًا : قالوا : إن بيان النبى ﷺ لكل معانى القرآن متعذرٌ ولا يمكن ذلك إلا فى آيٍ قلائل ، والعلم بالمراد يستنبط بأماراتٍ ودلائل ، ولم يأمر الله نبيه بالتنصيص على المراد فى جميع آياته لأجل أن يتفكر عباده فى كتابه .

ثالثًا : قالوا : لو كان رسول الله ﷺ بين لأصحابه كل معانى القران لما كان

لتخصيصه ابن عباس بالدعـاء له بقوله : « اللهم فقّهه فى الدين وعلمه التأويل » فائدة ؛ لأنه يلزم من بيان رسول الله ﷺ لأصحابه كل معانى القرآن استواؤهم فى معرفة تأويله ، فكيف يخصص ابن عباس بهذا الدعاء ؟

مناقشة أدلة الفريق الأول :

فاستدلال ابن تيمية ومن معه على رأيهم بقوله تعالى : ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ استدلال غير صحيح ، لأن الرسول - بمقتضى كونه مأموراً بالبيان - كان يبين لهم ما أشكل عليهم فهمه من القرآن ، لا كل معانيه ما أشكل منها وما لم يشكل .

وأما استدلالهم بما روى عن عثمان وابن مسعود وغيرهما من أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات من القرآن لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيـها ، فهو استدلال لا ينتج المدّعى ، لأن غاية ما يفيده ، أنهم كانوا لا يجاوزون ما تعلموه من القرآن حتى يفهموا المراد منه ، وهو أعم من أن يفهموه من النبى ﷺ أو من غيره من إخوانهم الصحابة ، أو من تلقاء أنفسهم ، حسبما يفتح الله به عليهم من النظر والاجتهاد .

وأما الدليل الثالث ، فكل ما يدل عليه : هو أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن ويعرفون معانيه ، شأن أى كتابٍ يقرؤه قومٌ ، ولكن لا يلزم منه أن يكونوا قد رجعوا إلى النبى ﷺ فى كل لفظٍ منه .

وأما الدليل الرابع ، فلا يدل أيضاً ، لأن وفاة النبى عليه الصلاة والسلام قبل أن يبين لهم آية الربا لا تدل على أنه كان يبين لهم كل معانى القرآن ، فلعل هذه الآية كانت مما أشكل على الصحابة ، فكان لابد من الرجوع فيها إلى النبى عليه السلام ، شأن غيرها من مشكلات القرآن .

مناقشة أدلة الفريق الثانى :

وأما استدلال أصحاب الرأى الثانى بحديث عائشة ، فهو استدلال باطل ؛ لأن الحديث منكر غريب .

وعلى فرض صحة الحديث فهو محمولٌ - كما قال أبو حيان - على مغيبات القرآن ، وتفسيره لمجمله ، ونحوه مما لا سبيل إليه إلا بتوقيفٍ من الله .

وأما الدليل الثانى ، فلا يدل أيضا على ندرة ما جاء عن النبى ﷺ فى التفسير ؛ إذ أن دعوة إمكان التفسير لآياتٍ قلائل ، وتعذره بالنسبة للكل غير مسلَّمة ، وأما ما قيل من أنَّ النبى ﷺ لم يؤمرْ بالتنصيص على المراد فى جميع الآيات لأجل أن يتفكر الناس فى آيات القرآن فليس بشئ ، إذ أن النبى عليه الصلاة والسلام مأمورٌ بالبيان .

بمقتضى أمر الله فى الآية : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ .

وأما الدليل الثالث ، فلو سلمنا أنه يدل على أن النبى ﷺ لم يفسر كل معانى القرآن ، فلا نسلم أنه يدل على أنه فسر النادر منه كما هو المدعى .

اختيارنا فى المسألة :

والرأى الذى تميل إليه النفس - بعد أن اتضح لنا مغالاة كل فريق فى دعواه وعدم صلاحية الأدلة لإثبات المدعى - هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول : إن الرسول ﷺ بين الكثير من معانى القرآن لأصحابه ، كما تشهد بذلك كتب الصحاح ، ولم يبين كل معانى القرآن ، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد فى جهالته كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير ، قال : (التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسيرٌ لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله) .

وبدهى أن رسول الله ﷺ لم يفسر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم ، ولم يفسر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذى لا يعذر أحد بجهله ؛ لأنه لا يخفى على أحدٍ ، ولم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، وحقيقة الروح ، وغير ذلك من كل ما يجرى مجرى الغيوب التى لم يطلع الله عليها نبيه ، وإنما فسر لهم رسول الله ﷺ بعض المغيبات التى أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم ، وفسر لهم أيضاً مما يندرج تحت القسم الثالث ، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم كبيان المجمل ، وتخصيص العام ، وتوضيح المشكل ، وما إلى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراد به .

هذا .. وإن مما يؤيد أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يفسر كل معانى القرآن ، أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وقع بينهم الاختلاف فى تأويل بعض الآيات ، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف ، أو لارتفع بعد الوقوف على النص .

أوجه بيان السنة للكتاب :

وإذ قد اتضح لنا من الآية والحديث والآثار مقدار ارتباط السنة بالكتاب ، ارتباط المبيِّن بالمبيَّن فلنبين بعد ذلك أوجه هذا البيان فنقول :

الوجه الأول : بيان المجمل فى القرآن ، وتوضيح المشكل ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، **فمن الأول** : بيانه عليه الصلاة والسلام لمواقيت الصلوات الخمس ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، وبيانه لمقادير الزكاة وأوقاتها ، وأنواعها ، وبيانه لمنسك الحج ، ولذا قال : « خذوا عنى مناسككم » ، وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

ومن الثانى : تفسيره ﷺ للخيط الأبيض والخيط الأسود فى قوله تعالى :

﴿ **حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ بأنه بياض النهار وسواد الليل .

ومن الثالث : تخصيصه ﷺ الظلم فى قوله تعالى : : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ بالشرك ، فإن بعض الصحابة فهم أن الظلم مراد منه العموم ، حتى قال : (وأينا لم يظلم نفسه ؟ » فقال النبى ﷺ : « ليس بذلك ؛ إنما هو الشرك » .

ومن الرابع : تقييده اليد فى قوله تعالى : ﴿ **فاقطعوا أيديهما** ﴾ .. باليمين .

الوجه الثانى : بيان معنى لفظٍ أو متعلقه ، كبيان المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى ، وكبيان قوله تعالى : ﴿ **ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ** ﴾ بأنها مطهرة من الحيض والبُزاق والنُّخامة .

الوجه الثالث : بيان أحكامٍ زائدةٍ على ما جاء فى القرآن الكريم ، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، وصدقة الفطر ، ورجم الزانى المحصن ، وميراث الجدة ، والحكم بشاهدٍ ويمين ، وغير هذا كثيرٌ يوجد فى كتب الفروع .

الوجه الرابع : بيان النسخ : كأن يبين رسول الله ﷺ أن آية كذا نسخت بكذا ، أو أن حكم كذا نسخ بكذا ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « لا وصية لوارث » بيان منه أن آية الوصية للوالدين والأقربين منسوخ حكمها وإن بقيت تلاوتها .

الوجه الخامس : بيان التأكيد ، وذلك بأن تأتى السنة موافقةً لما جاء به الكتاب ويكون القصد من ذلك تأكيد الحكم وتقويته ، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يحل مال امرئ مسلمٍ إلا بطيب نفسٍ منه » فإنه يوافق قوله تعالى : ﴿ **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ .

ثالثاً : الإجتهاد وقوة الإستنباط في عصر الصحابة :

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، إذا لم يجدوا التفسير فى كتاب الله تعالى ، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا فى ذلك إلى اجتهاداتهم وإعمال رأيهم ، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظرٍ واجتهادٍ ، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون فى فهمه إلى إعمال النظر ، ضرورة أنهم من خُلّص العرب ، يعرفون كلام العرب ومناحيهم فى القول ، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك فى الشعر الجاهلى الذى هو ديوان العرب ، كما يقول عمر رضى الله عنه .

أدوات الاجتهاد فى التفسير عند الصحابة :

وكثيرٌ من الصحابة كان يفسر بعض آى القرآن بهذا الطريق ، أعنى طريق الرأى والاجتهاد ، مستعينا على ذلك بما يأتى :

أولاً : معرفة أوضاع اللغة وأسرارها .

ثانياً : معرفة عادات العرب .

ثالثاً : معرفة أحوال اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن .

رابعاً : قوة الفهم وسعة الإدراك .

فمعرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها ، تعين على فهم الآيات التى لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب ، ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثيرٍ من الآيات التى لها صلة بعاداتهم ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **إنما النسيء زيادة فى الكفر** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ .. لا يمكن فهم المراد منه إلا لمن عرف عادات العرب فى الجاهلية وقت نزول القرآن .

ومعرفة أحوال اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن تعين على فهم الآيات التى فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم .

. ومعرفة أسباب النزول ، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات تعين على فهم كثيرٍ من الآيات القرآنية ، ولهذا قال الواحدى : (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) .

وأما قوة الفهم وسعة الإدراك ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، ولقد كان ابن عباسٍ صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر من ذلك ، وهذا ببركة دعاء رسول الله ﷺ له بذلك حيث قال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » .

هذا ولا يخفى عليك ما سبق أن أشرنا إليه من تفاوت الصحابة فى فهم معانى القرآن .

رابعاً : أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

وذلك أن القرآن الكريم يتفق مع التوراة فى بعض المسائل ، وبالأخص فى قصص الأنبياء ، وما يتعلق بالأمم الغابرة ، وكذلك يشتمل القرآن على مواضع وردت فى الإنجيل كقصة ميلاد عيسى ابن مريم ، ومعجزاته عليه السلام .

غير أن القرآن الكريم اتخذ منهجاً يخالف منهج التوراة والإنجيل ، فلم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل ، ولم يستوف القصة من جميع نواحيها ، بل اقتصر من ذلك على موضع العبرة فقط .

ولما كانت العقول دائماً تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء ، جعل بعض الصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – يرجعون فى استيفاء هذه القصص التى لم يتعرض لها القرآن من جميع نواحيها إلى من دخل فى دينهم من أهل الكتاب ، كعبد الله بن

سلام ، وكعب الأحبار ، وغيرهم من علماء اليهود والنصارى .

وهذا بالضرورة كان بالنسبة إلى ما ليس عندهم فيه شئ عن رسول الله ﷺ ، لأنه لو ثبت شئ فى ذلك عن رسول الله ما كانوا يعدلون عنه إلى غيره مهما كان المأخوذ عنه .

أهمية هذا المصدر بالنسبة للمصادر السابقة :

غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب ، لم يكن له من الأهمية فى التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة ، وإنما كان مصدراً ضيقاً محدوداً ، وذلك أن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثيرٌ من التحريف والتبديل ، وكان طبيعياً أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم ، ويصونوا القرآن عن أن يخضع فى فهم معانيه لشئ مما جاء ذكره فى هذه الكتب التى لعبت فيها أيدى المحرفين ، فكانوا لا يأخذون عن أهل الكتاب إلا ما يتفق وعقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن .

الخلاصة

مما سبق يتبين لنا أن التفسير هو لغةً : الإيضاح والتبيين وأنه فى الاصطلاح هو العلم الذى يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

وأن التأويل مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع أو من الإيالة وهى السياسة ، أى سياسة الكلام ووضعه فى موضعه ، وأنه فى الاصطلاح ، إما بمعنى التفسير أو أنه هو نفس المراد بالكلام وهذا عند السلف ، أما الخلف فالتأويل فى مصطلحهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليلٍ يقترن به فلابد هنا من احتمال اللفظ للمعنى ومن دليل يوجب هذا الصرف وإلا كان التأويل فاسداً .

وعرفنا أن هناك فرقاً بين التفسير والتأويل خلاصته أن مجال التفسير هو الألفاظ المنقولة وأن مجال التأويل هو المعانى المعقولة .

هذا وقد كان طبيعياً أن يفهم النبى ﷺ القرآن جملةً وتفصيلاً ، وأن يفهمه الصحابة رضى الله عنهم فى جملته ، أى بالنسبة لظاهره وأحكامه أما تفصيلاً بحيث لا تغيب عنهم شاردةٌ ولا واردةٌ فغير مسلَّم لاختلاف القدرات عل الاستنباط ولما ورد من تفاوتهم فى فهم القران .

وقد كان الصحابة فى هذا العصر يعتمدون فى تفسيرهم للقرآن على القرآن نفسه ، فقد فَصَّل الموجز ، وبيَّن المجمل ، وحمل المطلق على المقيد ، وفسرت بعض قراءاته بعضاً ، وهذا فى كثيرٍ من المواضع ، واعتمد الصحابة أيضاً على النبى ﷺ فيما بيَّنه لهم ، والراجح أنه بَيَّن لهم كثيراً من المعانى ولم يبين لهم كل المعانى لأن منه ما تعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر أحد بجهالته كما أن منه ما استأثر الله بعلمه ، وقد بينت السنة الكتاب ببيان المجمل وبيان بعض الألفاظ أو

متعلقها ، كما بينت أحكاماً زائدةً استقلت بها ، أيضاً بيان النسخ فى القرآن . وقد كان الاجتهاد وقوة الاستنباط أحد الطرق التى سلكها الصحابة فى التفسير وكانت لهم أدوات فى ذلك من معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ومعرفة عادات العرب ، وأيضاً معرفة أحوال اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن ، هذا إلى جانب ما اختصهم الله به من قوة الفهم وسعة الإدراك . ومع هذا كله فقد تفاوت الصحابة رضى الله عنهم فى فهم معانى القرآن حتى احتاج بعضهم لبعضٍ وسأل بعضهم بعضاً ، وأخيراً فإن بعض الصحابة رجعوا فى استيفاء تفاصيل القصص القرانى إلى ما وجد عند أهل الكتاب ، وإن كان هذا المصدر ليس له أهميةٌ كبيرةٌ فى التفسير لما ورد فى القرآن من الإخبار بأنهم بدّلوا فى كتبهم وحرفوا وزادوا ونقصوا ، فكان الصحابة لا يأخذون من أهل الكتاب إلا ما يتفق وعقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن .

انظر التفسير والمفسرون : جـ١ من ص١٣ إلى ص ٣٠ ومن ص ٣٥ إلى ص ٦٥ [الناشر : مكتبة وهبة] .

المراجع المساعدة :

- تنزيه القرآن عن المطاعن . للقاضى عبد الجبار ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
- تفسير البغوى جـ١/١٨ .
- تفسير الألوسى جـ١/٥ .
- منهج الفرقان جـ٢/٧١ ، ٩٠ .
- الإتقان للسيوطى : جـ٢ صفحات ١١٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ .
- تفسير جزء عم (الإمام محمد عبده) : ص ٢١ .
- البخارى (فتح البارى) : جـ٨/ ١٢٧ .
- مسلم الثبوت وشرحه : جـ١/٣٦١ .
- نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى : جـ١ ص ١٦٣ .
- المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن (لجولد تسيهر) : جـ١ ص ١ .
- تفسير القرطبى : جـ١ ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .
- مقدمة فى أصول التفسير (ابن تيمية) [من مجموع الفتاوى] : ص ٥ .
- البحر المحيط لأبى حيان : جـ١ ص ١٣ .
- تفسير ابن جرير : جـ١ ص ٢٥ .
- منهج الفرقان : جـ١ ص ٣٦ .

التعريف بالمصطلحات

الحـــــدُّ : حدُّ الشئ هو تعريفه الذى يبين حدوده ليميزه عن غيره ، والمراد به هنا التعريف .

المتكـلمـــة : هم أصحاب (علم الكلام) وكان يطلق على الفلسفة ، وأصحابه هم الذين يمارسون بحث الإلهيات وما وراء الطبيعة.

الرواية والدراية : من مصطلحات علوم الحديث ويقصد بالرواية البحث فى أحوال الراوى من عدالة وضبط ، ومجاله الإسناد ، أما الدراية فيقصد بها البحث فى أحوال المروى نفسه وهو المتن من حيث العلل الخفية وما إلى ذلك .

التـفـسـيـــر : فى اللغة هو الإيضاح والتبيين ، وفى الاصطلاح العلم الذى يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعانى وبيان المراد .

التـــأويـل : فى اللغة مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع ، أو الإيالة وهى سياسة الكلام ووضعه فى موضعه ، وفى الاصطلاح عند السلف بمعنى التفسير أو أنه هو نفس المراد بالكلام ، وعند المتأخرين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به .

الحقـيـقـة : هى إرادة المعنى الحقيقى للفظ .

والمـجـــاز : هو عدم إرادة المعنى الحقيقى للفظ وينقسم إلى **عقلى** : علاقته باللفظ المشابهة فيكون أحد طرفيه حقيقياً دون الآخر مثل ﴿ **فأمه هاوية**﴾ فاسم الأم (هاوية) مجاز ، وإلى **لغوى**: كاطلاق اسم الكل

على الجزء نحو ﴿ **يجعلون أصابعهم فى آذانهم** ﴾ والذى يجعلونه هو الأنامل (وقد أنكر بعض العلماء وقوع المجاز فى القرآن) .

التصريح : هو ذكر الشئ صراحةً باللفظ الدال عليه .

الكناية : هى لفظٌ يراد به لازم معناه مثاله لفظ (الحرث) فى قوله تعالى : ﴿**نساؤكم حرث لكم** ﴾ .

المجمل : مثل ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ثم لا تذكر الكيفيات ولا المواقيت ولا تفاصيل القيام بهذه الواجبات

المبين : مثل ما ورد فى تقسيم التركة وفرض النصف والربع والثمن والسدس وما إلى ذلك من بيانٍ دقيقٍ للمسألة .

المطلق : ما دل على الحقيقة بلا قيدٍ مثل ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ فأى رقبة حررت أجزأت .

المقيد : هو ما دل على الحقيقة بقيدٍ كالرقبة إذا قُيدت بالإيمان فى قوله تعالى ﴿**فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ** ﴾ .

العام : هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصرٍ مثل ﴿**كل نفسٍ ذائقةُ الموت**﴾ ﴿ **إنَّ الإنسان لفى خسرٍ** ﴾ وتفصيله فى علوم اللغة .

الخاص : يقابل العام ، فهو الذى لا يستغرق الصالح له من غير حصر مثل تخصيص أولات الأحمال بحكمٍ خاصٍ وهو التربص حتى يضعن حملهنَّ وذلك من الحكم العام وهو تربص المطلقة بنفسها ثلاثة قروء .

القراءات : هى مذهبٌ من مذاهب النطق فى القرآن الكريم يذهب به إمامٌ من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره وهى ثابتةٌ بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ .

الوضع فى الحديث : هو افتراء الكذب على رسول الله ﷺ ونسبة ما لم يقله إليه .

تدريبات الوحدة الأولي

س١ : أجب عن الأسئلة الآتية :

* عرف التفسير لغة واصطلاحاً ؟

* ما معنى التأويل عند المتأخرين ؟

س٢ : ضع علامة (✓) أمام الصواب وعلامة (×) أمام الخطأ مما يلى :

( ) * أجمع العلماء على أن التفسير ليس من العلوم التى يتكلف لها حد.

( ) * للتأويل عند السلف معنيان .

( ) * فى التأويل المقبول يظهر احتمال اللفظ للمعنى الذى حمل عليه .

( ) * لا فرق بين التفسير والتأويل اتفاقاً .

س٣ : عرف المصطلحات الآتية :

المتكلمة ، الرواية والدراية ، الحد ، التفسير ، التأويل .

س٤ : أجب عما يأتى :

* هل كان الصحابة كلهم يعرفون تفسير القرآن كله ؟ وما دليلك ؟

* اذكر مصادر التفسير فى هذا العصر مع كلمة مختصرة عن كل مصدر ؟

* اذكر رأيك فى المقدار الذى بينه النبى ﷺ لأصحابه من القرآن ؟

* اذكر باختصار أوجه بيان السنة للكتاب ؟

* ما هى أدوات الاجتهاد فى التفسير عند الصحابة ؟

س٥ : ضع علامة (✓) أمام الصواب وعلامة (×) أمام الخطأ مما يلى :

* كان طبيعياً أن يفهم النبى ﷺ القرآن جملةً وتفصيلاً ( )

* القرآن نزل بلغة العرب وبلسانهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمود معانيه فى مفرداته وتراكيبه ( )

* كان الصحابة متفاوتين فى فهم القرآن ( )

* لابد لمن يتعرض لتفسير القرآن أن ينظر فى القرآن نفسه أولاً فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعضٍ ( )

* قوله تعالى : ﴿ **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً** ﴾ من أقسام «المبين » ( )

* السنة تستقل بالتشريع ( )

* الرجوع إلى أهل الكتاب من أهم مصادر التفسير فى هذا العصر ( )

س٦ : عرف المصطلحات الآتية :

المجاز ، المجمل ، المبين ، المطلق ، المقيد ، الوضع عند علماء الحديث ، الكناية.

الوحدة الثانية

المفسرون من الصحابة والتابعين

مقدمة

عرفنا في الوحدة السابقة أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة رضوان الله عليهم وأنها تتمثل في معرفة اللغة ومعرفة عادات العرب وأحوال أهل الكتاب في جزيرة العرب وقت نزول القرآن إلى جانب ما اختصهم الله به من قوة الفهم وسعة الإدراك، وعرفنا أن الصحابة مع ذلك تفاوت فهمهم لمعاني القرآن الكريم حتى احتاج بعضهم لبعض وسأل بعضهم بعضاً فاشتهر منهم جماعة برزوا في هذا الأمر وتفوقوا فيه وإليك عزيزي الدارس نبذة سريعة عن بعضهم في هذه الوحدة الثانية وبالله التوفيق.

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملمًا بما يلي :

[١] التعرف على أشهر المفسرين من الصحابة الكرام وعلى أهم طرق الرواية عنهم ومدى توثيق هذه الطرق.

[٢] تقييم التفسير المأثور عن الصحابة ومعرفة مميزات التفسير في هذه المرحلة.

[٣] معرفة مصادر التفسير في عصر التابعين.

[٤] التعرف على أشهر مدارس التفسير في هذا العصر وعلى أشهر رجال هذه المدارس.

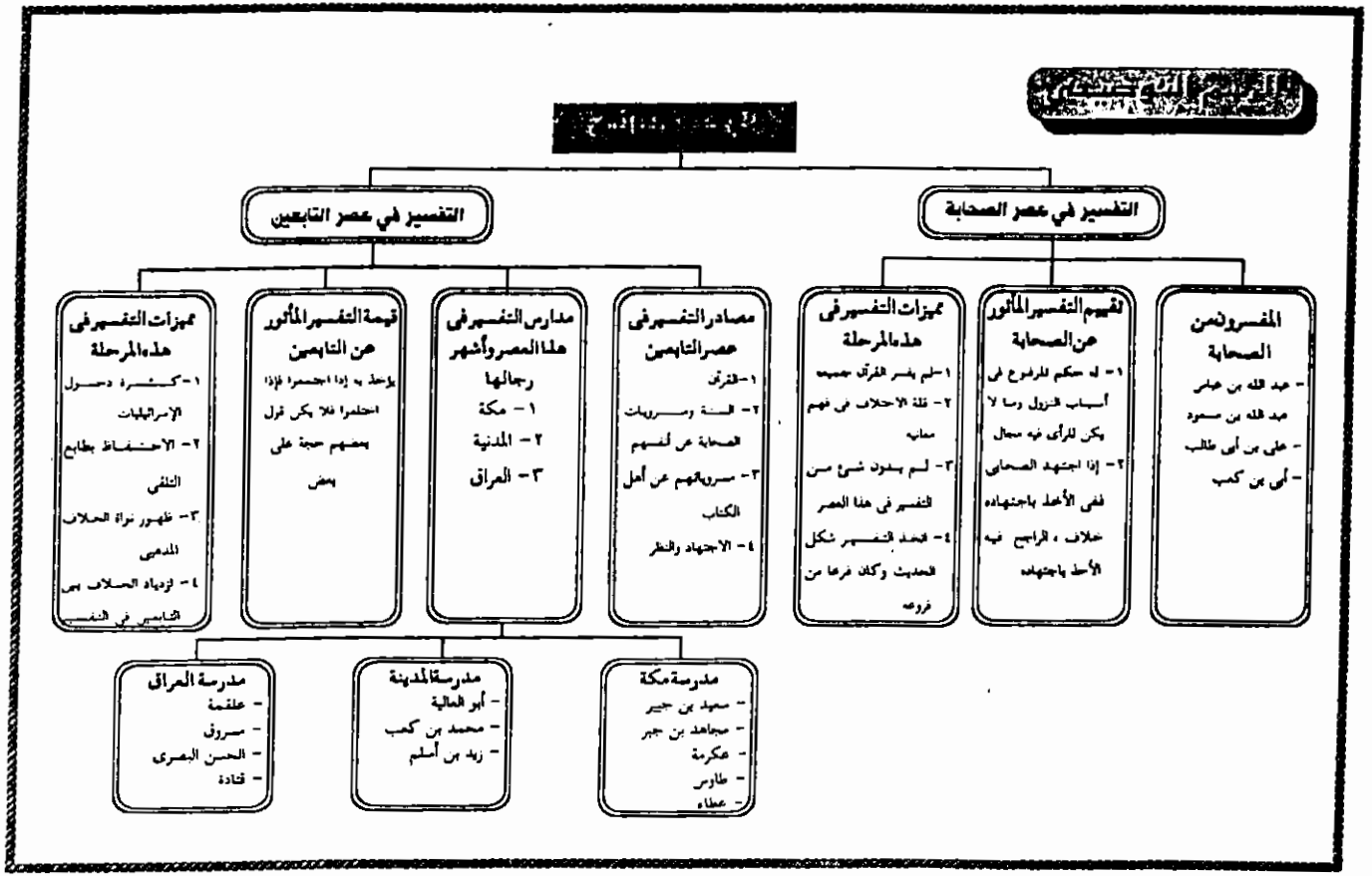
التفسير في عصر الصحابة
التفسير في عصر التابعين
المفسرون من الصحابة
- عبد الله بن عباس
عبد الله بن مسعود
- علي بن أبي طالب
- أبي بن كعب
تقييم التفسير المأثور عن الصحابة
١- له حكم المرفوع في أسباب النزول وما لا يكن للرأي فيه مجال
٢- إذا اجتهد الصحابي فلي الأخذ باجتهاده خلاف ، الراجح فيه الأخذ باجتهاده
مميزات التفسير في هذه المرحلة
١-لم يفسر القرآن جميعه
٢- قلة الاختلاف في فهم معانيه
٣- لم يدون شيء من التفسير في هذا العصر
٤- اتحد التفسير شكل الحديث وكان فرعا من فروعه
مصادر التفسير في عصر التابعين
١-القرآن
٢- السنة ومرويات الصحابة عن أنفسهم
٣- مروياتهم عن أهل الكتاب
٤- الاجتهاد والنظر
مدارس التفسير في هذا العصر وأشهر رجالها
١ - مكة
٢ - المدنية
٣ - العراق
قيمة التفسير المأثور عن التابعين
يؤخذ به إذا اجتمعوا فإذا اختلفوا فلا يكن قول بعضهم حجة على بعض
مميزات التفسير في هذه المرحلة
١ - كثرة دخول الإسرائيليات
٢- الاحتفاظ بطابع التلقي
٣- ظهور نواة الخلاف المذهبي
٤ - ازدياد الخلاف بين التابعين في التفسير
مدرسة مكة
- سعيد بن جبير
- مجاهد بن جبر
- عكرمة
- طاوس
- عطاء
مدرسة المدينة
- أبو العالية
- محمد بن كعب
- زيد بن أسلم
مدرسة العراق
- علقمة
- مسروق
- الحسن البصري
- قتادة

(أ) التفسير في عصر الصحابة

أولاً: المفسرون من الصحابة

اشتهر بالتفسير من الصحابة عدد قليل ، قالوا فى القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ مباشرةً أو بالواسطة ، وبما شاهدوه من أسباب النزول وبما فتح الله به عليهم من طريق الرأى والاجتهاد .

وقد عدَّ السيوطى رحمه الله فى الإتقان من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسماهم ، وهم : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهم أجمعين

وهناك من تكلم فى التفسير من الصحابة غير هؤلاء ، غير أن ما نقل عنهم فى التفسير قليل جداً .

ونتكلم عن علىٍّ ، وابن عباسٍ ، وابن مسعودٍ ، وأُبى بن كعبٍ ، نظراً لكثرة الرواية عنهم فى التفسير ، كثرة غذت مدارس الأمصار على اختلافها وكثرتها .

ولو أنا رتبنا هؤلاء الأربعة حسب كثرة ما روى عنهم لكان أولهم عبد الله بن عباس ، ثم عبد الله بن مسعود ، ثم على بن أبى طالب ، ثم أبى بن كعب ، وسنتكلم عن كل واحدٍ من هؤلاء الأربعة ، بما يتناسب مع مشربه فى التفسير ومنحاه الذى نحاه فيه .

■ عبد الله بن عباس

ترجمته :

هو عبد الله بن عباسٍ بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد ماف القرشى الهاشمى ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد والنبى عليه الصلاة السلام وأهل بيته

بالشعب بمكة ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبى عليه الصلاة والسلام فى صغره ، لقرابته منه ، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله ﷺ ، وتوفى رسول الله ﷺ وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله ﷺ ، وكانت وفاته سنة ثمانٍ وستين على الأرجح ، وله من العمر سبعون سنةً ، مات بالطائف ودفن بها .

مبلغه من العلم :

كان ابن عباسٍ يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه ، وكان عمر رضى الله عنه يجلسه فى مجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه ، وكان يقول له : إنك لأصبح فتياننا وجهاً ، وأحسنهم خلقاً ، وأفقههم فى كتاب الله . وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيءٍ يقول : لا أتكلم حتى يتكلموا . وكان عمر رضى الله عنه يعتدُّ برأى ابن عباسٍ مع حداثة سنه ، يدلنا على ذلك ما رواه البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ قال : (كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدرٍ ، فكأنَّ بعضهم وجد فى نفسه وقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإنَّ لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يومٍ فأدخلنى معهم ، فما رأيت أنه دعانى يومئذٍ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قوله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾.. ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً ، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباسٍ ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول : قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ، قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فذلك علامة أجلك ، ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً** ﴾ فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول) أ.هـ. وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره ، وقال فيه ابن مسعود رضى الله عنه : (نعم ترجمان القرآن ابن عباسٍ) ، وقال فيه عطاء (ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباسٍ ، أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب

الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسعٍ) .

وخير ما يقال فيه ما قال ابن عمر رضى الله عنه : (ابن عباسٍ أعلم أمة محمدٍ بما نزل على محمدٍ ﷺ) .

أسباب نبوغه :

ونستطيع أن نرجع هذه الشهرة العلمية ؛ وهذا النبوغ الواسع الفياض إلى أسبابٍ نجملها فيما يلى :

أولاً : دعاء النبى ﷺ له بقوله : « اللهم علمه الكتاب والحكمة » ، وفى رواية أخرى : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » .

ثانياً : نشأته فى بيت النبوة ، وملازمته لرسول الله ﷺ من عهد التمييز ؛ فكان يسمع منه الشئ الكثير ، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التى نزلت فيها بعض آيات القرآن .

ثالثاً : ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ ، يأخذ عنهم ويروى لهم ، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن ، وتواريخ التشريع وأسباب النزول ، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله ﷺ ، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال : (وجدت عامّة حديث رسول الله ﷺ عند الأنصار ، فإن كنت لآتى الرجل فأجده نائماً ، لو شئت أن يوقَظ لى لأُوقظ ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ ، وأسأله عما أريد ، ثم أنصرف) .

رابعاً : حفظه للّغة العربية ، ومعرفته لغريبها ، وآدابها ، وخصائصها ، وأساليبها ؛ وكثيراً ما كان يستشهد للمعنى الذى يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربى .

خامساً : بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تحرجه منه وشجاعته فى بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه لملامة لائمٍ ونقد ناقدٍ ، ما دام يثق بأن الحق فى جانبه .

قيمة ابن عباسٍ فى تفسير القرآن :

نتبين قيمة ابن عباس فى التفسير ، من قول تلميذه مجاهد : (إنه إذا فسر الشئ رأيت عليه النور) ، ومن قول على رضى الله عنه يثنى عليه فى تفسيره : (كأنما ينظر إلى الغيب من سترٍ رقيقٍ) ، ومن قول ابن عمر : (ابن عباسٍ أعلم أمة محمدٍ بما نزل على محمدٍ) ، ومن رجوع بعض الصحابة وكثيرٍ من التابعين إليه فى فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله .

وهذا عمر رضى الله عنه يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله ، فلما لم يجد عندهم جوابا مرضياً رجع إلى ابن عباس فسأله عنها ، وكان يثق بتفسيره ، وفى هذا يروى الطبرى : (أن عمر سأل الناس عن هذه الآية ، يعنى : ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ** ﴾ .. الآية .. فما وجد أحداً يشفيه ، حتى قال ابن عباسٍ وهو خلفه : يا أمير المؤمنين .. إنى أجد فى نفسى منها شيئاً ، فتلفت إليه فقال: تحول ههنا ، لِمَ تحقر نفسك ؟ قال : هذا مَثَلٌ ضربه الله عز وجل فقال : أيودُّ أحدكم أن يعمل عمره بعملِ أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكونُ إلى أن يختمه بخيرٍ حين فنى عمره واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما كان إليه) أ.هـ .

ولقد وجد هذا التقدير صداه فى عصر التابعين ، فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباسٍ ، استقرت هذه المدرسة بمكة ، ثم غذت بعلمها الأمصار المختلفة وقد صرح الزركشى بأن قول ابن عباس مقدمٌ على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم فى التفسير .

رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

كان ابن عباسٍ كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون فى فهم معانى القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله ﷺ ، وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة فى ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التى نزل فيها القرآن ، وكان رضى الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان فى دائرةٍ محدودةٍ ضيقةٍ ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

فقد روى البخارى فى صحيحه عنه أنه قال : (يا معشر المسلمين .. تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله ، تقرأونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : ﴿ **هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾ .. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم) أ.هـ .

رجوع ابن عباسٍ إلى الشعر القديم :

كان ابن عباسٍ رضى الله عنه يرجع فى فهم معانى الألفاظ الغريبة التى وردت فى القرآن إلى الشعر الجاهلى ، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق فى فهم غريب القرآن ، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربى القديم ، ليستعان به على فهم معانى الألفاظ القرآنية الغريبة .

فيقول عمر رضى الله عنه لأصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما

ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعانى كلامكم) .

غير أن ابن عباسٍ ، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره ، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، وقد روى عنه الشئ الكثير من ذلك ، وأوعب ما روى عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ، وقد بلغت مائتى مسألة ، وقد ذكر السيوطى فى الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذى كان بين نافعٍ وابن عباسٍ، وسرد مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباسٍ عنها، فقال: (بينما عبد الله ابن عباسٍ جالسٌ بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقةٍ من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍ مبينٍ ، فقال ابن عباسٍ : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ قال : العزون حِلَقُ الرفاق ، قال : هل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا ؟

..... إلى اخر المسائل وأجوبتها ، وهى تدل على دقة ابن عباسٍ فى معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها ، إلى حدٍ لم يصل إليه غيره .

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعى الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم فى القرآن والحديث .

والحق أن هذه الخصومة التى جدت فى الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس ،

فالأمر ليس كما يزعمه أصحاب هذا الرأى ، من جعل الشعر أصلاً للقرآن ، بل هو فى الواقع ، بيانٌ للحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً** ﴾ .. وقال : ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلى للاستشهاد به على المعنى الذى يذهبون إليه فى فهم كلام الله تعالى .

الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة :

روى عن ابن عباسٍ رضى الله عنه فى التفسير ما لا يحصى كثرةً ، وتعددت الروايات عنه ، واختلفت طرقها ، فلا تكاد تجد آيةً من كتاب الله تعالى إلا لابن عباسٍ رضى الله عنه قولٌ أو أقوال ، الأمر الذى جعل نقاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التى جاوزت الحد وقفة المرتاب ، فتتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا العُدول ، وجرحوا الضعفاء ، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوةً وضعفاً ، وهذه هى أشهر الطرق :

أولها : طريق معاوية بن صالح ، عن علىٍ بن أبى طلحة ، عن ابن عباسٍ وهذه هى أجود الطرق عنه ، وهى عند البخارى عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس) .

ومسلمٌ صاحب الصحيح وأصحاب السنن جميعاً يحتجون بعلىّ بن أبى طلحة ، وكفى بتوثيق البخارى لها واعتماده عليها شاهداً على صحتها .

ثانيها : طريق قيس بن مسلم الكوفي ، عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحةٌ على شرط الشيخين .

ثالثها : طريق ابن إسحاق صاحب السير ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهى طريق جيدة

وإسنادها حسن .

رابعها : طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى الكبير ، تارةً عن أبى مالكٍ ، وتارةً عن أبى صالحٍ عن ابن عباسٍ ، وإسماعيل السُّدى مختلفٌ فيه .

خامسها : طريق عبد الملك بن جريجٍ ، عن ابن عباسٍ ، وهى تحتاج إلى دقةٍ فى البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريجٍ لم يقصد الصحة فيما جمع .

سادسها : طريق الضحاك بن مزاحمٍ الهلالى عن ابن عباسٍ، وهى غير مرضية.

سابعها : طريق عطية العوفى ، عن ابن عباسٍ ، وهى غير مرضية .

ثامنها : طريق مقاتل بن سليمان الأزدى الخراسانى ، وقد كُذِّبه غير واحدٍ ، ولم يوثقه أحدٌ ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه .

تاسعها : طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، وهذه أوهى الطرق ، وممن يروى عن الكلبى ، محمد بن مروان السُّدى الصغير، وقد قالوا فيه: إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك ، ولهذا قال السيوطى فى الإتقان : (فإن انضم إلى ذلك – أى طريق الكلبى – رواية محمد بن مروان السُّدى الصغير ، فهى سلسلة الكذب) .

التفسير المنسوب إلى ابن عباس وقيمته :

هذا ، وقد نسب إلى ابن عباسٍ رضى الله عنه جزءٌ كبيرٌ فى التفسير ، وطبع فى مصر مراراً باسم (تنوير المقباس من تفسير ابن عباسٍ) جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشافعى ، صاحب القاموس المحيط بسنده إلى محمد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباسٍ) .

وهكذا يظهر لنا جليا ، أن جميع ما روى عن ابن عباسٍ فى هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدى الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباسٍ ، وقد عرفنا مبلغ رواية السدى الصغير عن الكلبى فيما تقدم ، وحسبنا فى التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن عبد الحكم قال : (سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباسٍ فى التفسير إلا شبيهٌ بمائة حديث) وهذا الخبر – إن صح عن الشافعى – يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباسٍ .

أسباب الوضع على ابن عباس :

ويبدو أن السر فى كثرة الوضع على ابن عباسٍ ، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع عليه يكسب الموضوع ثقةً وقوةً أكثر مما لو وضع على غيره ، أضف إلى ذلك أن ابن عباسٍ كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان من الناس من يتزلف إليهم ويتقرب منهم بما يروونه لهم عن جدهم .

■ عبد الله بن مسعود

ترجمته :

هو عبد الله بن مسعود بن غافلٍ ، يصل نسبه إلى مضر ، ويكنى بأبى عبد الرحمن الهذلى ، كان رحمه الله خفيف اللحم ، قصيراً ، شديد الأدمة ، أسلم قديماً . روى الأعمش ، بسنده عنه قال : (لقد رأيتنى سادس ستةٍ ما على ظهر الأرض مسلمٌ غيرنا) .

وهاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وصلى إلى القبلتين ، وشهد بدراً ،

وأحداً، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وشهد اليرموك بعد وفاة رسول الله ﷺ ، (وهو الذى أجهز على أبى جهلٍ يوم بدرٍ ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وشهد له بالفضل وعلو المنزلة ؛ يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن على قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كنت مؤمراً أحداً دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد ») ، وقد ولى بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان ، وقدم المدينة فى آخر عمره ، ومات بها سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ليلاً ، تنفيذاً لوصيته بذلك ، وكان عمره يوم وفاته ، بضعاً وستين سنة .

مبلغه من العلم :

كان ابن مسعود من أحفظ الصحابة لكتاب الله ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع منه القرآن ، وقد أخبر هو بنفسه عن ذلك فقال : قال لى رسول الله ﷺ : اقرأ على سورة النساء ، قال : قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه حتى بلغت : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ ..فاضت عيناه ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يقول : «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» .

ولما سيره عمر رضى الله عنه إلى الكوفة كتب إلى أهلها : (إنى قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعودٍ معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدرٍ فاقتدوا بهما ، وأطيعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى) .

ولما قدم علىٌّ الكوفة ، حضر عنده قوم وذكروا له بعض قول عبد الله وقالوا : يا أمير المؤمنين ما رأينا رجلا أحسن خلقاً ، ولا أرفق تعليماً ، ولا أحسن مجالسةً ، ولا أشد ورعاً من ابن مسعود ، قال على : (أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم) ؟

قالوا : نعم ، قال : (اللهم اشهد أنى أقول مثل ما قالوا وأفضل)

قيمة ابن مسعود فى التفسير :

روى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود أنه قال : (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) ، ومن هذا الأثر يتضح لنا مقدار حرص ابن مسعود على تفهم كتاب الله تعالى والوقوف على معانيه ، وقال مسروق : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار .

وصح عن ابن مسعود أنه قال : أخذت من فِيّ رسول الله ﷺ سبعين سورةً .

ولئن صح عن أبى الدرداء أنه قال بعد موت ابن مسعودٍ : ما ترك بعده مثله ، لهى شهادة منه على مقدار علمه ، وسمو مكانته بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وبالجملة فابن مسعود كما قيل : أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى ، وأعرفهم بمحكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه ، وقصصه وأمثاله ، وأسباب نزوله ، قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه ، فقيهٌ فى الدين ، عالمٌ بالسنة ، بصيرٌ بكتاب الله .

الرواية عن ابن مسعود ومبلغها من الصحة :

ابن مسعود أكثر من روى عنه فى التفسير من الصحابة بعد ابن عباسٍ رضى الله عنه ، وقد وردت أسانيد كثيرة تنتهى إلى ابن مسعود ، نجدها مبثوثةً فى كتب التفسير بالمأثور وكتب الحديث ، من هذه الروايات ما يمكن الاعتماد عليه والثقة به ، ومنها ما يعتريه الضعف فى رجاله ، أو الانقطاع فى إسناده ، وقد تتبع العلماء النقاد هذه الروايات ، كما تتبعوا غيرها بالنقد تجريحا وتعديلا وهذه هى أشهر الطرق عن ابن مسعود :

أولا : طريق الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروقٍ ، عن ابن مسعودٍ ، وهذه الطريق من أصح الطرق وأسلمها ، وقد اعتمد عليها البخارى فى صحيحه .

ثانياً : طريق مجاهدٍ ، عن أبى معمر ، عن ابن مسعودٍ ، وهذه أيضا طريقٌ صحيحةٌ لا يعتريها الضعف ، قد اعتمد عليها البخارى فى صحيحه أيضاً .

ثالثاً : طريق الأعمش ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعودٍ ، وهذه أيضاً طريق صحيحة يخرج البخارى منها ، كفى بتخريج البخارى شاهداً على صحتها وصحة ما سبق .

رابعاً : طريق السُّدى الكبير ، عن مُرَّة الهمدانى ، عن ابن مسعودٍ ، وهذه الطريق يخرج منها الحاكم فى مستدركه ، ويصحح ما يخرجه ، وابن جريرٍ يخرج منها فى تفسيره كثيراً ، وقد علمت فيما مضى قيمة السدى الكبير فى باب الرواية .

خامساً : طريق أبى روقٍ ، عن الضحاك ، عن ابن مسعودٍ ، وابن جريرٍ يخرج منها فى تفسيره أيضاً ، وهذه الطريق غير مرضيةٍ ؛ لأن الضحاك لم يلق ابن مسعودٍ فهى طريق منقطعة .

■ على بن أبى طالب

ترجمته :

هو أبو الحسن ، على بن أبى طالبٍ ، بن عبد المطلب ، القرشى الهاشمى ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وصهره على ابنته فاطمه ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وهو أول من أسلم من الأحداث وصدق برسول الله ﷺ . هاجر إلى المدينة ، وموقفه من الهجرة مشهور .

توفى رحمه الله فى رمضان سنة أربعين من الهجرة ، مقتولاً بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ، وعمره ثلاث وستون سنة ، وقيل غير ذلك .

مبلغه من العلم :

كان رضى الله عنه بحراً فى العلم وكان ذا عقلٍ قضائيٍ ناضجٍ ، وبصيرةٍ نافذة على بواطن الأمور ، وقد ولاه رسول الله ﷺ قضاء اليمن ، ودعا له بقوله : « اللهم ثبت لسانه واهد قلبه » فكان موفقاً ومسدداً ، فيصلاً فى المعضلات ، حتى ضرب به المثل فقيل : (قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها) .

روى علقمة عن ابن مسعودٍ قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على بن أبى طالبٍ .

مكانته فى التفسير :

جمع علىٌّ رضى الله عنه إلى مهارته فى القضاء والفتوى ، علمه بكتاب الله وفهمه لأسراره وخفى معانيه ، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل ، وقد روى عن ابن عباسٍ أنه قال : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علىّ بن أبى طالبٍ) .

وغير هذا كثيرٌ من الآثار التى تشهد له بأنه كان صدر المفسرين والمؤيد فيهم .

الرواية عن على ومبلغها من الصحة :

كثرت الرواية فى التفسير عن على رضى الله عنه ، وما صح عنه فى التفسير قليلٌ بالنسبة لما وضع عليه ، ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة .

ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلا على ما كان من طريق الأثبات من أهل بيته ، أو من أصحاب ابن مسعودٍ ، كعبيدة السلمانى وشريحٍ ، وغيرهما ، وهذه أهم الطرق عن علىٍّ فى التفسير :

أولاً : طريق هشامٍ ، عن محمدٍ بن سيرين ، عن عبيدة السلمانى ، عن علىٍّ .

طريق صحيحة ، يخرج منها البخارى وغيره .

ثانياً : طريق ابن أبى الحسين ، عن أبى الطفيل ، عن على ، وهذه طريق صحيحة ، يخرج منها ابن عيينة فى تفسيره .

ثالثاً : طريق الزُّهرىّ ، عن على زين العابدين ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه على، وهذه طريق صحيحة جداً ، حتى عدها بعضهم أصح الأسانيد مطلقا ، ولكن لم تشتهر هذه الطريق اشتهار الطريقتين السابقتين نظراً لما ألصقه الضعفاء الكذابون بزين العابدين من الرويات الباطلة .

■ أُبَىّ بن كعب

ترجمته :

هو أبو المنذر ، أو أبو الطفيل ، أُبَىّ بن كعب بن قيس ، الأنصارى الخزرجى ، شهد العقبة وبدرا ، وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة ، وقد أثنى عليه عمر رضى الله عنه فقال : (أُبَىّ سيد المسلمين) ، وقد اختلف فى وفاته على أقوال كثيرة ، والأكثر على أنه مات فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

مبلغه من العلم :

كان أُبَىّ بن كعب سيد القراء ، وأحد كتاب الوحى لرسول الله ﷺ ، وقد قال فيه ﷺ : « وأقرؤهم أبىّ بن كعب » ، وروى الشعبى عن مسروق قال : (كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة : عمر ، وعلى وعبد الله ، و أُبَىّ ، وزيد ، وأبو موسى) .

مكانته فى التفسير :

كان أبيّ بن كعب من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى ، ولعل من أهم عوامل معرفته بمعانى كتاب الله ، هو أنه كان حبراً من أحبار اليهود ، العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها ، وكونه من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ ، وهذا بالضرورة يجعله على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول ومواضعه ، ومقدَّم القرآن ومؤخَّره ، وناسخه ومنسوخه ، ثم لا يعقل بعد ذلك أن تمر عليه آية من القرآن يشكل معناها عليه دون أن يسأل عنها رسول الله ﷺ ، ولهذا كله عُدَّ أبيّ بن كعب من المكثرين فى التفسير ، الذين يعتد بما صح عنهم ، ويعول على تفسيرهم .

الرواية عنه فى التفسير ومبلغها من الصحة :

كثرت الرواية عن أبيّ بن كعب فى التفسير وتعددت طرقها ، وتتبع العلماء هذه الطرق بالنقد ، فعدَّلوا وجرحوا ؛ لأنه كغيره من الصحابة لم يسلم من الوضع عليه - وهذه هى أشهر الطرق عنه .

أولاً : طريق أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى رضى الله عنه ، وهذه طريق صحيحة ، وقد ورد عن أبيّ ، نسخة كبيرة فى التفسير ، يرويها أبو جعفر الرازى بهذا الإسناد إلى أبيّ ، وقد خرج ابن جرير وابن أبى حاتم منها كثيراً ، وأخرج الحاكم منها أيضاً فى مستدركه ، والإمام أحمد فى مسنده .

ثانياً : طريق وكيع عن سفيان ، عن - عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبى بن كعب ، عن أبيه ، وهذه يخرج منها الإمام أحمد فى مسنده ، وهى على شرط الحسن ؛ لأن عبد الله بن محمد بن عقيل وإن كان صدوقا تكلم فيه من جهة حفظه . ونص الحافظ الهيثمى فى مجمع الروائد على أنَّ حديثه حسن .

ثانياً : قيمة التفسير المأثور عن الصحابة

أطلق الحاكم فى المستدرك : أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى ، له حكم المرفوع ، ولكن قيَّد ابن الصلاح ، والنَّووى ، وغيرهما هذا الإطلاق ، بما يرجع إلى أسباب النزول ، وما لا مجال للرأى فيه ، قال ابن الصلاح فى مقدمته ص [٢٤] : (ما قيل من أن تفسير الصحابى حديث مسند ، فإنما ذلك فى تفسيرٍ يتعلق بسبب نزول آيةٍ يخبر به الصحابى ، أو نحو ذلك مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبى ﷺ ولا مدخل للرأى فيه ، كقول جابرٍ رضى الله عنه : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ .. الآية ، فأما سائر تفاسير الصحابة التى لا تشتمل على إضافة شئ إلى الرسول ﷺ فمعدودةٌ فى الموقوفات) ، والحاكم نفسه قد صرح فى (معرفة علوم الحديث) بما ذهب إليه ابن الصلاح وغيره حيث قال : ومن الموقوفات ما حدثناه أحمد بن كاعل بسنده عن أبى هريرة فى قوله : ﴿ **لواحةٌ للبشر** ﴾ .. قال : تلقاهم جهنم يوم القيامةً فتلفحهم لفحةً فلا تترك لحماً على عظمٍ ، قال : فهذا وأشباهه يعد فى تفسير الصحابة من الموقوفات ، فأما ما نقول : إن تفسير الصحابة مسند ، فإنما نقوله فى غير هذا النوع ...) .

وبعد هذا كله نخلص بهذه النتائج :

أولاً : تفسير الصحابى له حكم المرفوع ، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول ، وكل ما ليس للرأى فيه مجال ، أما ما يكن للرأى فيه مجال ، فهو موقوفٌ عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ .

ثانياً : ما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقاً ، بل يأخذه المفسر

ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال .

ثالثاً : ما حكم عليه بالوقف ، تختلف فيه أنظار العلماء :

فذهب فريق إلى أن الموقوف على الصحابى من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه ، علم أنه اجتهد فيه ، والمجتهد يخطئ ويصيب ، والصحابة فى اجتهادهم كسائر المجتهدين .

وذهب فريقٌ آخر إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه ؛ لظن سماعهم له من رسول الله ﷺ ، ولأنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب ، لأنهم أدرى الناس بكتاب الله ، إذ هم أهل اللسان ، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة ، ولما شهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة [1] ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس غيرهم .

وهذا الرأى الأخير هو الذى تميل إلى النفس ، ويطمئن القلب لما ذكر .

---

١ – المقصود بالأئمة الأربعة هنا هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

ثالثاً : مميزات التفسير في هذه المرحلة

أولاً : لم يفسر القرآن جميعه ، وإنما فسر بعض منه ، وهو ما غمض فهمه .

ثانياً : قلّة الاختلاف بينهم فى فهم معانيه .

ثالثاً : كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الإجمالى ، فيكفى أن يفهموا من مثل قوله تعالى : ﴿ **وفاكهةً وأباً** ﴾ .. أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده .

رابعاً : الاقتصار على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه بأخصر لفظ ، مثل ﴿**غير متجانفٍ لإثم** ﴾ .. أى غير متعرّضٍ لمعصيةٍ ، فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول .

خامساً : ندرة الاستنباط العلمى للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء فى كتاب الله ، لأن الاختلاف المذهبى لم يقم إلا بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم .

سادساً : لم يدون شئٌ من التفسير فى هذا العصر ؛ لأن التدوين لم يكن إلا فى القرن الثانى .

سابعاً : اتخذ التفسير فى هذه المرحلة شكل الحديث ، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه ، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً ، فحديث صلاةٍ بجانب حديث جهادٍ بجانب حديث ميراثٍ، بجانب حديثٍ فى تفسير آيةٍ ، وهكذا .

(ب) التفسير في عصر التابعين

تمهـــيد:

تبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين تتلمذوا للصحابة فتلقوا غالب معلوماتهم عنهم .

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم فى استجلاء بعض ما خفى من كتاب الله ، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين ، تكلموا فى التفسير ، ووضحوا لمعاصريهم خفى معانيه .

أولاً : مصادر التفسير في هذا العصر :

وقد اعتمد هؤلاء المفسرون فى فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء فى الكتاب نفسه ، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم ، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء فى كتبهم ، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر فى كتاب الله تعالى .

وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال هؤلاء التابعين فى التفسير قالوها بطريق الرأى والاجتهاد ، ولم يصل إلى علمهم شئ فيها عن رسول لله ﷺ ، أو عن أحدٍ من الصحابة .

ثانياً : مدارس التفسير في عصر التابعين :

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلاد العالم فى حياة رسول الله ﷺ ، وفى عهود الخلفاء من بعده ، ولم يستقروا جميعاً فى بلد واحد من بلاد المسلمين

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التى رحلوا إليها ، ما وعوه من العلم ، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ ، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم ، وينقلونه لمن بعدهم ، فقامت فى هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية ، أساتذتها الصحابة ، وتلاميذها التابعون .

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير ، وتتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة ، فقامت مدرسة للتفسير بمكة ، وأخرى بالمدينة وثالثة بالعراق ، وهذه المدارس الثلاث ، هى أشهر مدارس التفسير فى الأمصار فى هذا العهد .

قال ابن تيمّية : (وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباسٍ كمجاهد ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة مولى ابن عباسٍ ، وغيرهم من أصحاب ابن عباسٍ ، كطاووس ، وأبى الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعودٍ ، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم ، وعلماء أهل المدينة فى التفسير ، مثل زيد بن أسلم ، الذى أخذ عنه مالكٌ التفسير ، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله بن وهب) أ. هـ .

١ – مدرسة التفسير بمكة

قيامها على ابن عباس :

قامت مدرسة التفسير بمكة على عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فكان يجلس لأصحابه من التابعين ، يفسر لهم كتاب الله تعالى ، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه ، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول ، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه .

أشهر رجالها :

وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس بن كيسان اليمانى ، وعطاء بن أبى رباح .

وهؤلاء كلهم كانوا من الموالى ، وهم يختلفون فى الرواية عن ابن عباس قلّةً وكثرةً ، كما اختلف العلماء فى مقدار الثقة بهم والركون إليهم .

ونسوق الحديث عن كل واحد منهم ، ليتضح لنا مكانته فى التفسير ومقدار الاعتماد عليه فيه .

■ سعيد بن جبير

ترجمته :

هو أبو محمد ، أو أبو عبد الله ، سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى ، مولاهم ، كان حبشىّ الأصل ، أسود اللون أبيض الخصال ، سمع جماعةً من أئمة الصحابة ، روى عن ابن عباسٍ ، وابن مسعودٍ وغيرهما .

مكانته فى التفسير :

كان رحمه الله من كبار التابعين ومتقدميهم فى التفسير والحديث والفقه ، أخذ القراءة عن ابن عباسٍ عرضاً ، وسمع منه التفسير ، وأكثر روايته عنه ، وقد جمع سعيد القراءات الثابتة عن الصحابة وكان يقرأ بها .

ويظهر لنا أنه كان يتورع من القول فى التفسير برأيه ، يدلنا على ذلك ما رواه ابن خلكان : من أن رجلا سأل سعيداً أن يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال : لأن يسقط شقى أحبّ إلى من ذلك .

هذا وقد وثق علماء الجرح والتعديل سعيد بن جبير ، فقال أبو القاسم الطبرى : هو ثقةٌ ، حجةٌ ، إمامٌ على المسلمين . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : كان عبداً فاضلاً ورعاً ، وهو مجمعٌ عليه من أصحاب الكتب الستة .

وقد قتل فى شعبان سنة ٩٥ هـ (خمس وتسعين من الهجرة) ، وهو ابن تسعٍ وأربعين سنةً ، قال أبو الشيخ : قتله الحجاج صبراً ، وله مناظرةٌ قبل قتله مع الحجاج تدل على قوة يقينه ، وثبات إيمانه وثقته بالله ، فرضى الله عنه وأرضاه .

■ مجاهد بن جبر

ترجمته :

هو مجاهد بن جبر ، المكى المقرىء ، المفسر ، أبو الحجاج المخزومى ، مولى السائب بن أبى السائب ، كان أحد الأعلام الأثبات ، ولد سنة ٢١ هـ (إحدى وعشرين من الهجرة) فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت وفاته بمكة وهو ساجد ، سنة أربعٍ ومائة على الأشهر ، وعمره ثلاثٌ وثمانون سنةً .

مكانته فى التفسير :

كان مجاهد رحمه الله أقل أصحاب ابن عباس روايةً عنه فى التفسير ، وكان أوثقهم ، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى وغيرهما ونجد البخارى رضى الله عنه ، فى كتاب التفسير من الجامع الصحيح ، ينقل لنا كثيراً من التفسير عن مجاهد ، وهذه أكبر شهادةٍ من البخارى على ثقته وعدالته ، واعتراف منه بمبلغ فهمه لكتاب الله تعالى .

وقال قتادة : أعلم من بقى بالتفسير مجاهد ، ، وقال ابن سعد : كان ثقةً ،

فقهياً ، عالماً ، كثير الحديث وقال ابن حبان : كان فقيهاً ، ورعاً ، عابداً ، متقناً ، وقال الذهبي في الميزان ، في آخر ترجمة مجاهد : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة .

■ عكرمة

ترجمته :

هو أبو عبد الله عكرمة البربري المدني مولى ابن عباس (أصله من البربر بالمغرب) . روى عن مولاه ، وعن علي بن أبي طالب ، وأبي هريرة ، وغيرهم .

اختلاف العلماء في توثيقه :

وقد اختلف العلماء في توثيقه ، فكان منهم من لا يثق به ، ولا يروى له ، وكان منهم من يوثقه ويروى له .

مطاعن من لا يوثقونه :

وإنا لنجد العلماء الذين لم يثقوا بعكرمة ، يصفونه بالجرأة على العلم ويقولون : إنه كان يدعي معرفة كل شئ في القرآن ، ويزيدون على ذلك فيتهمونه بالكذب على مولاه ابن عباس ، وبعد هذا كله ، يتهمونه بأنه كان يرى رأي الخوارج ، ويزعم أن مولاه كان كذلك ، وقد نقل ابن حجر في تهذيب التهذيب كل هذه التهم ونسبها لقائليها .

شهادات الموثقين له :

قال المروزي : قلت لأحمد : يحتج بحديث عكرمة ؟ فقال : نعم يحتج به .

وقال ابن معين : إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة ، وفي حماد بن سلمة ، فاتهمه على الإسلام . وقال العجلي فيه : مكي تابعي ثقة ، بريء مما يرميه به الناس من الحرورية ، وقال البخاري : ليس أحدٌ من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة وقد وثقه النسائي وأخرج له في كتابه السنن ، كما أخرج له البخاري ومسلم ، وأبو داوود ، وغيرهم ، وكان مسلم بن الحجاج من أسوئهم رأياً فيه ، ثم عدّله بعد ما جرحه .

وبعد ... فهل هناك من يقدم على البخاري ومسلم وجميع من ذكرت من علماء الرواية في باب التعديل والتجريح ؟ ، وإذا كان هؤلاء هم أعلم الناس بالرجال ، فهل نقبل تجريح عن عداهم ونترك توثيقهم ؟؟

الحق أن عكرمة تابعيٌ موثوق بعدالته ودينه، وكل ما رمي به كذبٌ واختلاقٌ!!.

مبلغه من العلم ومكانته في التفسير :

هذا وإن عكرمة رضي الله عنه ، كان على مبلغٍ عظيمٍ من العلم ، وعلى مكانةٍ عاليةٍ من التفسير خاصةً ، وقد شهد له العلماء بذلك ، فقال ابن حبان : كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن .

وكان الشعبي يقول : ما بقي أحدٌ أعلم بكتاب الله من عكرمة ، وقال يحيى بن أيوب المصري : سألني ابن جرير : هل كتبتم عن عكرمة ؟ فقلت : لا ، قال : فاتكم ثلثا العلم .

وجملة القول ، أن عكرمة أمينٌ في روايته ، مقدمٌ في علمه ، مبرزٌ في فهمه لكتاب الله ... وكيف لا يكون وهو وارث علم ابن عباس ؟ .

توفي رحمه الله سنة ١٠٤ هـ (أربع ومائة من الهجرة) ، فرضي الله عنه وأرضاه .

■ طاووس بن كيسان اليمانى

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان ، اليمانى الحميرى الجندى ، مولى بحير بن ريسان ، وقيل مولى همدان ، وروى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، وروى عنه أنه قال : جالست خمسين من الصحابة .

ولكن نجده يجلس إلى ابن عباس أكثر من جلوسه لغيره من الصحابة ، ويأخذ عنه التفسير أكثر مما يأخذ عن غيره منهم ، ولهذا عددناه من تلاميذ ابن عباس ، وذكرناه فى رجال مدرسته بمكة .

ولقد كان طاووس على جانبٍ عظيم من الورع والأمانة حتى شهد له بذلك أستاذه ابن عباس فقال فيه : إنى لأظن طاووساً من أهل الجنة ، وقال فيه عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاووس ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وقال ابن معين : إنه ثقةٌ ، وقال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين ، وكان مستجاب الدعوة ، وحج أربعين حجةً ، وقال الذهبى : كان طاووس شيخ أهل اليمن ، وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة سنة ستٍ ومائة .

■ عطاء بن أبى رباح

ترجمته :

هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح ، المكى القرشى مولاهم ، ولد سنة سبعٍ وعشرين ، وتوفى سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة على أرجح الأقوال .

روى عن ابن عباسٍ ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، وغيرهم ، وحدث عن نفسه : أنه أدرك مائتين من الصحابة ، وكان ثقةً ، فقيهاً ، عالماً ، كثير الحديث ، وانتهت إليه فتوى أهل مكة ، وكان ابن عباس يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إلى يا أهل مكة وعندكم عطاء ؟ ، وقال ابن حبان : كان من سادات التابعين فقهاً ، وعلماً ، وورعاً ، وفضلاً ، وهو عند أصحاب الكتب الستة .

مكانته فى التفسير :

كل ما تقدم من أقوال العلماء فى عطاء يشهد لمكانته العلمية على وجه العموم ويدل على مبلغ ثقته وصدقه ، وليس أدل على ذلك من شهادة أستاذه ابن عباس له بذلك ، ونجد شهرة عطاء على غيره من أصحاب ابن عباس ، تتجلى فى معرفته بمناسك الحج .

إذا نحن تتبعنا الرواة عن ابن عباسٍ نجد أن عطاء بن أبى رباح لم يكثر من الرواية عنه كما أكثر غيره ، ونجد مجاهدا وسعيد بن جبير يسبقانه من ناحية العلم بتفسير كتاب الله ، ولكن هذا لا يقلل من قيمته بين علماء التفسير ، ولعل إقلاله فى التفسير يرجع إلى تحرجه من القول بالرأى ، فقد قال عبد العزيز بن رفيع : سئل عطاء عن مسألة فقال : لا أدرى ، فقيل له : ألا تقول فيها برأيك ؟ قال : إنى أستحى من الله أن يدان فى الأرض برأيى .

٢- مدرسة التفسير بالمدينة

قيامها على أبىّ بن كعب :

كان بالمدينة كثير من الصحابة ، أقاموا بها ولم يتحولوا عنها إلى غيرها من بلاد المسلمين ، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فقامت

بالمدينة مدرسة للتفسير ، ونستطيع أن نقول : إن قيام هذه المدرسة كان على أبيّ بن كعب ، الذى يعتبر بحقٍ أشهر من تتلمذ له مفسرو التابعين بالمدينة .

أشهر رجالها :

■ أبو العالية

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى مولاهم ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد وفاة النبى ﷺ بسنتين ، روى عن على ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر وأبيّ بن كعب ، وغيرهم ، وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير ، قال فيه ابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : ثقة .

وقال اللالكائى : مجمعٌ على ثقته ، وقال فيه العجلى : تابعىٌ ثقةٌ . من كبار التابعين ، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب الستة ، وكان يحفظ القرآن ويتقنه .

وتروى عن أبى بن كعب نسخة كبيرة فى التفسير ، يرويها أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبَيّ وقلنا فيما تقدم : إن هذا الإسناد صحيح ، وكانت وفاته سنة تسعين من الهجرة على أرجح الأقوال فى ذلك .

■ محمد بن كعب القرظى

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو حمزة - أو أبو عبد الله - محمد بن كعبٍ بن سليم بن أسد القرظى

المدنى ، من حلفاء الأوس ، روى عن عليٍّ، وابن مسعودٍ، وابن عباسٍ ، وغيرهم ، وروى عن أبيّ بن كعبٍ بالواسطة ، وقد اشتهر بالثقة ، والعدالة ، والورع ، وكثرة الحديث ، وتأويل القرآن ، وقال ابن سعد : كان ثقةً ، عالمًا ، كثير الحديث ، ورعًا ، وقال العجلى : مدنى ، تابعى ، ثقة ، رجلٌ صالحٌ . عالمٌ بالقرآن ، وهو عند أصحاب الكتب الستة ، وقال ابن حبان : كان من أفاضل أهل المدينة علمًا وفقهًا ، توفى سنة ثمانى عشرة ومائة من الهجرة، وقيل غير ذلك ، وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة .

■ زيد بن أسلم

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو أسامة - أو أبو عبد الله - زيد بن أسلم ، العدوى المدنى الفقيه المفسر ، مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان من كبار التابعين الذين عرفوا بالقول فى التفسير والثقة فيما يروونه ، قال فيه الإمام أحمد ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والنسائى : ثقة ، ويكفينا شهادة هؤلاء الأربعة الأعلام دليلاً قوياً على ثقته وعدالته ، كما أنه عند أصحاب الكتب الستة .

وقد عرف زيدٌ بأنه كان يفسر القرآن برأيه ولا يتحرج من ذلك .

وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة : ابنه عبد الرحمن ابن زيد ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة .

وكانت وفاته سنة ستٍ وثلاثين ومائة من الهجرة وقيل غير ذلك .

٣- مدرسة التفسير بالعراق

قيامها على ابن مسعود :

قامت مدرسة التفسير بالعراق على عبد الله بن مسعودٍ رضى الله عنه ، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير ، غير أن عبد الله ابن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة ، نظراً لشهرته وكثرة المروى عنه فى ذلك .

ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأى ، وهذه ظاهرة نجدها بكثرةٍ فى مسائل الخلاف ، ويقول العلماء : إن ابن مسعود هو الذى وضع الأساس لهذه الطريقة فى الاستدلال ، ثم توارثها عنه علماء العراق .

أشهر رجالها :

علقمة بن قيسٍ ، ومسروقٌ ، والأسود بن يزيد ، ومُرّة الهمدانى وعامرٌ الشعبى ، والحسن البصرى وقتادة ، وهم جميعاً ثقاتٌ وعدولٌ ومرويٌّ لهم فى الكتب الستة وفيما يلى تراجم لبعضهم :

■ علقمة بن قيس

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو علقمة بن قيسٍ ، بن عبد الله ، بن مالكٍ ، النخعى الكوفى ، ولد فى حياة رسول الله ﷺ ، روى عن عمر وعثمان ، وعلى ، وابن مسعود ، وغيرهم ، وهو من أشهر رواة عبد الله بن مسعود، وأعرفهم به ، وأعلمهم بعلمه ، قال عثمان بن سعيد : قلت لابن معينٍ : علقمة أحب إليك أم عبيدة ؟ فلم يخير ، قال عثمان : كلاهما ثقة ، وعلقمة أعلم بعبد الله ، وقال أبو المثنى : إذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى

عبد الله ، أشبه الناس به سمتاً وهدياً .

وكان رحمه الله ثقةً مأموناً ، على جانب عظيم من الورع والصلاح ، قال فيه الإمام أحمد : ثقةٌ من أهل الخير ، وهو عند أصحاب الكتب الستة .

قال أبو نعيم : مات سنة ٦١ هـ (إحدى وستين أو اثنتين ستين من الهجرة) وعمره تسعون سنة .

■ مسروق

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو عائشة ، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أميَّة الهمدانى الكوفى العابد ، سأله عمر يوماً عن اسمه فقال له : اسمى مسروق بن الأجدع ، فقال عمر : الأجدع شيطان ، أنت مسروق بن عبد الرحمن روى عن الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وأبى بن كعب ، وغيرهم ، وكان أعلم أصحاب ابن مسعود ، يمتاز بورعه وعلمه وعدالته .

قال على بن المدينى : ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله أحداً.

ثم إن هذا التتلمذ لأصحاب رسول الله ﷺ ولابن مسعودٍ الذى اشتهر بتفسير القرآن ، جعل من مسروق إماماً فى التفسير ، وعالماً خبيراً بمعانى كتاب الله تعالى .

أما ثقته وعدالته ، فأمر اعترف به علماء الجرح والتعديل ، فقال ابن معين : ثقة لا يسئل عن مثله ، وقال ابن سعد : كان ثقة ، وله أحاديث صالحة . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقد أخرج له الستة ، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين من الهجرة على الأشهر .

■ الحسن البصرى

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو سعيد ، الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى مولى الأنصار وأمه خيرة مولاة أم سلمة ، قال ابن سعد : ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادى القرى ، كان فصيحاً ورعاً زاهداً ، لا يسبق فى وعظه ، ولا يدانى فى مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه . روى عن على ، وابن عمر ، وأنسٍ وخلقٍ كثيرٍ من الصحابة والتابعين

هذا ، وإن الحسن البصرى ليجمع إلى صلاحه وورعه وبراعته فى الوعظ غزارة العلم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وأحكام الحلال والحرام ، وقد شهد له بالعلم خلقٌ كثيرٌ ، فقال أنس بن مالكٍ : سلوا الحسن ، فإنه حفظ ونسينا .

وكان إذا ذكر عند أبى جعفر الباقر قال : ذلك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء

توفى رحمه الله تعالى سنة عشر ومائة من الهجرة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة

■ قتادة

ترجمته ومكانته فى التفسير :

هو أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة لسدوسى الأكمه ، عربى الأصل كان يسكن البصرة . روى عن أنسٍ ، وأبى الطفيل ، وابن سيرين ، وعكرمة ، وعطاء بن أبى رباح ، وغيرهم ، وكان قوى الحافظة ، واسع الاطلاع فى الشعر العربى ، بصيراً بأيام العرب ، عليماً بأنسابهم ، متضلعاً فى اللغة العربية ، ومن هنا جاءت شهرته فى التفسير .

وقد شهد له ابن سيرين بقوة الحافظة أيضاً ، فقال : قتادة هو أحفظ الناس .

وكان قتادة على مبلغٍ عظيمٍ من العلم فوق ما اشتهر به من معرفته لتفسير كتاب الله . حتى قدَّمه بعضهم على كثيرٍ من أقرانه ، وجعل بعضهم من النادر تقدم غيره عليه ، وقال فيه سعيد بن المسيب : ما أتانى عراقيٌ أحسن من قتادة .

وأصحاب الصحاح يخرجون له ويحتجون بروايته ، ويكفينا هذا فى تعديله وتوثيقه .

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة ، وعمره إذ ذاك ستٌ وخمسون سنة على المشهور .

ويعد هؤلاء هم مشاهير المفسرين من التابعين ، وغالب أقوالهم فى التفسير تلقوها عن الصحابة ، بعض منها رجعوا فيه إلى أهل الكتاب ، وما وراء ذلك فمحض اجتهادٍ لهم ، ولا شك أنهم كانوا على مبلغٍ عظيمٍ من العلم ودقة الفهم ، لقرب عهدهم من عهد النبوة ، واتصال ما بين العهدين بعهد الصحابة ، ولعدم فساد سليقتهم العربية ، الفساد الذى شاع فيما بعد ، حتى بلغ إلى درجة الهجنة والمزيج اللغوى .

ثالثاً : قيمة التفسير المأثور عن التابعين

اختلف العلماء فى الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم إذا لم يؤثر فى ذلك شئ عن الرسول ﷺ ، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

فنقل عن الإمام أحمد رضى الله عنه روايتان فى ذلك : رواية بالقبول ، ورواية بعدم القبول ، وذهب بعض العلماء : إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعى ، واختاره ابن عقيل ، وحكى عن شعبة . واستدل أصحاب هذا الرأى على ما ذهبوا إليه : بأن

التابعين ليس لهم سماعٌ من الرسول ﷺ ، فلا يمكن الحمل عليه كما قيل فى تفسير الصحابى : إنه محمولٌ على سماعه من النبى ﷺ . وبأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التى نزل عليها القرآن ، فيجوز عليهم الخطأ فى فهم المراد وظن ما ليس بدليلٍ دليلاً ، ومع ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابة . نقل عن أبى حنيفة أنه قال : ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن الصحابة تخيرنا ، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال .

وقد ذهب أكثر المفسرين : إلى أنه يؤخذ بقول التابعى فى التفسير ، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة ، فمجاهدٌ مثلاً يقول : عرضت المصحف على ابن عباسٍ ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آيةٍ منه وأسأله عنها . وقتادة يقول : ما فى القرآن آيةٌ إلا وقد سمعت فيها شيئاً ، ولذا حكى أكثر المفسرين أقوال التابعين فى كتبهم ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها .

والذى تميل إليه النفس : هو أن قول التابعى فى التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأى فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذٍ عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب ، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه ، أما إذا أجمع التابعون على رأيٍ فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره .

قال ابن تيمية : قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين ليست حجةً ، فكيف تكون حجة فى التفسير ؟ يعنى أنها لا تكون حجةً على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشئ فلا يرتاب فى كونه حجة فإن اختلفوا فلا يكن قول بعضهم حجةً على بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة فى ذلك .

رابعاً : مميزات التفسير في هذه المرحلة

يمتاز التفسير فى هذه المرحلة بالمميزات الآتية :

أولاً : دخل فى التفسير كثيرٌ من الإسرائيليات والنصرانيات ، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام ، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية ، كأخبار بدء الخليقة ، وأسرار الوجود .... الخ ، فتساهل التابعون فزجوا فى التفسير بكثيرٍ من الإسرائيليات والنصرانيات بدون تحرٍ ونقدٍ .

ثانياً : ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقى والرواية ، إلا أنه لم يكن تلقياً وروايةً بالمعنى الشامل كما هو الشأن فى عصر النبى ﷺ وأصحابه ، بل كان تلقياً وروايةً يغلب عليهما طابع الاختصاص ، فأهل كل مصرٍ يعنون - بوجه خاص - بالتلقى والرواية عن إمام مصرهم ، فالمكيُّون عن ابن عباسٍ ، والمدنيُّون عن أبيّ ، والعراقيُّون عن ابن مسعودٍ ... وهكذا .

ثالثاً : ظهرت فى هذا العصر نواة الخلاف المذهبى ، فظهرت بعض تفسيراتٍ تحمل فى طياتها هذه المذاهب .

رابعاً : كثرة الخلاف بين التابعين فى التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخرى المفسرين .

الخلاف بين السلف فى التفسير

كان الخلاف بين الصحابة فى التفسير قليلاً جداً ، وكذا بين التابعين وإن كان أكثر منه بين الصحابة وكان اختلافهم فى الأحكام أكثر من اختلافهم فى التفسير .

وإذا نحن تتبعنا ما نقل لنا من أقوال السلف فى التفسير ، وجمعنا ما هو مبثوث فى كتب التفسير بالمأثور لخرجنا بادى الرأى بكثيرٍ من الأقوال المختلفة فى المسألة الواحدة ، فقول لصحابي يخالف قول صحابي آخر ، وقول لتابعي يخالف قول تابعي آخر ، بل كثيراً ما نجد قولين مختلفين فى المسألة الواحدة ، وكلاهما منسوب لقائلٍ واحدٍ ، فهل معنى هذا أن الخلاف فى التفسير قد اتسعت دائرته على عهد الصحابة والتابعين ؟ وهل معنى هذا أن الصحابى أو التابعى يناقض نفسه فى المسألة الواحدة ؟ .. لا ، فدائرة الخلاف لم تتسع ، ولم يناقض الصحابيُّ أو التابعيُّ نفسه ، وذلك لأن غالب ما صح عنهم من الخلاف فى التفسير يرجع إلى اختلاف عبارة مثلاً ، أو اختلاف تنوعٍ ، لا إلى اختلاف تباينٍ وتضادٍ كما ظنّه بعض الناس فحكاه على أنه أقوالٌ متباينةٌ لا يرجع بعضها إلى بعض .

ونستطيع بعد البحث والنظر فى هذه الأقوال التى اختلفت ولم تتباين ، أن نرجع هذ الخلاف إلى عدة أمور ، نذكرها ليتبين لنا أنه لا تنافى ولا تباين بين هذه الأقوال التى تبدو متعارضةً عن السلف ، وهى ما يأتى :

أولاً : أن يعبر كل واحدٍ من المفسرين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، وذلك مثل أسماء الله الحسنى ، وأسماء رسوله ﷺ ، وأسماء القرآن ، فإن أسماء الله كلها على مسمىً واحد ، فلا يكون دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم اخر منها ، بل الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ .

ومثال ذلك أيضاً تفسيرهم للصراط المستقيم ، فقال بعضهم : هو اتباع القرآن ، ومنهم من قال : هو اتباع السنة والجماعة ، ومنهم من قال : هو طريق

العبودية ، ومنهم من قال : هو طاعة الله ورسوله ﷺ ، وقيل غير ذلك فهذه كلها أقوال لا منافاة بينها ولا تباين ، بل كلها متفقة في الحقيقة ، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ، وهو طاعة الله ورسوله ، وهو طريق العبودية لله ، فالذات واحدة ، وكل أشار إليها ووصفها بصفة من صفاتها .

ثانياً : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدد في عمومه وخصوصه .

مثال ذلك ما نقل في قوله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ﴾ فبعضهم فسر السابق بمن يصلي في أول الوقت ، والمقتصد بمن يصلي في أثنائه ، والظالم بمن يصلي بعد فواته ، وبعضهم فسر السابق بمن يؤدي الزكاة المفروضة مع الصدقة ، والمقتصد بمن يؤديها وحدها ، والظالم بمانع الزكاة ، فكل من المفسرين ذكر فرداً من أفراد العام على سبيل التمثيل لا الحصر ، لتعريف المستمع أن الآية تتناول المذكور ، ولتنبيهه به على نظيره .

وهذا الاختلاف في ذكر المثال لا يؤدي إلى التباين والتناقض بين الأقوال ؛ إذ من المعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يتناول من تقرب بالحسنات مع الواجبات .

ثالثاً : أن يكون اللفظ محتملاً للأمرين أو الأمور ، وذلك إما لكونه مشتركاً في اللغة ، كلفظ قسورة ، الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد ، ولفظ عسعس ، الذي يراد به إقبال الليل ويراد به إدباره ، وإما لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد

النوعين ، أو أحد الشخصين ، كالضمائر فى قوله تعالى : ﴿ **ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ .. وكلفظ ﴿ **والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر** ﴾ .. وما ماثل ذلك ، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعانى التى قالها السلف ، وذلك إما لكون الآية نزلت مرتين ، فأريد بها هذا تارةً وهذه تارةً ، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه أو معانيه ، وهذا يقول به أكثر الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة، وكثيرٌ من أهل الكلام ، وإما لكون اللفظ متواطئاً ، فيكون عاماً إذا لم يكن هناك موجب لتخصيصه .

رابعاً : أن يعبروا عن المعانى بألفاظ متقاربة لا مترادفة ، فإن الترادف قليلٌ فى اللغة ، ونادرٌ أو معدومٌ فى القرآن ، وقلَّ أن يعبر عن لفظٍ واحدٍ بلفظٍ واحدٍ يؤدى جميع معناه ، وإنما يعبر عنه بلفظ فيه تقريبٌ لمعناه ، فمثلاً إذا قال قائل : ﴿ **يوم تمور السماء موراً** ﴾ .. المور : الحركة . فذلك تقريب للمعنى ؛ لأن المور حركة خفيفةٌ سريعةٌ . كذلك إذا قال ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب** ﴾ .. أى أعلمنا؛ لأن القضاء إليهم فى الآية أخص من الإعلام ؛ فإن فيه إنزالاً وإيحاءً إليهم .

خامساً : أن يكون فى الآية الواحدة قراءتان أو قراءات فيفسر كل منهم على حسب قراءةٍ مخصوصةٍ فيظن ذلك اختلافاً ، وليس باختلافٍ ، مثال ذلك : ما أخرجه ابن جريرٍ عن ابن عباسٍ وغيره من طرقٍ فى قوله تعالى : ﴿ **... لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا** ﴾ . إن معنى سُكِّرت : سُدَّت ، ومن طريق أخرى عنه : أن سُكِرت بمعنى أخذت وسحرت ، ثم أخرج عن قتادة أنه قال : من قرأ سُكِّرت مشددة ، فإنما يعنى سُدَّت . ومن قرأ سُكِرت مخففة ، فإنه يعنى سُحِرت .

هذه هى الأوجه التى بواسطتها نستطيع أن نجمع بين أقوال السلف التى تبدو متعارضة أما ما جاء عنهم من اختلافٍ فى التفسير يتعذر الجمع بينه بواحدٍ من

الأمور السابقة – وهذا أمرٌ نادرٌ ، أو اختلاف مخففٌ كما يقول ابن تيمية – فطريقنا فيه : أن ننظر فيمن نقل عنه الاختلاف ، فإن كان عن شخصٍ واحدٍ واختلفت الروايتان صحةً وضعفاً ، قدم الصحيح وترك ما عداه ، وإن استويتا فى الصحة وعرفنا أن أحد القولين متأخرٌ عن الآخر ، قدم المتأخر وترك ما عداه . وإن لم نعرف تقدم أحدهما على الآخر رددنا الأمر إلى ما ثبت فيه السمع . فإن لم نجد سمعاً وكان للاستدلال طريقٌ إلى تقوية أحدهما ، رجحنا ما قواه الاستدلال وتركنا ما عداه . وإن تعارضت الأدلة فعلينا أن نؤمن بمراد الله تعالى ولا نتهجم على تعيين أحد القولين ، ويكون الأمر حينئذٍ فى منزلة المجمل قبل تفصيله ، والمتشابه قبل تبيينه ، وكذلك الأمر إن كان الاختلاف عن شخصين أو أشخاصٍ .

ويرى الزركشى : أن الاختلاف إن كان بين الصحابة وتعذر الجمع ، قدم قول ابن عباسٍ على قول غيره ، وعلل ذلك فقال : (لأن النبى ﷺ بشره بذلك حيث قال : « اللهم علمه التأويل ») .

الخلاصة

عرفنا فى هذه الوحدة أشهر المفسرين من الصحابة وهم عبد الله بن عباسٍ وهو أشهرهم وعبد الله بن مسعودٍ ، وعليٍ بن أبى طالب ، وأبيّ بن كعب ، وعرفنا أن طرق الرواية عن هؤلاء الصحابة فيها الصحيح وفيها الضعيف وفيها المتروك المكذوب ، وخلصنا فى تقييم التفسير المأثور عنهم رضى الله عنهم أن له حكم المرفوع فيما تعلق بأسباب النزول وما لا مجال للرأى فيه ، وأن اجتهادهم رضى الله عنهم أولى من اجتهاد غيرهم ممن جاء بعدهم على خلاف ذلك .

وعرفنا أيضاً أن من مميزات التفسير فى هذه المرحلة أن القرآن لم يفسر جميعه ولم يدون شئ من تفسيره فى هذا العصر وأن الاختلاف فى معانى القرآن كان فى أدنى درجاته وأن التفسير اتخذ شكل الحديث بل وكان فرعاً من فروعه .

وفى عصر التابعين لم تختلف مصادر التفسير كثيراً عن عصر النبى ﷺ والصحابة ، اللهم إلا فى زيادة اعتمادهم على مرويات أهل الكتاب وزيادة لجوئهم إلى الاجتهاد والنظر ، وقد قامت بتفرق الصحابة فى الأمصار مدارس فى التفسير أهمها :

مدرسة مكة التى كان قيامها على ابن عباسٍ وأشهر رجالها : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وطاووس ، وعطاء .

ومدرسة المدينة ، وكان قيامها على أبى بن كعبٍ وأشهر رجالها : أبو العالية ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم .

ومدرسة العراق ، وكان قيامها على ابن مسعودٍ وأشهر رجالها : علقمةٌ ، ومسروقٌ ، والحسن البصرى ، وقتادة .

وخلصنا فى تقييم التفسير المأثور عن التابعين أنه يؤخذ به إذا اجتمعوا ، فإذا اختلفوا فلا يكن قول بعضهم حجةً على بعض .

وانتهينا إلى أن أهم ما يميز التفسير فى هذه المرحلة (عصر التابعين) هو كثرة دخول الإسرائيليات ، والاحتفاظ بطابع التلقى ، وظهور نواة الخلاف المذهبى كما أن الخلاف بين التابعين فى التفسير قد كثر عنه فى عهد الصحابة وإن ظل فى أضيق نطاقٍ إذا قيس بما جاء بعد ذلك .

وأخيراً عرفنا أن ما صح من الخلاف بين السلف فى التفسير إنما كان فى أكثره اختلاف عبارةٍ أو اختلاف تنوعٍ لا اختلاف تضادٍ كما ظن بعض الناس فحكاه على أنه أقوالٌ متباينةٌ لا يرجع بعضها إلى بعضٍ .

تحديد موضع الدرس

راجع التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى : جـ ١ من ص ٦٤ إلى ص ١٣٩ .

المراجع المساعدة :

١ – الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى : جـ ٢ ص ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

٢ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة : جـ ٣ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٥٦ – ٢٦٠ ، جـ٤ ص ١٦ – ٤٠ .

٣ – البرهان للزركشى : جـ ١ص ٤٩ – ٥١ .

التعريف بالمصطلحات

الأمصار : هى المدن والحواضر واحدها (مصر) .

الترجمة للشخص : هى نبذة عن لشخص للتعريف به (ميلاده – وفاته – فضله – شيوخه – تلاميذه – الخ ..)

أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى .

طرق الحديث : أسانيده واحدها (طريق أو إسناد) وهو سلسلة الرواة من الراوى إلى منتهى الحديث .

القِبْلَتَيْن : القبلة الأولى : المسجد الأقصى فى بيت لمقدس (القدس) والقبلة الثانية : الكعبة فى مكة المكرمة .

المرفوع من الحديث : هو ما ينسب إلى رسول الله ﷺ .

والموقوف من الحديث : هو ما انتهى سنده إلى الصحابى فقط .

التعديل والتجريح : من مصطلحات علوم الحديث ، فالتعديل هو توثيق العلماء للراوى والتجريح على العكس من ذلك أى عدم توثيقه بالطعن فى عدالته .

تدريبات الوحدة الثانية

١- تدريبات التقويم الذاتى

١- اذكر أشهر المفسرين من الصحابة ، وبين قيمة التفسير المأثور عنهم رضى الله عنهم .

٢- ما هى أشهر مدارس التفسير فى عهد التابعين ؟

٣- تكلم عن قيمة التفسير المأثور عن التابعين .

٤- ضع علامة (✓) أما الصواب ، وعلامة (×) أمام الخطأ مما يلى :

أ- إذا اجتهد الصحابى فى التفسير فلا يؤخذ عنه لأنهم رجال ونحن رجال ( )

ب- فى عصر الصحابة تم تفسير جميع القرآن ( )

جـ- تفسير الصحابى له حكم المرفوع إذا تعلق بأسباب النزول أو كان مما لا دخل للرأى فيه ( )

د- من مميزات التفسير فى عهد الصحابة قلة الاختلاف فى فهم معانى القرآن ( )

هـ - فى عصر التابعين فقد التفسير طابع التلقى ( )

و- ظهرت نواة الخلاف المذهبى فى عصر الصحابة ( )

ز- كثر دخول الإسرائيليات فى التفسير فى عصر التابعين ( )

حـ- كان قيام مدرسة مكة فى التفسير على عبد الله بن عباس ( )

٥- عرف المصطلحات الآتية :

الترجمة للشخص- طرق الحديث - الموقوف من الحديث .

٢- اسئلة التقويم المستمر

١- كان ابن عباس يلقب بالحبر لكثره علمه . اكتب فى هذا الموضوع مبيناً بالأدلة مبلغ علم ابن عباس رضى الله عنهما ومعدداً لأسباب نبوغه .

٢- اذكر قيمة تفسير ابن عباسٍ المسمى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) .

٣- اكتب فى أصح الطرق وأضعفها فى رواية التفسير عن : ابن عباسٍ ، عبد الله بن مسعودٍ .

٤- اذكر مصادر التفسير فى عصر التابعين .

٥- اكتب عن ثلاثةٍ من هؤلاء الرجال مبيناً مكانتهم فى التفسير : سعيد بن جبيرٍ ، عكرمة ، أبو العالية ، زيد بن أسلم ، علقمة بن قيسٍ ، قتادة بن دعامة .

٦- تكلم عن الخلاف بين السلف فى التفسير موضحاً كيفية حدوثه .

٣- نشاطات وتدريبات وبحوث

اختر بحثاً من البحوث الآتية :

١- مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباسٍ عليها .

٢- اكتب بالتفصيل عن مدرسة من مدارس التفسير فى عصر التابعين . مبيناً العناصر التالية :

- كيف نشأت هذه المدارس .
- الأماكن التى اشتهرت بذلك .
- أصح طرق الرواية عن إمام هذه المدرسة .
- رجال هذه المدرسة ونبذةً عن كلٍ .

الوحدة الثالثة

التفسير في عصور التدوين

[التفسير الموضوعي - التفسير بالمأثور]

المقدمة

درسنا في الوحدة السابقة التفسير في عصر التابعين فعرفنا مصادر التفسير في ذلك العصر وتعرفنا على أهم مدارس التفسير وعلى أشهر الرجال في هذه المدارس وبذلك نكون قد تعرفنا على مرحلتين من مراحل التفسير ، الأولى : كانت عصر النبي ﷺ والصحابة الكرام . والثانية : هي التفسير في عصر التابعين .

والآن نبدأ التعرف المرحلة التي تبدأ من ظهور التدوين ، وذلك في أواخر عهد بني أمية ، وأول عهد العباسيين ، وتستمر حتى يومنا هذا . وقد سار التفسير خلال هذه المراحل الثلاثة خطوات هامة طورت مناهجه من بساطة الرواية والتلقي إلى علم له قواعده وأصوله ، وغيرت معالمه من تفسير لكلام الله تعالى ، إلى أشياء أخرى يأتي الكلام عليها قريباً إن شاء الله .

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملمًا بما يلي :

[١] الإلمام بالخطوات التي قطعها التفسير منذ نشأته إلى يومنا هذا .

[٢] معرفة معنى التفسير الموضوعي .

[٣] دراسة التفسير بالمأثور من حيث .

أ- تدرجه .

ب- أسباب ضعفه .

جـ- معرفة أشهر ما دُوِّن من كتب فيه (نماذج) .

الرسم التوضيحي

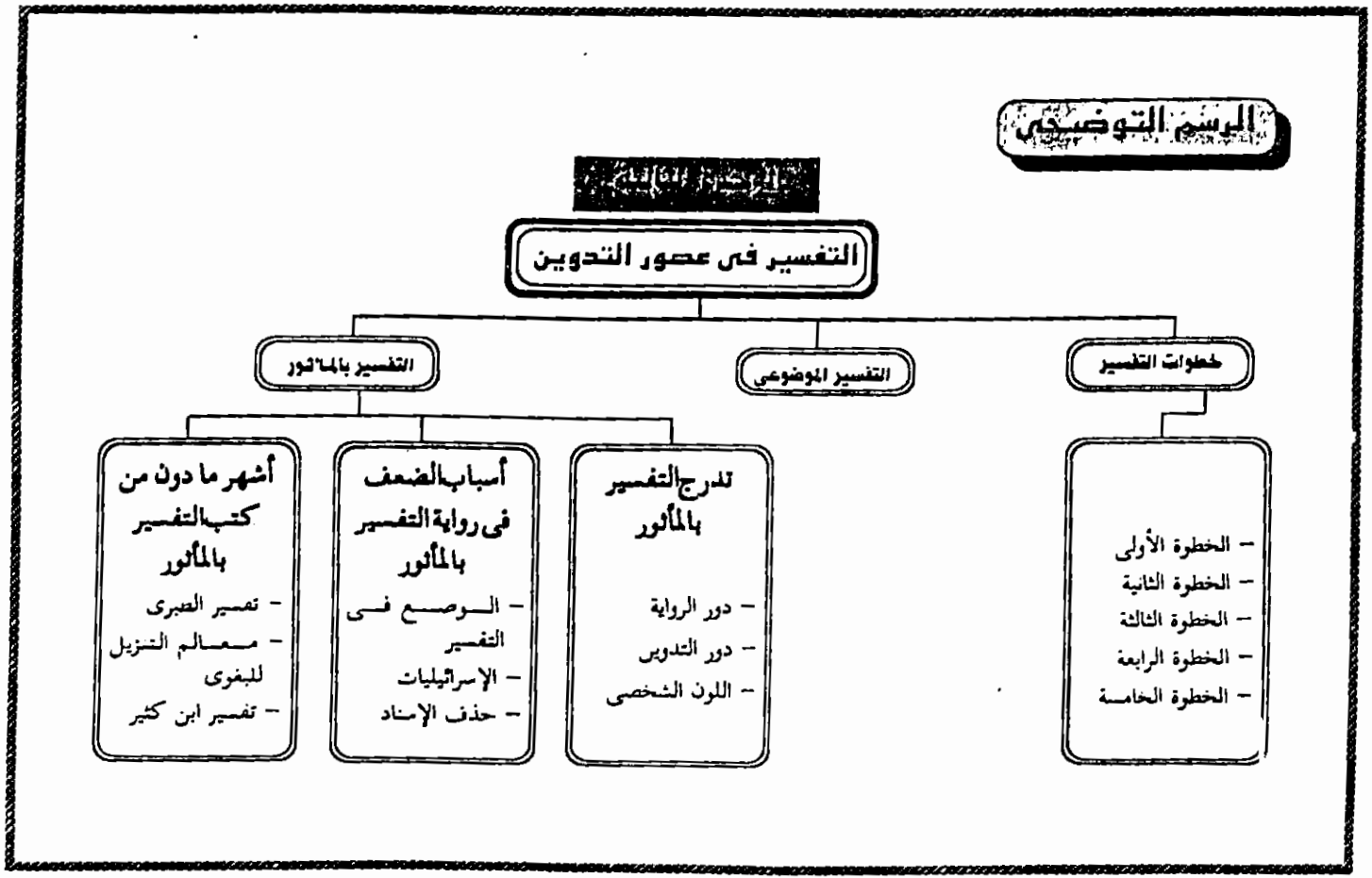

خطوات التفسير وتدرجها

الخطوة الأولى :

كان التفسير فى البداية يتناقل بطريق الرواية ، فالصحابة يروون عن رسول الله ﷺ ، كما يروى بعضهم عن بعض ، والتابعون يروون عن الصحابة ، كما يروى بعضهم عن بعضٍ ، وهذه هى الخطوة الأولى للتفسير .

الخطوة الثانية :

ثم بعد عصر الصحابة والتابعين ، خطا التفسير خطوةً ثانيةً ، وذلك حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله ﷺ ، فكانت أبوابه متنوعةً ، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التى اشتمل عليها الحديث ، فلم يفرد له تأليفٌ خاصٌ يفسر القرآن سورةً سورةً ، وآيةً آيةً ، من مبدئه إلى منتهاه ؛ بل وجد من العلماء من طوف فى الأمصار المختلفة ليجمع الحديث ، فجمع بجوار ذلك ما روى فى الأمصار من تفسيرٍ منسوبٍ إلى النبى ﷺ ، أو إلى الصحابة ، أو إلى التابعين .

الخطوة الثالثة :

ثم بعد هذه الخطوة الثانية ، خطا التفسير خطوةً ثالثةً ، انفصل بها عن الحديث ، فأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع التفسير لكل آيةٍ من القرآن ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ، وتم ذلك على أيدى طائفة من العلماء منهم ابن ماجة ، وابن جريرٍ الطبرى ، وأبو بكر بن المنذر النيسابورى ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن .

وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ ، وإلى الصحابة ، والتابعين ، وتابع التابعين .

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التى انفصل بها عن الحديث ، فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به ، بل معناه أن التفسير تدرج فى خطواته .

فكل هذه الخطوات ، تم إسلام بعضها إلى بعضٍ ، بل وظل المحدثون بعد هذه الخطوة الثالثة ، يسيرون على نمط الخطوة الثانية ، من رواية المنقول من التفسير فى بابٍ خاصٍ من أبواب الحديث ، مقتصرين فى ذلك على ما ورد عن رسول الله ﷺ ، أو عن الصحابة أو عن التابعين .

ليس من السهل معرفة أول من دون تفسير كل القرآن مرتباً :

هذا ، ولا نستطيع أن نعين بالضبط ، المفسر الأول الذى فسر القرآن آيةً آيةً ، ودونه على التتابع وحسب ترتيب المصحف .

الخطوة الرابعة :

ثم إن التفسير لم يقف عند هذه الخطوة الثالثة بل خطا بعدها خطوةً رابعةً ، لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور ، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد ، فصنف فى التفسير خلقٌ كثيرٌ ، اختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها ، فدخل الوضع فى التفسيرِ والتبس الصحيح بالعليل ، وأصبح الناظر فى هذه الكتب يظن أن كل ما فيه صحيح ، فنقله كثير من المتأخرين فى تفاسيرهم ، ونقلوا ما جاء فى هذه الكتب من إسرائيلياتٍ على أنها حقائق ثابتة ، وكان ذلك هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرائيليات فى التفسير .

الخطوة الخامسة :

ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوةً خامسةً ، هى أوسع الخطا وأفسحها ، امتدت من العصر العباسى إلى يومنا هذا ، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما

نقل عن سلف هذه الأمة ، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلى بالتفسير النقلى ، وكان ذلك على تدرج ملحوظ فى ذلك .

تدرج التفسير العقلى :

بدأ ذلك أولا على هيئة محاولات فهم شخصى ، وترجيح لبعض الأقوال على بعض ، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلى منه إلى حدود اللغة ودلالةً الكلمات القرآنية . ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصى تزداد وتتضخم ، متأثرةً بالمعارف المختلفة ، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرةً، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعدٍ عظيم .

وهكذا تدرج التفسير ، واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهاتٍ متنوعةً ، وتحكمت المصطلحات العلمية ، والعقائد المذهبية فى عبارات القرآن الكريم ، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين فى تفسير القرآن ، كما ظهرت آثار التصوف واضحةً فيه ، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جليًا .

وإنا لنلحظ فى وضوحٍ وجلاءٍ . أن كل من برع فى فنٍ من فنون العلم ، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذى برع فيه .

وقد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية وراجت فى بعض العصور رواجاً عظيماً ، كما راجت فى عصرنا الحاضر تفسيراتٌ يريد أهلها من ورائها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم ، ما ظهر منها وما لم يظهر ، كأن هذا فيما يبدو وجه من وجوه إعجاز القرآن وصلاحيته لأن يتمشى مع الزمن . وفى الحق أن هذا غلو منهم ، وإسراف يخرج القرآن عن مقصده الذى نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذى يرمى إليه .

التفسير الموضوعي :

وكذلك وجد من العلماء من ضيق دائرة البحث فى التفسير ؛ فتكلم عن ناحيةٍ واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة ، فابن القيم – مثلاً – أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن سماه (التبيان فى أقسام القرآن) . وأبو عبيدة أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن ، والراغب الأصفهانى ، أفرد كتاباً فى مفردات القرآن.. وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين قصدوا إلى موضوعٍ خاصٍ فى القرآن يجمعون ما تفرق منه ، ويفردونه بالدرس والبحث .

التفسير بالمأثور

ما هو التفسير المأثور ؟

يشمل التفسير المأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول ﷺ ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين ، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم .

أولاً : تدرج التفسير المأثور :

تدرج التفسير المأثور فى دوريه – دور الرواية ودور التدوين – أما فى **دور الرواية** ؛ فإن رسول الله ﷺ بين لأصحابه ما أشكل عليهم من معانى القرآن ؛ فكان هذا القدر من التفسير يتناوله الصحابة بالرواية بعضهم لبعض ، ولمن جاء بعدهم من التابعين .

ثم وجد من الصحابة من تكلم فى تفسير القرآن بما ثبت لديه عن رسول الله ﷺ ، أو بمحض رأيه واجتهاده ، وكان ذلك على قلة .

ثم وجد من التابعين من تصدى للتفسير ، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ، وزاد على ذلك من القول بالرأى والاجتهاد ، بمقدار ما زاد عن الغموض الذى كان يتزايد كلما بعد الناس عن عصر النبى ﷺ والصحابة .

ثم جاءت الطبقة التى تلى التابعين وروت عنهم ما قالوا ، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من غموض .

ثم ابتدأ **دور التدوين** ، فكان أول ما دون من التفسير ، هو التفسير المأثور ، على تدرج فى التدوين كذلك ، فكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول فى

هذا ، وقد رأينا أصحاب مبادئ العلوم يعدون واضع التفسير - بمعنى جامعه لا مدونه - الإمام مالك بن أنسٍ الأصبحى ، إمام دار الهجرة وكان التفسير إلى هذا الوقت يكتب على أنه بابٌ من أبواب الحديث المختلفة ، يجمعون فيه ما روى عن النبى ﷺ وعن الصحابة والتابعين .

ثم بعد ذلك انفصل التفسير عن الحديث ، وأفرد بتأليفٍ خاصٍ ، فكان أول ما عرف لنا من ذلك ، تلك الصحيفة التى رواها علىٌّ بن أبى طلحة عن ابن عباسٍ .

ثم وجد من ذلك جزءٌ أو أجزاءٌ دونت فى التفسير خاصةً ، مثل ذلك الجزء المنسوب لأبى روقٍ وتلك الأجزاء الثلاثة التى يرويها محمد بن ثورٍ عن ابن جريجٍ .

ثم وجدت من ذلك موسوعاتٌ من الكتب المؤلفة فى التفسير ، جمعت كل ما وقع لأصحابها من التفسير المروى عن النبى ﷺ وأصحابه وتابعيهم ، كتفسير ابن جريرٍ الطبرى .

ثم وجد بعد هذا أقوامٌ دونوا التفسير المأثور بدون أن يذكروا أسانيدهم فى ذلك، وأكثروا من نقل الأقوال فى تفاسيرهم بدون تفرقةٍ بين الصحيح والعليل ، مما جعل الناظر فى هذه الكتب لا يركن لما جاء فيها ، لجواز أن يكون من قبيل الموضوع ، وهو كثيرٌ فى التفسير .

اللون الشخصى للتفسير المأثور :

من المعلوم أن الشخص الذى يفسر نصاً من النصوص ، يلون هذا النص بتفسيره إياه ، لأن المتفهم لعبارة من العبارات ، هو الذى يحدد معناها ومرماها وفق مستواه الفكرى ، وعلى سعة أفقه العقلى .

هذا الطابع الشخصى الذى يطبع به التفسير ، إن ظهر جلياً واضحاً فى كتب

التفسير بالرأى ، فإنا لا نكاد نجده لأول وهلة على هذا النحو من الوضوح والجلاء بالنسبة لكتب التفسير بالمأثور ، ولكن نستطيع أن نتبينه إذا ما قدرنا أن المتصدى لهذا التفسير النقلى إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه متعلقة به وذلك حينما يقبل مروياً ويعنى به أو يرفض مروياً حين لا يرتاح إليه .

وكذلك راج بين المتقدمين – كما لاحظه ابن خلدون فى مقدمته – ما هم فى شوق إليه وتعلق به ، من أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وتفصيل الأحداث الكبرى فى تاريخ الإنسانية الأولى ، نظراً لبداوتهم وأميتهم ، وقلة المتداول بينهم منه ، فكان من وراء ذلك كثرة الإسرائيليات ، وليس من شك فى أنه صورة عقلية ، وطابع شخصى لهذا العصر الأول ، كما أنه صورة عقلية ، وطابع شخصى لكل من يقبل هذه الإسرائيليات ، ويفسر آيات القرآن على ضوئها .

ثم إننا بعد هذا نلحظ لوناً شخصياً آخر فى التفسير النقلى ، ذلك أن الشخص الذى يعرف قيمة الرجال ، ويستطيع أن ينقد السند ، ويعرف أسباب الضعف فى الرواية ، نرى تفسيره يطبع بهذا الطابع الشخصى الخاص ، فيتحرى الصحة فيما يرويه.

أما الشخص الذى لا دراية له بأسباب الضعف فى الرواية ، وليس عنده القدرة على نقد الرجال ونقد المروى عنهم فحاطب ليل ، يجمع كل ما ينقل له فى ذلك بدون أن يفرق بين الصحيح وغيره .

ثانياً : الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه :

علمنا مما تقدم أن التفسير المأثور يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن ، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة ، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروى عن التابعين ، أما تفسير القرآن بالقرآن ، أو بما ثبت من السنة الصحيحة ، فذلك مما لا خلاف فى قبوله ؛ لأنه لا يتطرق إليه الضعف ولا يجد الشك إليه سبيلاً .

وأما ما أضيف إلى النبى ﷺ وهو ضعيفٌ فى سنده أو متنه فذلك مردودٌ غير مقبولٍ ، ما دام لم تصح نسبته إلى النبى ﷺ .

وأما تفسير القرآن بما يروى عن الصحابة أو التابعين ، فقد تسرب إليه الخلل ، وتطرق إليه الضعف ، إلى حدٍ كاد يفقدنا الثقة بكل ما روى من ذلك ، لولا أن قيض الله لهذا التراث العظيم من أزاح عنه هذه الشكوك ، فسلمت لنا منه كميةٌ لا يستهان بها ، وإن كان صحيحها وسقيمها لا يزال خليطاً فى كثيرٍ من الكتب التى عنى أصحابها بجمع شتات الأقوال .

أسباب الضعف :

ونستطيع أن نرجع أسباب الضعف فى رواية التفسير المأثور إلى أمورٍ ثلاثة :

أولها : كثرة الوضع فى التفسير .

ثانيها : دخول الإسرائيليات فيه .

ثالثها : حذف الأسانيد .

١- الوضع في التفسير

نشأة الوضع فى التفسير :

نشأ الوضع فى التفسير مع نشأته فى الحديث ، لأنهما كانا أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر ، فكما أننا نجد فى الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، وفى رواته من هو موثوقٌ به ، ومن هو مشكوكٌ فيه ، ومن عرف بالوضع ، نجد مثل ذلك فيما روى من التفسير ، ومن روى من المفسرين .

وكان مبدأ ظهور الوضع فى سنة إحدى وأربعين من الهجرة .

أسبـــابه:

ويرجع الوضع فى التفسير إلى أسبابٍ متعددةٍ : منها التعصب المذهبى ، فإن ما وجد من افتراق الأمة إلى شيعةٍ تطرفوا فى حب على ، وخوارج انصرفوا عنه وناصبوه العداء ، وجمهور المسلمين الذين وقفوا بجانب هاتين الطائفتين بدون أن يمسهم شئ من ابتداع التشيع أو الخروج ، جعل كل طائفة من هذه الطوائف تحاول بكل جهودها أن تؤيد مذهبها بشئٍ من القرآن .

كذلك نجد اللون السياسى فى هذا العصر يترك له أثراً بيناً فى وضع التفسير ، ويلاحظ أن المروى عن على وابن عباسٍ رضى الله عنهما قد جاوز حد الكثرة .

فقد كان لعلى من الشيعة ما ليس لغيره ، فنسبوا إليه من القول فى التفسير ما يظنون أنه يعلى من قدره ، ويرفع من شأنه ، وابن عباسٍ كان من نسله الخلفاء العباسيون ، فوجد من الناس من تزلف إليهم ، وتقرب بكثرة ما يرويه لهم عن جدهم ابن عباس .

كذلك نجد أن من أسباب الوضع فى التفسير ما قصده أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام ، من الكيد له ولأهله ، فعمدوا إلى الدس والوضع فى التفسير بعد أن عجزا عن أن ينالوا من هذا الدين عن طريق الحرب والقوة، أو عن طريق البرهان والحجة .

أثر الوضع فى التفسير :

وكان من وراء هذه الكثرة التى دخلت فى التفسير ودست عليه ، أن ضاع كثيرٌ من هذا التراث العظيم الذى خلفه لنا أعلام المفسرين من السلف ، لأن ما أحاط به من شكوك ، أفقدنا الثقة به ، وجعلنا نرد كل روايةٍ تطرق إليها شئٌ من الضعف ، وربما كانت صحيحةً فى ذاتها .

كما أن اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها ، جعل بعض من ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بين الصحيح العليل ، ينظر إلى جميع ما روى بعينٍ واحدةٍ ، فيحكم على الجميع بالصحة ، وربما وجد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسر واحد فاتهمه بالتناقض فى قوله ، ويتهم المسلمين بقبول هذه الروايات المتناقضة المتضاربة .

ونحن لا ننكر أن هناك اختلافاً بين السلف فى التفسير ، كما لا ننكر أن هناك اختلافاً بين قولين أو أقوالٍ لشخصٍ واحدٍ منهم ، ولكن هذا الاختلاف قلنا عنه فيما سبق مفصلاً : إن معظمه يرجع إلى اختلاف عبارةٍ وتنوعٍ ، لا اختلاف تناقضٍ وتضادٍ ، فما كان من هذا القبيل ، فالجمع بينه سهل ميسور ، وما لم يمكن فيه الجمع ، فالمتأخر بين القولين عن الشخص الواحد مقدم إن استويا فى الصحة عنه ، وإلا فالصحيح المقدم .

أما إذا تعارضت أقوال جماعةٍ من الصحابة وتعذر الجمع أو الترجيح ، فيقدم ابن عباسٍ على غيره ، لأن النبى ﷺ بشره بذلك حيث قال : « اللهم علمه التأويل » ، وقد رجح الشافعى قول زيدٍ فى الفرائض لحديث « أفرضكم زيد » .

قيمة التفسير الموضوع :

ثم إن هذا التفسير الموضوع ، لو نظرنا إليه من ناحيته الذاتية بصرف النظر عن ناحيته الإسنادية ، لوجدنا أنه لا يخلو من قيمته العلمية ؛ لأنه مهما كثر الوضع فى التفسير فإن الوضع ينصب على الرواية نفسها .

فالموضوع من التفسير – والحق يقال – لم يكن مجرد خيالٍ أو وهمٍ خلق خلقاً بل له أساس ما ، يهم الناظر فى التفسير درسه وبحثه ، وله قيمته الذاتية وإن لم يكن له قيمته الإسناديه .

٢- الإسرائيليات

بيان المراد بالإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين القرآن :

لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودى للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثرٍ ظاهرٍ فيه ، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنريد به ما يعم اللون اليهودى واللون النصرانى للتفسير ، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية .

وإذا نحن أجلنا النظر فى التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثيرٍ مما اشتمل عليه القرآن الكريم ، وبخاصةٍ ما كان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام ، وذلك على اختلافٍ فى الإجمال والتفصيل ، فالقرآن إذا عرض لقصةٍ من قصص الأنبياء – مثلاً – فإنه ينحو فيها ناحيةً يخالف بها منحى التوراة أو الإنجيل ، فتراه يقتصر على مواضع العظة ، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل ، فلا يذكر تاريخ الوقائع ، ولا أسماء البلدان التى حصلت فيها كما أنه لا يذكر فى الغالب أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث ، ويدخل فى تفاصيل الجزئيات ، بل يتخير من ذلك ما يمس جوهر الموضوع ، وما يتعلق بموضع العبرة .

فهل يجد المسلمون هذا الإيجاز فى كتابهم ، ويجدون بجانب ذلك تفصيلاً لهذا الإيجاز فى كتب الديانات الأخرى ، ثم لا يقتبسون منها بقدر ما يرون أنه شارحٌ لهذا الإيجاز موضحٌ لما فيه من غموض ؟ ... هذا ما نريد أن نعرض له فى هذا البحث ، ليتبين لنا كيف دخلت الإسرائيليات فى التفسير ، وكيف تطور هذا الدخول ، وإلى أى حدٍ تأثر التفسير بالتعاليم اليهودية والنصرانية .

مبدأ دخول الإسرائيليات فى التفسير وتطوره :

نستطيع أن نقول : إن دخول الإسرائيليات فى التفسير ، أمرٌ يرجع إلى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل فى ذكر بعض المسائل كما تقدم ، مع فارقٍ واحدٍ ؛ هو الإيجاز فى القرآن ، والبسط والإطناب فى التوراة والإنجيل . وسبق لنا القول بأن الرجوع إلى أهل الكتاب ، كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة .

غير أنهم – رضوان الله عليهم أجمعين – لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ ، ولم يقبلوا منهم كل شئ ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها ، مع توقفهم فيما يلقى إليهم ، فلا يحكمون عليه بصدقٍ أو بكذبٍ ما دام يحتمل كلا الأمرين ، امتثالاً لقول الرسول ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : ﴿ **آمنا بالله وما أنزل إلينا** ﴾ .. الآية .

كما أنهم لم يسألوهم عن شئٍ مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن .

كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التى يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ... الخ .

ولهذا قال الدهلوى بعد أن بين أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعنى : (وكانت الصحابة رضى الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحاً من قبيل تضييع الأوقات) .

كذلك كان الصحابة لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة . بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شئ فأجابوا عنه

خطأ ، ردوا عليهم خطأهم . وبينوا لهم وجه الصواب فيه .

ومهما يكن من شيء فإن الصحابة – رضى الله عنهم – لم يخرجوا عن دائرة الجواز التى حدها لهم رسول الله ﷺ وعما فهموه من الإباحة فى قوله عليه السلام «بلغوا عنى ولو آيةً ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

كما أنهم لم يخالفوا قول رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا ... ﴾ الآية .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح عند شرحه لهذا الحديث : وقال الشافعى: من المعلوم أن النبى ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم .

وأما الحديث الثانى فقد قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً، لئلا يكون فى نفس الأمر صدقاً فتكذبوه ، أو كذباً فتصدقوه ، فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله .

هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم . أما التابعون فقد توسعوا فى الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية فى التفسير ، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام ، وميل نفس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية ، فظهرت فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة فى التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى ، فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقض ،

من هؤلاء : مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ الذى نسبه أبو حاتم إلى أنه استقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما فى كتبهم .

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات ، وأفرط فى الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل !!

إلى أن جاء دور التدوين للتفسير ، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلى ، الذى كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها .

أثر الإسرائيليات فى التفسير :

ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيئ فى التفسير ، وفى الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثيرٍ من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصصٍ مكذوبٍ وأخبارٍ لا تصح ، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب ، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة .

قيمة ما يروى من الاسرائيليات :

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسامٍ ثلاثةٍ ، وهى ما يأتى :

القسم الأول : ما يعلم صحته بأن نقل عن النبى ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر ، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله ﷺ كما عند البخارى أو كان له شاهدٌ من الشرع يؤيده . وهذا القسم صحيحٌ مقبولٌ.

القسم الثانى : ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا ، أو كان لا يتفق مع العقل ، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته .

القسم الثالث : ما هو مسكوتٌ عنه ، لا هو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثانى ، وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ونجوز حكايته ؛ لما تقدم من قوله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ... » الآية .

ثم إذا جاء شئٌ من هذا القبيل – أعنى ما سكت عنه الشرع ولم يكن فيه ما يؤيده أو يفنده – عن أحدٍ من الصحابة بطريق صحيح ، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول ، يقبل لا يرد .

وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله ؛ لأن احتمال أن يكون الصحابى قد سمعه من النبى ﷺ ، أو ممن سمعه منه أقوى من احتمال السماع من أهل الكتاب .

أما إن جاء شئ من هذا عن بعض التابعين ، فهو مما يتوقف فيه ولا يحكم عليه بصدقٍ ولا بكذبٍ ؛ وذلك لقوة احتمال السماع من أهل الكتاب ؛ لما عرفوا به من كثرة الأخذ عنهم ، وبعد احتمال كونه مما سمع من رسول الله ﷺ ، وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك، وحينئذٍ تسكن النفس إلى قبوله والأخذ به . والله أعلم .

موقف المفسر إزاء هذه الإسرائيليات :

علمنا أن كثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقةٍ بين لصحيح والعليل دسيسةٌ دخلت فى ديننا واستفحل خطرها ، كما علمنا أن قوله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » قاعدة مقررةٌ لا يصح العدول عنها بأى حالٍ من الأحوال ،

وبعد هذا وذاك نقول : إنه يجب على المفسر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة ، ناقداً إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقةٍ وروية .

كما يجب عليه أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان فى سنة نبينا ﷺ بيانٌ لمجمل القرآن .

كذلك يجب على المفسر أن يلحظ أن الضرورى يتقدر بقدر الحاجة ، فلا يذكر فى تفسيره شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال .

إذا اختلف المتقدمون فى شئ من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم ، فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال جميعاً ، على أن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وليس له أن يحكى الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال .

على أن الخير للمفسر أن يعرض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات وأن يمسك عما لا طائل تحته وبدهى أن هذا أحكم وأسلم .

أقطاب الروايات الإسرائيلية

١ - عبد الله بن سلام

ترجمته :

هو أبو يوسف ، عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى الأنصارى ، حليف بنى عوفٍ من الخزرج ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام . أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة .

قيل : وكان اسمه الحصين ، فسماه النبى ﷺ عبد الله ؛ وشهد له بالجنة .

ونجد البخارى رضى الله عنه – عند الكلام عن مناقب الأنصار – يفرد لعبد الله بن سلام باباً مستقلاً فى مناقبه ، فروى فيما روى من ذلك بإسناده إلى سعد بن أبى وقاصٍ أنه قال : ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحدٍ يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ، وقال : فيه نزلت هذه الآية : ﴿ **وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل** ﴾ .. الآية .

روى عن النبى ﷺ ، وروى عنه ابناه : يوسف ومحمد ، وعوف بن مالكٍ ، وأبو هريرة ، وأبو بردة بن أبى موسى ، وعطاء بن يسارٍ ، وغيرهم . وشهد مع عمر رضى الله عنه فتح بيت المقدس والجابية . ومات بالمدينة سنة ٤٣ هـ (ثلاثٍ وأربعين من الهجرة) ، وقيل غير ذلك . وقد عده بعضهم فى البدريين ، أما ابن سعدٍ فذكره فى الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها .

مبلغه من العلم والعدالة :

أما مبلغه من العلم ، فيكفى ما جاء فى حديث البخارى من إخباره عن نفسه : أنه أعلم اليهود وابن أعلمهم ، وإقرار اليهود بين يدى رسول الله ﷺ بذلك . والحق أنه اشتهر بين الصحابة بالعلم .

وليس عجيباً أن يكون عبد الله بن سلام فى هذه المكانة العالية من العلم بعد أن اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن ، وبعد أن امتزجت فيه الثقافتان اليهودية والإسلامية ، ولقد نقل عنه المسلمون كثيراً مما يدل على علمه بالتوراة وما حولها .

ونحن أمام ما يروى عنه من ذلك لا نزيف كل ما قيل ، ولا نقبل كل ما قيل ، بل علينا أن نعرض كل ما يروى عنه على مقياس الصحة المعتبر فى باب الرواية، فما صح قبلناه ، وما لم يصح رفضناه .

هذا ، وإنا لا نستطيع أن نتهم الرجل فى علمه ، ولا فى ثقته وعدالته ، بعد ما

علمت أنه من خيار الصحابة وأعلمهم ، وبعد ما جاء فيه من آيات القرآن ، وبعد أن اعتمده البخارى وغيره من أهل الحديث .

٢- كعب الأحبار

ترجمته :

هو أبو إسحاق ، كعب بن ماتع الحميرى ، المعروف بكعب الأحبار ، من آل ذى رعينٍ ، وقيل من ذى الكلاع ، وأصله من يهود اليمن .

قال ابن حجر فى الفتح : إن إسلامه فى خلافة عمر أشهر ، وبعد إسلامه انتقل إلى المدينة ، وغزا الروم فى خلافة عمر ، ثم تحول فى خلافة عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص سنة ٣٢ هـ (اثنين وثلاثين من الهجرة) على أرجح الأقوال ، وقد بلغ مائةً وأربعين سنةً . روى عن رسول الله ﷺ مرسلاً وعن عمر ، وصهيبٍ ، وعائشة . وروى عنه معاوية ، وأبو هريرة ، وابن عباسٍ ، وعطاء بن أبى رباحٍ وغيرهم .

مبلغه من العلم :

كان كعب بن ماتعٍ على مبلغ عظيم من العلم ؛ ولهذا كان يقال له كعبٌ الحبر وكعب الأحبار ، ولقد نقل عنه فى التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الإسلامية ، ولم يؤثر عنه أنه ألف كما ألف وهب بن منبه ، بل كانت تعاليمه كلها – على ما يظهر لنا وما وصل إلينا – شفوية تناقلها عنه أصحابه ومن أخذوا عنه .

ثقته وعدالته :

لا نستطيع أن نطعن عليه كما طعن بعض الناس ، فابن عباسٍ على جلالة قدره، وأبو هريرة على مبلغ علمه ، وغيرهما من الصحابة كانوا يأخذون عنه ويروون له، ونرى الإمام مسلماً يخرج له فى صحيحه ، فقد وقعت الرواية عنه فى مواضع من صحيحه فى أواخر كتاب الإيمان ، كما نرى أبا داود والترمذى والنسائى يخرجون له.

يروى ابن جريرٍ أنه جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له : اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب الله عز وجل .. فى التوراة ، قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التورة ! قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك)

وهذه القصة ، إن صحت دلت على وقوف كعبٍ على مكيدة قتل عمر ، ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الإسرائيلية ، ولكن لسنا نعتقد صحة هذه القصة ، ورواية ابن جريرٍ لها لا تدل على صحتها .

ثم إن ما يعرف عن كعب الأحبار من دينه ، وخلقه ، وأمانته ، وتوثيق أكثر أصحاب الصحاح له ، يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعةٌ عليه .

كذلك نجد السيد محمد رشيد رضا – رحمه الله – فى مقدمة تفسيره بعد أن ذكر كلاماً لابن تيمية فى شأن ما يروى من الإسرائيليات عن كعبٍ ووهبٍ يقول ما نصه : (فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق – يريد ابن تيمية – جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة لإسرائيليات . وهذا فى غير ما يقوم الدليل على بطلانه فى نفسه ، وصرح فى هذا المقام بروايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما ، فكيف لو تبين له ما تبين لنا من كذب كعبٍ ووهبٍ وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها

شئٌ منه ولا حومت حوله) أ.هـ.

عبارة ابن تيمية التى ذكرها الشيخ لا تفيد ذلك الذى قاله ، وإنما تفيد أن ما جاء عن رواة الإسرائيليات يتوقف فيه إذا كان مما هو مسكوتٌ عنه فى شرعنا ولم يقم دليلٌ على بطلانه ، أما ما روى عنهم موافقاً لما جاء فى شرعنا فهذا صحيحٌ مقبولٌ بدون توقف ، كما نص عليه ابن تيمية فى ص ٢٦ ، ٢٧ من مقدمة فى أصول التفسير .

كما أننا لا نقر الشيخ على هذا الاتهام البليغ لكعبٍ ووهبٍ ، ولا على رميهما بالكذب ، ولا على ادعاء عزوهما إلى التوراة وغيرها ما ليس فيها ، كما أنا لا نقره على اتهامه لعلماء الجرح التعديل الذين طهروا لنا السنة ، وأزاحوا عنها ما لصق بها من الموضوعات ، وبينوا لنا الصحيح والعليل منها والعدل والمجروح من رواتها .

ولا أظن إلا أنه استند إلى ما جاء عن معاوية رضى الله عنه عند البخارى فى شأن كعبٍ ، وهذا نصه كما فى صحيح البخارى :

قال أبو اليمان : أخبرنا شعيبٌ عن الزهرى : أخبرنى حميد بن عبد الرحمن : أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريشٍ بالمدينة وذكر كعب الأحبار، فقال : (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب) .

نعم ، إن حديث البخارى الذى رواه عن معاوية ، يشعر لأول وهلةٍ بنسبة الكذب إلى كعب ، ولكن لو رجعنا إلى شراح الحديث لوجدناهم جميعاً يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأحبار .

قال ابن حجر فى الفتح عند قوله : (وإن كنا لنبلوا عليه الكذب) أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به ، قال ابن التين : وهذا نحو قول ابن عباس

فى حق كعب المذكور : بدل من قبله فوقع فى الكذب .

وقال ابن حبان فى كتاب الثقات : أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذاباً .

وقال ابن الجوزى : المعنى أن بعض الذى يخبر به كعبٌ عن أهل الكتاب يكون كذباً ، لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار .

هذه هى الأقوال التى سردها لنا الحافظ ابن حجر ، ونحن نميل إلى القول بأن كعباً كان يروى ما يرويه على أنه صحيح لم يبدل ولم يحرف ، فهو لم يتعمد كذباً ولا ينسب إلى كذبٍ ، وإن كان ما يرويه كذباً فى حد ذاته ، خفى عليه كما خفى على غيره ، ولهذا التحريف والتبديل نهى رسول الله ﷺ عن تصديق أهل الكتاب وعن تكذيبهم فيما يروونه من ذلك ، لأنه ربما كان صدقاً فيكذبونه أو كذباً فيصدقونه فيقعون فى الحرج .

٣- وهب بن منبه

ترجمته :

هو أبو عبد الله ، وهب بن منبه بن سيج بن ذى كنازٍ، اليمانى الصنعانى ، صاحب القصص ، من خيار علماء التابعين : ولد سنة ٣٤ هـ ومات سنة ١١٠ هـ وقيل غير ذلك .

روى عن أبى هريرة ، وأبى سعيدٍ الخدرى ، وابن عباسٍ ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، وجابرٍ ، وأنسٍ ، وغيرهم ، وروى عنه ابناه : عبد الله وعبد الرحمن ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم . وأخرج له البخارى ، ومسلمٌ ، والنسائى ، والترمذى ، وأبو داوود .

مبلغه من العلم والعدالة :

كان وهب بن منبه واسع العلم ، كثير الاطلاع على الكتب القديمة ، محيطاً بأخبار وقصص يتعلق بأخبار الأول ومبدأ العالم ، ومما يؤثر عنه أنه ألف كتاباً فى المغازى .

قال أحمد : وكان يتهم بشيءٍ من القدر ثم رجع ، وقال الجوزجانى : كان وهب كتب كتاباً فى القدر ثم حدث أنه ندم عليه .

فأنت ترى من بين هذه الأخبار أن وهباً كان على ناحيةٍ عظيمةٍ من المعرفة بالكتب الإلهية القديمة ، كما ترى أنه لم يثبت على رأيه وعقيدته فى القدر بل تركها بعد ما تبين له الحق ، وندم على ما كان منه بعد أن ظهر له الصواب ، وبعد رجوعه عن رأيه لا يصح أن نطعن عليه من هذه الناحية .

مطاعن بعض الناس عليه :

ومع تلك المنزلة العالية التى كان عليها وهبٌ ، طعن عليه بعض الناس كما طعن على كعبٍ ؛ ورموه بالكذب والتدليس وإفساد عقل بعض المسلمين وعقائدهم .

رأينا فيه وشهادات الموثقين له :

لا يُنكر أن صاحبنا أكثر من الإسرائيليات ، وقص كثيراً من القصص إلا إنى لا أتهمه بالكذب ، ولا أنسب إليه إفساد العقول والعقائد ، ولا أحمله تبعة ذلك .

قال الذهبى : كان ثقةً صادقاً ، كثير النقل من كتب الإسرائيليات ، وقال ابن حجر : وهب بن منبه الصنعانى من التابعين ، وثقه الجمهور .

ونحن أمام توثيق الجمهور له ، واعتماد البخارى وغيره لحديثه ، وما ثبت عنه من الورع والصلاح ، لا نقول إلا أنه رجلٌ مظلومٌ من متهميه ، ومظلومٌ هو وكعبٌ

من أولئك الذين استغلوا شهرة الرجلين ومنزلتهما العلمية ، فنسبوا إليهما ما لا يصح عنهما ، وشوهوا سمعتهما ، وعرضوهما للنقد اللاذع والطعن المرير !! ..

٤- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج

ترجمته :

هو أبو خالد ، أو أبو الوليد ، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الأموى مولاهم . أصله رومىٌ نصرانىٌ . كان من علماء مكة ومحدثيهم ، وهو من أول من صنف الكتب بالحجاز ، وهو قطب الإسرائيليات فى عهد التابعين .

روى عن أبيه ، وعطاء بن أبى رباح ، وزيد بن أسلم ، والزهرى ، وغيرهم . وروى عنه ابناه : عبد العزيز ومحمد ، والأوزاعى ، والليث ، ويحيى بن سعيدٍ الأنصارى ، وحماد بن زيدٍ ، وغيرهم . قال ابن سعد : ولد سنة ٨٠هـ (ثمانين) ، وأما وفاته فمختلفٌ فيها ، فمنهم من قال : سنة ١٥٠ هـ (خمسين ومائة) ، ومنهم من قال : سنة ١٥٩ هـ (تسعٍ وخمسين ومائة) ، وقيل غير ذلك .

مبلغه من العلم والعدالة :

ابن جريج – كما قيل – هو أول من صنف الكتب بالحجاز ، ويعدونه من طبقة مالك بن أنسٍ وغيره ممن جمعوا الحديث ودونوه . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى : من أول من صنف الكتب ؟ قال : ابن جريجٍ وابن أبى عروبة ، وقد عرف ابن جريجٍ أنه كان رحالةً فى طلب العلم ، فقد ولد بمكة ثم طوف فى كثيرٍ من البلاد ، فرحل إلى البصرة واليمن وبغداد .

وقد رويت عن ابن جريج أجزاء كثيرةٌ فى التفسير عن ابن عباسٍ ؛ منها الصحيح ، ومنها ما ليس بصحيحٍ ، وذلك لأنه لم يقصد الصحة فيما جمع بل روى

ما ذكر فى كل آيةٍ من الصحيح والسقيم .

أما منزلته من ناحية العدالة ، فإنه لم يظفر بإجماع العلماء على توثيقه وتثبته فيما يرويه ، وإنما اختلفت أنظارهم فيه ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه .

ونرى أن كثيراً منهم يحكم عليه بالتدليس وعدم الثقة ببعض مروياته ؛ ومع هذا فقد قال فيه الإمام أحمد : إنه من أوعية العلم ، ونحن معه فى ذلك ، ولكنه وعاء لعلمٍ امتزج صحيحه بعليله ، ولا نظن إلا أن الإمام أحمد يعنى ذلك ، بدليل قوله : (بعض هذه الأحاديث التى كان يرسلها ابن جريجٍ أحاديث موضوعة ، وكان ابن جريج لا يبالى من أين أخذها) .

وكان الإمام مالك رضى الله عنه يرى فيه أنه لا يبالى من أين يأخذ ، فقد روى عنه أنه قال : كان ابن جريجٍ حاطب ليلٍ .

وأخيراً فعلى المفسر أن يكون على حذرٍ فيما روى عن ابن جريجٍ فى التفسير حتى لا يروى ضعيفاً ، أو يعتمد على سقيم .

٣- حذف الإسناد

حذف الإسناد هو السبب الثالث والأخير الذى يرجع إليه ضعف التفسير المأثور، وسبق أن أشرنا إلى مبدأ اختصار الأسانيد ، ونعود إليه فنقول :

لم يعرف عن الصحابة أنهم كانوا يسألون عن الإسناد ، لما عرفوا به جميعاً من العدالة والأمانة .

ثم جاء عصر التابعين ، وفيه ظهر الوضع وفشا الكذب ، فكانوا لا يقبلون حديثاً إلا إذا جاء بسنده ، وثبتت لهم عدالة رواته ، فقد روى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال : (لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة

قالوا سموا لنا رجالكم) .

ثم جاء بعد عصر التابعين من جمع التفسير ، ودون ما تجمع لديه من ذلك ، فألفت تفاسير تجمع أقوال النبى ﷺ فى التفسير ، وأقوال الصحابة والتابعين ، مع ذكر الأسانيد ، كتفسير سفيان ابن عيينة ، ووكيع بن الجراح وغيرهما .

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام ألفوا فى التفسير ، فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال غير معزوةٍ لقائليها ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل.

وفى الحق أن هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً ؛ لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر فى هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها ، وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص المخترع على أنه صحيح كله ، مع أن فيها ما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل .

وإذا كان للوضع خطره ، وللإسرائيليات خطرها ، فإن هذا الخطر كان من الممكن تلافيه لو ذكرت لنا هذه الأقوال بأسانيدها ، ولكن حذفها - وللأسف - عمى علينا كل شئ .

وبعد ... فهذه هى الأسباب الثلاثة التى يرجع إليها ضعف التفسير المأثور ، وكل واحد منها له خطره وأثره فى التفسير ، وقد أدرك المسلمون ُخيراً هذا الخطر ، وقدروا ما كان لهذه الأسباب من أثرٍ ، فتداعى علماؤهم وأشياخهم إلى تجريد كتب التفسير من هذه الإسرائيليات ، وتطهيرها من كل ما دخل عليها .

ولست أظن أن هذا العمل الشاق المضنى يستطيع أن يقوم به فردٌ وحده ، بل لابد له من جماعةٍ كبيرةٍ ، تتفرغ له ، ويتسع أمامها الزمن ، وتتوفر لديها جميع المصادر والمراجع التى تتعلق بالموضوع وتتصل به .

ذلك ما نرجوه ، ونسأل الله تعالى أن يحقق الرجاء ... آمين .

ثالثاً : أشهر ما دون من كتب التفسير المأثور

١ - جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير ، هو أبو جعفر ، محمد بن جريرٍ بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ، الإمام الجليل ، المجتهد المطلق ، صاحب التصانيف المشهورة ، وهو من أهل طبرستان ، ولد بها سنة ٢٢٤ هـ ، ورحل من بلده فى طلب العلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وطوف فى أقاليم ، فسمع بمصر والشام والعراق ، ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد ، وبقى إلى أن مات سنة عشر وثلاثمائة .

مبلغه من العلم والعدالة :

كان حافظاً لكتاب الله ، بصيراً بالقرآن ، عارفاً بالمعانى ، فقيهاً فى أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، هذا هو ابن جرير فى نظر الخطيب البغدادى وهى شهادة عالمٍ خبيرٍ بأحوال الرجال ، وقد صنف فى علومٍ كثيرةٍ وأبدع التأليف وأجاد فيما صنف .

ولكن هذه الكتب قد اختفى معظمها من زمن بعيد ، ولم يحظ منها بالبقاء إلى يومنا هذا وبالشهرة الواسعة ، سوى كتاب التفسير ، وكتاب التاريخ ، وقد اعتبر الطبرى أباً للتفسير . كما اعتبر أباً للتاريخ الإسلامى .

ويقول ابن خلكان : إنه كان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحداً ، ونقل . أن

الشيخ أبا إسحاق الشيرازى ذكره فى طبقات الفقهاء فى جملة المجتهدين .

قال السيوطى فى طبقات المفسرين : وكان أولاً شافعياً ، ثم انفرد بمذهب مستقل ، وأقاويل واختياراتٍ ، وله أتباعٌ ومقلدون ، وذكره صاحب لسان الميزان فقال (ثقة ، صادق ، فيه تشيع يسير ، وموالاة لا تضر ..) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها ، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلى ؛ وإن كان فى الوقت نفسه يعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلى ؛ نظراً لما فيه من الاستنباط ، وتوجيه الأقوال ترجيح بعضها على بعض ، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلى ، والبحث الحر الدقيق .

ولو أننا تتبعنا ما قاله العلماء فى تفسير ابن جرير ، لوجدنا أن الباحثين فى الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته ، واتفقوا على أنه مرجعٌ لا غنى عنه لطالب التفسير ، فقد قال السيوطى رضى الله عنه : (وكتابه – يعنى تفسير محمد بن جرير – أجل التفاسير وأعظمها) ، وقال النووى : (أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما التفاسير التى فى أيدى الناس ، فأصحها تفسير ابن جريرٍ الطبرى ؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعةٌ ، ولا ينقل عن المتهمين ، كمقاتل بن بكير والكلبى) .

هذا ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذى له الأولية بين كتب التفسير ، أوليةٌ زمنية ، وأوليةٌ من ناحية الفن والصناعة .

طريقة ابن جرير فى تفسيره :

تتجلى طريقة ابن جرير فى تفسيره بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه وقطعنا فى القراءة شوطاً بعيداً ، فأول ما نشاهده ، أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : (القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا) ثم يفسر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم فى هذه الآية ، وإذا كان فى الآية قولان أو أكثر ، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها ، ويستشهد على كل قول بما يرويه فى ذلك عن الصحابة أو التابعين .

ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية ، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ، ويرجح بعضها على بعضٍ ، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك ، كما أنه يستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآية ، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار .

إنكاره على من يفسر بمجرد الرأى :

ثم هو يخاصم بقوةٍ أصحاب الرأى المستقلين فى التفكر ، ولا يزال يشدد فى ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين ، والمنقول عنهم نقلاً صحيحاً مستفيضاً ، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح .

فيقول ما نصه : (... وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله ﴿**وفيه يعصرون**﴾ .. إلى فيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العصر ، والعصر التى بمعنى المنجاة .

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين .

وكثيراً ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروى عن مجاهد أو الضحاك أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس .

فمثلاً عند قوله تعالى فى الآية (٦٥) من سورة البقرة : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين** ﴾ .. يقول ما نصه : (حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين** ﴾ قال: (مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردةً ، وإنما هو مثل ضربه الله لهم ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أ. هـ. ثم يعقب ابن جرير بعد ذلك على قول مجاهد فيقول ما نصه: (وهذا القول الذى قاله مجاهد ، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف) .. الخ .

... وهكذا نجد ابن جرير فى غير موضع من تفسيره ، ينبرى للرد على مثل هذه الآراء التى لا تستند على شئ إلا على مجرد الرأى أو محض اللغة .

موقفه من الأسانيد :

ثم إن ابن جرير وإن التزم فى تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها ، إلا أنه فى الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف ، لأنه كان يرى كما هو مقرر فى أصل الحديث – أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير ، فيعدل من يعدل من رجال الإسناد ، ويجرح من يجرح منهم ، ويرد الرواية التى لا يثق بصحتها ، ويصرح برأيه فيها بما يناسبها .

تقديره للإجماع :

كذلك نجد ابن جرير فى تفسيره يقدر إجماع الأمة ، ويعطيه سلطاناً كبيراً فى اختيار ما يذهب إليه من التفسير ، فمثلاً عند قوله تعالى فى الآية (٢٣٠) من سورة البقرة : ﴿ **... فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ﴾ .. يقول ما نصه : (فإن قال قائل : فأى النكاحين عنى الله بقوله : فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ؟ النكاح الذى هو جماع ؟ أم النكاح الذى هو عقد تزويج ؟ قيل كلاهما ؛ فإن قال : فإن ذكر الجماع غير موجود فى كتاب الله تعالى ذكره ، فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟ قيل : الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعاً على أن ذلك معناه) .

موقفه من القراءات :

كذلك نجد ابن جرير يعنى بذكر القراءات وينزلها على المعانى المختلفة وكثيراً ما يرد القراءات التى لا تعتمد على الأئمة الذين يعتبرون عنده وعند علماء القراءات حجة .

ولقد يرجع السبب فى عناية ابن جرير بالقراءات وتوجيهها إلى أنه كان من علماء القراءات المشهورين .

موقفه من الاسرائيليات :

ثم إننا نجد ابن جرير يأتى فى تفسيره أخباراً مأخوذة من القصص الإسرائيلى ، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وابن جريج والسدى ، وغيرهم ، ونراه ينقل عن محمد بن إسحاق كثيراً مما رواه عن مسلمة النصارى.

(... وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات ، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التى عالجها فى بحوثه التاريخية الواسعة

وإذا كان ابن جرير يتعقب كثيراً من هذه الروايات بالنقد ، فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل ، وقد ذكر لنا السند بتمامه فى كل روايةٍ يرويها ، وبذلك يكون قد خرج من العهدة ، وعلينا نحن أن ننظر فى السند ونتفقد الروايات .

انصرافه عما لا فائدة فيه :

وما يلفت النظر فى تفسير ابن جرير أن مؤلفه لا يهتم فيه – كما يهتم غيره من المفسرين – بالأمور التى لا تغنى ولا تفيد ، فنراه مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء** ﴾ ... الآيات (١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤) إلى قوله : ﴿ **وارزقنا وأنت خير الرازقين** ﴾ .. يعرض لذكر ما ورد من الروايات فى نوع الطعام الذى نزلت به مائدة السماء .. ثم يعقب على هذا بقوله : (وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائزٌ أن يكون سمكاً وخبزاً ، وجائزٌ أن يكون ثمراً من الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار الجهل به ، إذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل) اهـ .

احتكامه إلى المعروف من كلام العرب :

وثمة أمرٍ آخر سلكه ابن جرير فى كتابه ، ذلك أنه اعتبر الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة وجعلها مرجعاً موثوقاً به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها ، وترجيح بعض الأقوال على بعضٍ .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٤٠) من سورة هود : ﴿ **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين** ﴾ .. الآية .. نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف فى معنى لفظ التنور .

ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله : (وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله

﴿ التنور ﴾ قول من قال : التنور : الذى يختبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب .

رجوعه إلى الشعر القديم :

كذلك نجد ابن جرير يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكلٍ واسعٍ متبعاً فى هذا ما أثاره ابن عباسٍ فى ذلك .

اهتمامه بالمذاهب النحوية :

كذلك نجد ابن جرير يتعرض كثيراً لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين فى النحو والصرف ، ويوجه الأقوال ، تارةً على المذهب البصرى ، وأخرى على المذهب الكوفى .

مما جعل الكتاب يحتوى على جملةٍ كبيرةٍ من المعالجات اللغوية والنحوية التى أكسبت الكتاب شهرة عظيمة .

ونرى أن ننبه هنا إلى أن هذه البحوث اللغوية التى عالجها ابن جرير فى تفسيره لم تكن أمراً مقصوداً لذاته ، وإنما كانت وسيلةً للتفسير ، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعضٍ ، كما يحاول بذلك – أحياناً – أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينهما .

معالجته للأحكام الفقهية :

كذلك نجد فى هذا التفسير آثاراً للأحكام الفقهية ، يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم ، ويخلص من ذلك كله برأى يختاره لنفسه ، ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة .

خوضه فى مسائل الكلام :

ولا يفوتنا أن ننبه على ما نلحظه فى هذا التفسير الكبير ، من تعرض صاحبه لبعض النواحى الكلامية عند كثيرٍ من آيات القرآن ، مما يشهد له بأنه كان عالماً ممتازاً فى أمور العقيدة ، فهو إذا ما طبق أصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد فى تطبيقه ، وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية أجاد فى مناقشته ، وهو فى جدله الكلامى وتطبيقه ومناقشته ، موافقٌ لأهل السنة فى آرائهم ، ويظهر ذلك جلياً فى رده على القدرية فى مسألة الاختيار .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى آخر سورة الفاتحة آية (٧) ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .. نراه يقول ما نصه : (وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن فى وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله : ﴿ **ولا الضالين** ﴾ .. وإضافة الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذى وصف به اليهود أنه مغضوب عليهم ، دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه . ولو كان الأمر على ما ظنه الغبى الذى وصفنا شأنه ، لوجب أن يكون كل موصوفٍ بصفته أو مضافٍ إليه فعلٌ لا يجوز أن يكون فيه سببٌ لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك من فعله ، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل : تحركت الشجرة إذا حركتها الرياح ، واضطربت الأرض إذا حركتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول بإحصائه الكتاب .

وكثيراً ما نجد ابن جرير يتصدى للرد على المعتزلة فى كثيرٍ من آرائهم الاعتقادية ، فنراه مثلا يجادلهم مجادلةً حادةً فى تفسيرهم العقلى التنزيهى للآيات التى تثبت رؤية الله عند أهل السنة ، كما نراه يذهب إلى ما ذهب إليه السلف من

عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها ، مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه ، والرد على أولئك الذى يشبهون الله بالإنسان .

. وبعد ... فإن ما جمعه ابن جرير فى كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه ، وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباسٍ ، ومدرسة ابن مسعودٍ ، ومدرسة على بن أبى طالبٍ ، ومدرسة أبى بن كعبٍ ، وما استفاده مما جمعه ابن جرير والسدى ، وابن اسحاق وغيرهم من التفاسير جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور ، كما أن ما جاء فى الكتاب من إعراب ، وتوجيهات لغوية ، واستنباطات فى نواحٍ متعددةٍ ، وترجيحٍ لبعض الأقوال على بعضٍ ، كان نقطة التحول فى التفسير ، ونواةً لما وجد بعد من التفسير بالرأى ، كما كان مظهراً من مظاهر الروح العلمية السائدة فى هذا العصر الذى يعيش فيه ابن جرير .

٢- معالم التنزيل للبغوى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

هو أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوى ، الفقيه ، الشافعى ، المحدث ، المفسر الملقب بمحيى السنة وركن الدين ، تفقه البغوى على القاضى حسين وسمع الحديث منه ، توفى رحمه الله فى شوال سنة ٥١٠ هـ بمرورود وقد جاوز الثمانين .

مبلغه من العلم :

كان البغوى إماماً فى التفسير ، إماماً فى الحديث ، إماماً فى الفقه ، وعده التاج السبكى من علماء الشافعية الأعلام .

صنف كتباً كثيرة ومن تصانيفه : معالم التنزيل فى التفسير ... .

التعريف بمعالم التنزيل وطريقة مؤلفه فيه :

قال ابن تيمية فى مقدمته فى أصول التفسير : (والبغوى تفسيره مختصرٌ من الثعلبى ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة) أ. هـ .

وقال فى فتاواه – وقد سئل عن أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة ؟ الزمخشرى ؟ . أم القرطبى ؟ أم البغوى ؟ : (وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها ، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوى ، لكنه مختصر من تفسير الثعلبى ، وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التى فيه ، وحذف أشياء غير ذلك) أ. هـ .

وقال الكتانى فى الرسالة المستطرفة (ص ٥٨) : (وقد يوجد فيه – يعنى معالم التنزيل – من المعانى والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه) أ. هـ .

وقد طبع هذا التفسير فى نسخةٍ واحدةٍ مع تفسير ابن كثيرٍ ، كما طبع مع تفسير الخازن . وهو يتعرض لتفسير الآية بلفظٍ سهلٍ موجزٍ ، ويقل ما جاء عن السلف فى تفسيرها ، وذلك بدون أن يذكر السند ، يكتفى فى ذلك بأن يقول مثلاً : قال ابن عباس كذا ، وقال مجاهد كذا ، وقال عطاء كذا ، والسر فى هذا هو أنه ذكر فى مقدمة تفسيره إسناده إلى كل من يروى عنهم . وبين أن له طرقا سواها تركها اختصاراً . ثم إنه إذا روى عمن ذكر أسانيده إليهم بإسنادٍ آخر غير الذى ذكره فى مقدمة تفسيره فإنه يذكره عند الرواية ، كما يذكر إسناده إذا روى عن غير من ذكر أسانيده إليهم من الصحابة والتابعين ، كما أنه – بحكم كونه من الحفاظ المتقنين للحديث – كان يتحرى الصحة فيما يسنده إلى الرسول ﷺ ، ويعرض عن المناكير وما لا تعلق له بالتفسير ، وقد أوضح هذا فى مقدمة كتابه فقال : (وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ فى أثناء الكتاب على وفاق آيةٍ أو بيان حكمٍ فإن الكتاب

يطلب بيانه من السنة ، وعليها مدار الشرع وأمور الدين - فهى من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير) أ.هـ.

ويلاحظ على هذا التفسير أنه يروى عن الكلبى وغيره من الضعفاء كما يلاحظ أنه يتعرض للقراءات ، ولكن بدون إسرافٍ منه فى ذلك ، كما أنه يتحاشى ما ولع به كثير من المفسرين من مباحث الإعراب ، ونكت البلاغة ، والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير ، وإن كان فى بعض الأحيان يتطرق إلى الصناعة النحوية ضرورة الكشف عن المعنى ، ولكنه مقلٌ لا يكثر وقد يذكر أحياناً بعض الإسرائيليات ولا يعقب عليها كما يورد بعض إشكالاتٍ على ظاهر النظم ثم يجيب عنها وينقل الخلاف عن السلف فى التفسير ويذكر الروايات عنهم فى ذلك ، ولا يرجح روايةً على روايةٍ ، ولا يضعف رواية ويصحح أخرى .

وعلى العموم فالكتاب فى جملته أحسن وأسلم من كثيرٍ من كتب التفسير بالمأثور وهو متداولٌ بين أهل العلم .

٣- تفسير القرآن العظيم - لابن كثير

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير ، هو الإمام الجليل الحافظ ، عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصرى ثم الدمشقى ، الفقيه الشافعى ، قدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه . سمع من ابن الشحنة ، والآمدى ، وابن عساكر ، وغيرهم ، كما لازم المزى وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته . وأخذ عن ابنِ تيمية وامتحن بسببه .

كان مولده سنة ٧٠٠ هـ (سبعمائه) أو بعدها بقليل وتوفى فى شعبان سنة ٧٧٤ هـ (أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة) .

مكانته العلمية :

كان ابن كثيرٍ على مبلغٍ من العلم ، وقد شهد له العلماء بسعة علمه ، وغزارة مادته ، خصوصا فى التفسير والحديث والتاريخ . قال عنه ابن حجر (اشتغل بالحديث مطالعةً فى متونه و رجاله ، وجمع التفسير ، وشرع فى كتابٍ كبير فى الأحكام لم يكمل ، وجمع التاريخ الذى سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية ، وشرع فى شرح البخارى .. وكان كثير الاستحضار حسن المفاكهة ، صارت تصانيفه فى البلاد فى حياته ، انتفع بها الناس بعد وفاته) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

تفسير ابن كثير من أشهر ما دون فى التفسير المأثور ، ويعتبر فى هذه الناحية الكتاب الثانى بعد كتاب ابن جرير . اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسرى السلف ، ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندةً إلى أصحابها ؛ مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً ، وقد طبع هذا التفسير مع معالم التفسير للبغوى ، ثم طبع مستقلاً فى أربعة أجزاءٍ كبار .

وقد قدم له مؤلفه بمقدمةٍ طويلةٍ هامة ، تعرض فيها لكثيرٍ من الأمور التى لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره .

وهذا التفسير يمتاز فى طريقته بأنه يذكر الآية ثم يفسرها بعبارةٍ سهلةٍ موجزةٍ ، وإن أمكن توضيح الآية بآيةٍ أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى المراد ، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذى يسمونه تفسير القرآن بالقرآن ، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة فى المعنى الواحد .

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله ، يشرع فى سرد الأحاديث المرفوعة التى تتعلق بالآية ، ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به منها ، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف .

ونجد ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض ، ويضعف بعض الروايات، ويصحح بعضاً آخر منها ، ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضاً آخر ، وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال .

وكثيراً ما نجد ابن كثير ينقل من تفسير ابن جرير ، وابن أبى حاتم وتفسير ابن عطية ، وغيرهم ممن تقدمه .

ومما يمتاز به ابن كثير ، أنه ينبه إلى ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات ، ويحذر منها على وجه الإجمال تارةً ، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارةً أخرى .

كما نلاحظ على ابن كثير أنه يدخل فى المناقشات الفقهية ، ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آيةً من آيات الأحكام ، وإن شئت أن ترى مثالاً لذلك فارجع إليه عند تفسير قوله تعالى فى الآية (١٨٥) من سورة البقرة ﴿ **... فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيام أخر** ﴾ .. الآية ، فإنه ذكر أربع مسائل تتعلق بهذه الآية ، وذكر أقوال العلماء فيها ، وأدلتهم على ما ذهبوا إليه .

ولكنه مع هذا مقتصدٌ مقلٌ لا يسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين .

وبالجملة ، فإن هذا التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور ، وقد شهد له بعض العلماء ، فقال السيوطى فى ذيل تذكرة الحفاظ ، والزرقانى فى شرح المواهب : إنه لم يؤلف على نمطه مثله .

الخلاصة

عرفنا فى هذه الوحدة أن التفسير سار خلال مراحله الثلاثة خمس خطوات تمثلت **أولاها** فى تناقله عن طريق الرواية عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين ، وتمثلت **الثانية** فى تدوينه كبابٍ من أبواب الحديث ، أما **الثالثة** فكانت فى فصله كعلمٍ قائمٍ بنفسه واكتماله لكل سورةٍ وكل آيةٍ وترتيبه على ترتيب المصحف وكانت الخطوة **الرابعة** هى كثرة التصنيف فى التفسير المأثور وحذف الأسانيد وكثرة دخول الإسرائيليات فيه ، أما **الخامسة** وهى أوسع هذه الخطا فكانت فى تدوين تفسيرٍ اختلط فيه الفهم العقلى بالتفسير النقلى على تدرجٍ وصل فى عصرنا إلى تفسيراتٍ يريد أهلها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها وما لم يظهر بإسرافٍ يخرج القرآن عن مقصده ويحيد به عن هدفه .

وعرفنا أن التفسير الموضوعى نوعٌ من التخصص فى البحث يقوم فيه العالم بدراسة ناحيةٍ واحدة من نواحى التفسير المتعددة مثل أقسام القرآن ، مجاز القرآن ، أحكام القرآن ، مفردات القرآن . ... وهكذا .

كذلك عرفنا معنى التفسير بالمأثور وكيف تدرج من الرواية عن رسول الله ﷺ إلى أن وصل إلى كتب التفسير بالمأثور المحذوفة الإسناد وعرفنا أن هذا الذى انتهى إليه التفسير بالمأثور إنما هو أحد أسباب الضعف فيه بالإضافة إلى تفشى دخول الإسرائيليات ، والوضع فى التفسير على أئمة الرواية فيه .

درسنا أيضاً نماذج من التفسير بالمأثور عرفنا منها أن تفسير الطبرى هو أعظمها فى هذا الباب وأن الإمام أبو جعفر الطبرى جمع فيه المأثور من التفسير من غير تعقب للأسانيد بتصحيحٍ أو بتضعيف ، ونقل فيه من الإسرائيليات رواياتٌ كثيرةٌ تحتاج إلى

فحصٍ وتدقيقٍ وقد كان الإمام ابن جرير يرجح بين الروايات بالإجماع الذى يحترمه كثيراً وبالقراءات التى كان من أئمتها كذلك كان يحتكم إلى المعروف من كلام العرب وإلى الشعر القديم ، ويهتم بالمذاهب النحوية ويعالج الأحكام الفقهية ويخوض فى علم الكلام على مذهب أهل السنة

أما تفسير البغوى (معالم التنزيل) فقد أجمل ابن تيمية وصفه بقوله (والبغوى مختصرٌ من الثعلبى ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة) .

وأما تفسير ابن كثيرٍ فهو من أشهر ما دون فى التفسير بالمأثور ويعتبر الكتاب الثانى بعد كتاب ابن جرير . وقد تميز بسهولة العبارة ، وتفسير القرآن بالقرآن وأكثر من ذلك ، ونقد ما يحتج به مما لا يحتج به من روايات الحديث وهو ينقل كثيراً عن ابن جزير وينبه إلى ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذر منها ، أيضا يدخل فى مناقشاتٍ فقهيةٍ عند شرحه لآيات الأحكام ولكنه مقتصد فى هذا لا يسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين ، وبالجملة فهو من خير كتب التفسير بالمأثور .

راجع

التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى : جـ ١ من ص ١٤٣ : ٢١٥ ، من ص ٢٢٧ : ص ٢٢٩ ، من ص ٢٣٤ : ص ٢٣٧ .

المراجع المساعدة :

١- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى : جـ ٢ ص ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٩ .

٢- صحيح البخارى جـ ٣٢٩/٦ من فتح البارى ، باب التفسير جـ ٢٩٧/٨ من فتح البارى .

٣- تفسير ابن جرير الطبرى .

٤- معالم التنزيل للبغوى .

٥- تفسير ابن كثير .

التعريف بالمصطلحات

التـــدويـــن: هو الكتابة ويطلق كمصطلح على تدوين الأحاديث النبوية بالكتابة بعد أن كانت محفوظة فى الصدور ثم أصبحت مصطلح عام فى تدوين آثار الصحابة وجميع العلوم .

التفسير الموضوعى: هو البحث فى ناحيةٍ واحدةٍ من نواحى التفسير المتعددة مثل : الأحكام الشرعية أو القصص أو القَسَم أو المفردات .

التفسير بالمأثور: يشمل ما جاء فى القرآن نفسه من البيان لبعض آياته ، وما نقل

عن النبى ﷺ ، ومانقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين .

الوضع فى التفسير : هو نسبة التفسير إلى صحابى أو تابعى لإعطائه قوة ويكون المفسر غيرهم .

الإسرائيليات : هى ما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا من تفسير فيه تفصيلات لبعض ما أجمل فى القرآن من قصص وما إلى ذلك ، ومن هذا الباب دخلت طامات فى التفسير .

حذف الإسناد : هو رواية التفسير المأثور بدون ذكر سلسلة الرواة من الراوى إلى من ينسب إليه التفسير من صحابى أو تابعى أو حذف إسناد الحديث إلى رسول الله ﷺ .

الإجماع : هو اتفاق علماء المسلمين على حكم شرعى وهو أصل فى التشريع إذا أمكن إثباته ، وفيه نزاع فى تصور وقوعه واستثنى بعضهم إجماع الصحابة قبل أن يتفرقوا فى الأمصار .

تدريبات الوحدة الثالثة

١ - أسئلة التقويم الذاتى

١- كم خطوة قطعها التفسير منذ نشأته حتى اليوم ؟ تكلم عن الخطوة الأخيرة بالتفصيل .

٢- الوضع فى التفسير بالمأثور من أهم أسباب ضعفه، بين متى نشأ، وما هى أسبابه؟

٣- اشرح أثر دخول الإسرائيليات فى التفسير .

٤- اختر الإسم الصحيح لإكمال هذه العبارة :

يعتبر ..... من أقطاب الروايات الإسرائيلية .

[كعب بن زهير - كعب بن مالك - كعب بن ماتع]

٥- ضع علامة (✓) أما الصواب ، وعلامة (×) أمام الخطأ مما يلى :

* حذف الإسناد واختصاره كان خطوة نافعة للتفسير بالمأثور . ( )

* الفهم العقلى أو التفسير العقلى للقرآن غير مقبول على الإطلاق . ( )

* التفسير الموضوعى هو البحث فى تفسير ناحية واحدة من نواحى متعددة يشتمل عليها التفسير . ( )

* لا ينفك التفسير النقلى (المأثور) عن لون شخصى للمفسر . ( )

* كثرة دخول الإسرائيليات من أسباب الضعف فى التفسير المأثور . ( )

* لم يتأثر التفسير المأثور باللون السياسى لعصره . ( )

* ليس للتفسير الموضوع أى قيمة . ( )

* ليس فيما يروى من الإسرائيليات شئ مقبول . ( )

٢- أسئلة التقويم المستمر

١- ما معنى التفسير بالمأثور ؟

٢- اذكر موقف الإمام الطبرى من التفسير بالرأى موضحاً بمثال ؟

٣- اذكر العلاقة بين تفسير البغوى وبين تفسير الثعلبى موضحاً الفرق بينهما ؟

٤- تكلم عن تقدير الإمام الطبرى للإجماع ؟

٥- اذكر أمثلة للتفسير الموضوعى ؟

٦- تكلم عن تدرج التفسير المأثور ؟

٧- تكلم باختصار عن أسباب الضعف فى التفسير المأثور ؟

٣- البحـــوث

اختر بحثا من البحوث الآتية :

١- أقطاب الرواية الإسرائيلية فى التفسير موضحاً ما يلى :

١- أقوال علماء الجرح والتعديل فيهم .

٢- أهم كتب التفسير التى أكثرت من رواية الإسرائيليات .

٣- أثر دخول الإسرائيليات فى التفسير

٤- قيمة الإسرائيليات فى التفسير .

٢- اختر أحد التفاسير بالمأثور الآتية واكتب عنه بحثا على غرار ما درست فى تفسير الطبرى : بحر العلوم (للسمرقندى) - الكشف والبيان (للثعلبى) - الدر المنثور (للسيوطى) .

الوحدة الرابعة

التفسير بالرأي وما يتعلق به من مباحث

المقدمة

في الوحدة الأولى عرفنا معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما وتعرفنا على ملامح التفسير في عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، كما تعرفنا في الوحدة الثانية على المفسرين من الصحابة وعرفنا ملامح ومصادر التفسير في عصر التابعين ثم تعرفنا على مدارس التفسير في ذلك العصر وعلى أشهر رجال تلك المدارس.

وفي الوحدة الثالثة عرفنا معنى التفسير الموضوعي وتعرفنا على ملامح التفسير بالمأثور وعرفنا أسباب ضعفه.

والآن عزيزي الدارس وصلنا في رحلتنا المباركة إلى محطة هامة جداً، إذ عندها يتم الانتقال من منهج التفسير بالمأثور لفهم القرآن الكريم إلى منهج التفسير بالرأي حيث ينقسم إلى تفسير بالرأي جائز، وتفسير بالرأي مذموم، وستعرف إن شاء الله أنه لجواز التفسير بالرأي ينبغي تحصيل علوم معينة كما ينبغي تجنب أمور ومعرفة القانون الذي يتم الترجيح به في الرأي.

سنتعرف إذن على نماذج من كتب التفسير بالرأي الجائز كما سنتعرف في هذه الوحدة على نموذج من نماذج التفسير بالرأي المذموم ألا وهو نموذج المعتزلة وكتابهم الكشاف.

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملمًا بما يلي:

[١] بيان معنى التفسير بالرأي وتحقيق الخلاف حوله.

[٢] بيان العلوم التي يحتاج إليها المفسر.

[٣] بيان الأمور التي يجب على المفسر تجنبها.

[٤] معرفة قانون الترجيح في الرأي وبيان منشأ الخطأ في التفسير بالرأي.

[٥] نبذة عن أهم كتب التفسير بالرأي الجائز.

[٦] نبذة عن المعتزلة وأهم كتبهم كأحد الأمثلة على التفسير بالرأي المذموم.

الرسم التوضيحي

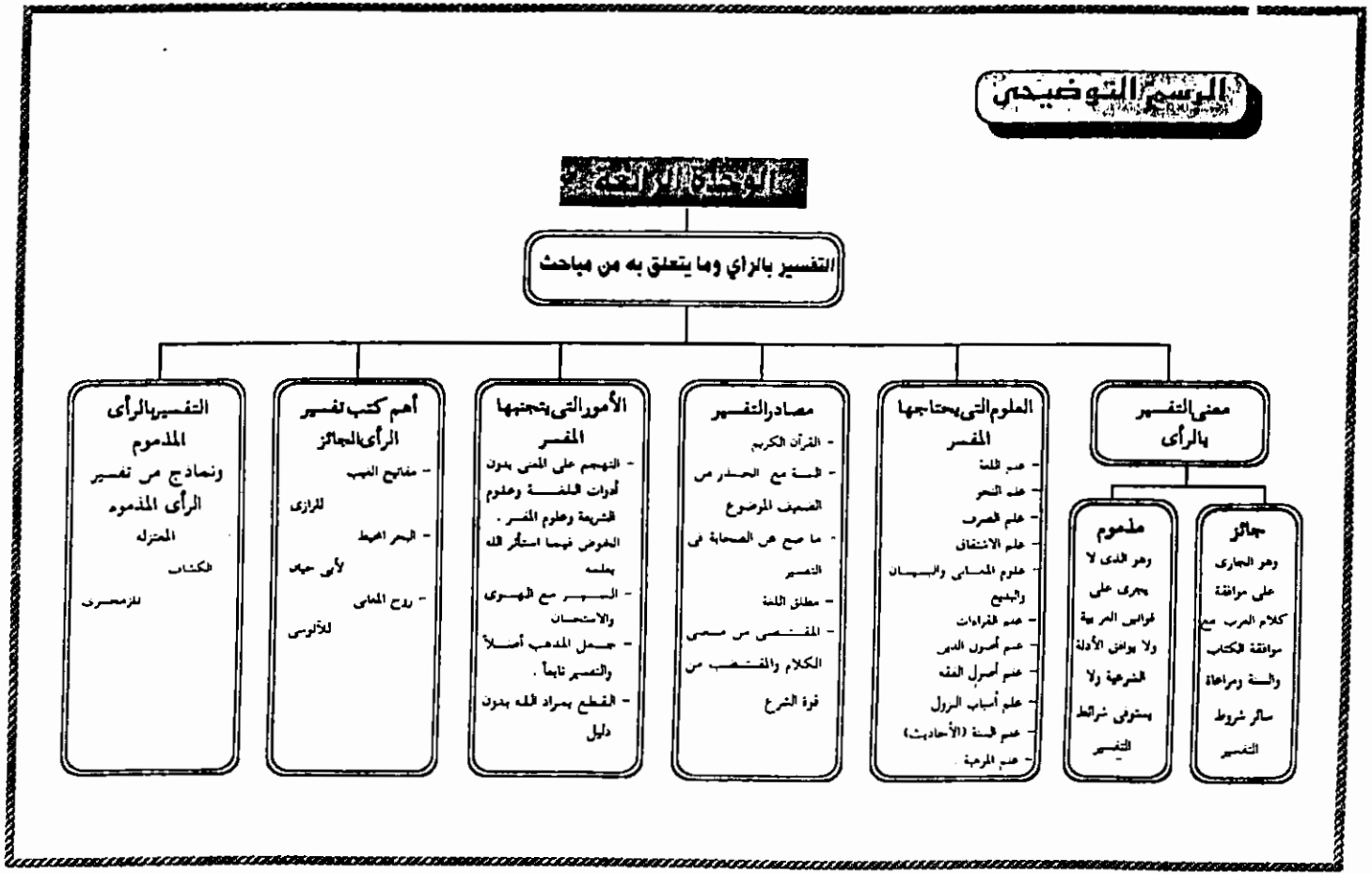

التفسير بالرأي وما يتعلق به

أولاً معنى التفسير بالرأي

يطلق الرأى على الاعتقاد ، وعلى الاجتهاد ، وعلى القياس ، ومنه أصحاب الرأى ، أى أصحاب القياس .

والمراد بالرأى هنا الاجتهاد ، وعليه فالتفسير بالرأى ، عبارةٌ عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر ، وسنذكرها قريباً إن شاء الله تعالى .

موقف العلماء من التفسير بالرأى :

اختلف العلماء من قديم الزمان فى جواز تفسير القرآن بالرأى ، ووقف المفسرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين :

فقومٌ تشددوا فى ذلك فلم يجرؤا على تفسير شئ من القرآن ، ولم يبيحوه لغيرهم ، وقالوا : لا يجوز لأحدٍ تفسير شئٍ من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة ، والفقه ، والنحو ، والأخبار ، والآثار ، وإنما له أن ينتهى إلى ما روى عن النبى ﷺ ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم ، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين .

وقومٌ كان موقفهم نقيض ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن من كان ذا أدبٍ وسيعٍ فموسعٌ له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده.

والفريقان على طرفى نقيض فيما يبدو ، وكلٌ يعزز رأيه ويقويه بالأدلة والبراهين.

والراغب الأصفهانى – بعد أن ذكر المذهبين وأدلتهما فى مقدمة التفسير – يقول : (وذكر بعض المحققين : أن المذهبين هما الغلو والتقصير ، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه ، ومن أجاز لكل أحدٍ الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى : ﴿ **ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ أ. هـ .

حقيقة الخلاف :

ونحن مع هذا البعض الذى نقل عنه الراغب هذا التحقيق إن وقف الفريق الأول عند المنقول فلم يتجاوزه ، وأجاز الفريق الثانى لكل أحدٍ الخوض فى التفسير والكلام فيه ؛ إذ أن الجمود على المنقول تقصيرٌ وتفريطٌ بلا نزاع ، والخوض فى التفسير لكل إنسانٍ غلوٌ وإفراطٌ بلا جدالٍ .

لكن لو رجعنا إلى هؤلاء المتشددين فى التفسير وعرفنا سر تشددهم فيه ، ثم رجعنا إلى هؤلاء المجَوزين للتفسير بالرأى ووقفنا على ما شرطوه من شروطٍ لابد منها لمن يتكلم فى التفسير برأيه ، وحللنا أدلة الفريقين تحليلاً دقيقاً ، لظهر لنا أن الخلاف لفظىٌ لا حقيقىٌ ، ولبيان ذلك نقول :

الرأى قسمان : قسمٌ جارٍ على موافقة كلام العرب ومناحيهم فى القول مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، وهذا القسم جائز لا شك فيه ، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى .

وقسمٌ غير جارٍ على قوانين العربية ، ولا موافق للأدلة الشرعية ، ولا مستوفٍ لشرائط التفسير ، وهذا هو مورد النهى ومحط الذم ، وهو الذى يرمى إليه كلام ابن

مسعودٍ إذ يقول : (ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع) وكلام عمر إذ يقول : (إنما أخاف عليكم رجلين ، رجلٌ يتأول القرآن على غير تأويله ، ورجلٌ ينافس الملك على أخيه) وكلامه إذ يقول : (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمنٍ ينهاه إيمانه ، ولا من فاسق بيّنٌ فسقه ، ولكنى أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ، ثم تأوله على غير تأويله) .

فكل هذا ونحوه ، واردٌ فى حق من لا يراعى فى تفسير القرآن قوانين اللغة ولا أدلة الشريعة ، جاعلاً هواه رائده ، ومذهبه قائده ، وهذا هو الذى يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأى ، وقد قال ابن تيمية – بعد أن ساق الآثار عمن تحرج من السلف من القول فى التفسير – فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولةٌ على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، هذا هو الواجب على كل أحدٍ ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله تعالى : ﴿ **لتبيننّه للناس ولا تكتمونه** ﴾ .. ولما جاء فى الحديث المروى من طرق : « من سئل عن علمٍ فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ » أ.هـ.

وإذ قد علمنا أن التفسير بالرأى قسمان : قسمٌ مذمومٌ غير جائزٍ ، وقسمٌ ممدوحٌ جائزٌ ، وتبين لنا أن القسم الجائز محدودٌ بحدودٍ ، ومقيدٌ بقيودٍ ، فلابد لنا من أن نعرض هنا لما ذكروه من العلوم التى يحتاج إليها المفسر ، وما ذكروه من الأدوات التى إذا توافرت لديه وتكاملت فيه ، خرج عن كونه مفسراً للقرآن بمجرد الرأى ، ومحض الهوى .

ثانياً : العلوم التي يحتاج إليها المفسر

اشترط العلماء فى المفسر الذى يريد أن يفسر القرآن برأيه بدون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط ، أن يكون ملماً بجملة من العلوم .

الأول : علم اللغة : لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : (لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب) ، ثم إنه لابد من التوسع والتبحر فى ذلك ؛ لأن اليسير لا يكفى ؛ إذ ربما كان اللفظ مشتركاً ، والمفسر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر ، وقد يكون هو المراد .

الثانى : علم النحو : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلابد من اعتباره .

الثالث : علم الصرف : وبواسطته تعرف الأبنية والصيغ . قال ابن فارس : (ومن فاته فقد فاته المعظم ؛ لأن [وجد] مثلاً كلمة مبهمة ، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها) ، وحكى السيوطى عن الزمخشرى أنه قال : (من بدع التفاسير قول من قال : إن الإمام فى قوله تعالى : ﴿ **يوم ندعوا كل أناس بإمامهم** ﴾ جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال : وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف ؛ فإن أم لا تجمع على إمام) .

الرابع : الاشتقاق : لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما ، كالمسيح مثلا ، هل هو من السياحة أو من المسح ؟

الخامس والسادس والسابع : علوم البلاغة الثلاثة : (المعانى ، والبيان ، والبديع) فعلم المعانى ، يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى .

وعلم البيان ، يعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها . وعلم البديع ، يعرف به وجوه تحسين الكلام هذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسر ، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم .

الثامن : علم القراءات : إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : علم أصول الدين : وهو علم الكلام ، وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب فى حقه تعالى ، وما يجوز ، وما يستحيل ، وأن ينظر فى الآيات المتعلقة بالنبوات ، والمعاد ، وما إلى ذلك نظرةً صائبةً ، ولولا ذلك لوقع المفسر فى ورطاتٍ .

العاشر : علم أصول الفقه : إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها ، ويعرف الإجمال والتبيين ، والعموم ، والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، ودلالة الأمر والنهى ، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم .

الحادى عشر : علم أسباب النزول : إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية .

الثانى عشر : علم القصص : لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها فى القرآن .

الثالث عشر : علم الناسخ والمنسوخ : وبه يعلم المحكم من غيره . ومن فقد هذه الناحية ، ربما أفتى بحكمٍ منسوخٍ فيقع فى الضلال والإضلال .

الرابع عشر : الأحاديث : المبينة لتفسير المجمل والمبهم ، ليستعين بها على

توضيح ما يشكل عليه .

الخامس عشر : علم الموهبة : وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** ﴾ .. وبقوله ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم » . قال السيوطى بعد أن عد علم الموهبة من العلوم التى لابد منها للمفسر : ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول : هذا شئ ليس فى قدرة الإنسان وليس الأمر كما ظننت من الإشكال ، والطريق فى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد . قال فى البرهان : (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى ولا تظهر له أسراره ، وفى قلبه بدعةٌ ، أو كبرٌ ، أو هوىً أو حبُّ دنيا ، أو هو مصرٌ على ذنبٍ ، أو غيرُ متحققٍ بالإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض) قلت : وفى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق** ﴾ .. قال ابن عيينة : أنزع عنهم فهم القرآن . أخرجه ابن أبى حاتم أ.هـ .

هذه هى العلوم التى اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله تعالى ، وليس هذا العدد الذى ذكرنا حاصراً لجميع العلوم التى يتوقف عليها التفسير ، فقد يضاف إليه علم التاريخ والجغرافيا مثلاً .

ثالثاً : مصادر التفسير

بقى علينا بعد ذلك أن نذكر المصادر التى يجب على المفسر أن يرجع إليها عند شرحه للقرآن ، حتى يكون تفسيره جائزاً ومقبولاً ، وإليك أهم هذه المصادر :

أولاً : الرجوع إلى القرآن نفسه ، وذلك بأن ينظر فى القرآن نظرة فاحصٍ

مدقق، ويجمع الآيات التى فى موضوعٍ واحدٍ ، ثم يقارن بعضها ببعضها الآخر ، فإن من الآيات ما أُجمل فى مكان وفسر فى مكانٍ آخر ، ومنها ما أوجز فى موضع وبسط فى موضع آخر ، فيحمل المجمل على المفسر ، ويشرح ما جاء موجزاً بما جاء مسهباً مفصلاً وهذا هو ما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، فإن عدل عن هذا وفسر برأيه فقد أخطأ وقال برأيه المذموم .

ثانياً : النقلِ عن الرسول ﷺ ، مع الاحتراز عن الضعيف والموضوع فإنه كثيرٌ ، فإن وقع له تفسيرٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ فليس له أن يعدل عنه ويقول برأيه ؛ لأن النبى ﷺ مؤيدٌ من ربه ، وموكولٌ إليه أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فمن يترك ما يصح عن النبى ﷺ فى التفسير إلى رأيه فهو قائلٌ بالرأى المذموم .

ثالثاً : الأخذ بما صح عن الصحابة فى التفسير ، ولا يغتر بكل ما ينسب لهم من ذلك ؛ لأن فى التفسير كثيراً مما وضع على الصحابة كذباً واختلاقاً ، فإن وقع على قولٍ صحيحٍ لصحابى فى التفسير ، فليس له أن يهجره ويقول برأيه لأنهم أعلم بكتاب الله ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالخلفاء الراشدين ، وأبى بن كعبٍ وابن مسعودٍ ، وابن عباسٍ وغيرهم .

رابعاً : الأخذ بمطلق اللغة ، لأن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍ مبينٍ ، ولكن على المفسر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجةٍ محتملةٍ ، يدل عليها القليل من كلام العرب ، ولا توجد غالباً إلا فى الشعر ونحوه ، ويكون المتبادر خلافها ، روى البيهقى فى الشعب عن مالك رضى الله عنه أنه قال: (لا أوتى برجلٍ غير عالمٍ بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً).

خامساً : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع ، وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباسٍ حيث قال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه

التـأويل » والذى عناه علىٌ رضى الله عنه بقـوله - حين سـئل : هل عندكم عن رسول الله ﷺ شئ بعد القرآن - ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عز وجل رجلاً فى القرآن .

ومن هنا اختلف الصحابة فى فهم بعض آيات القرآن ، فأخذ كلٌ بما وصل إليه عقله ، وأداه إليه نظره .

رابعاً : الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره

هناك أمورٌ يجب على المفسر أن يتجنبها فى تفسيره حتى لا يقع فى الخطأ ويكون ممن قال فى القرآن برأيه الفاسد ، وهذه الأمور هى ما يأتى :

أولاً : التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة وأصول الشريعة ، وبدون أن يحصل العلوم التى يجوز معها التفسير .

ثانياً : الخوض فيما استأثر الله بعلمه ، وذلك كالمتشابه الذى لا يعلمه إلا الله فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سراً من أسراره وحجبه عن عباده .

ثالثاً : السير مع الهوى والاستحسان ، فلا يفسر بهواه ، ولا يرجح باستحسانه .

رابعاً : التفسير المقرَّر للمـذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيحتال فى التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته ، ويرده إلى مذهبه بأى طريق أمكن، وإن كان غايةً فى البعد والغرابة .

خامساً : التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليلٍ ، وهذا منهىٌ عنه شرعاً ، لقوله تعالى فى الآية (١٦٩) من سورة البقرة ﴿ **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ .

أنواع علوم القرآن

تتنوع علوم القرآن إلى أنواع ثلاثة ، وهى ما يأتى :

النوع الأول : علمٌ لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه ، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه ، من معرفة كنه ذاته وغيوبه التى لا يعلمها إلا هو ، وهذا النوع لا يجوز لأحدٍ الخوض فيه والتهجم عليه بوجهٍ من الوجوه إجماعاً .

النوع الثانى : ما أطلع الله عليه نبيه ﷺ من أسرار الكتاب واختصه به ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له ، قيل : ومنه الحروف المقطعة فى أوائل السور ، ومن العلماء من يجعلها من النوع الأول .

النوع الثالث : علوم علمها الله نبيه مما أودع فى كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها ، وهذا النوع قسمان :

قسمٌ : لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع ، وذلك كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات ، واللغات ، وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائنٌ من الحوادث ، وأمور الحشر والمعاد .

وقسمٌ : يؤخذ بطريق النظر ، والاستدلال والاستنباط والاستخراج من العبارات والألفاظ ، وهو ينقسم إلى قسمين : **أحدهما** : اختلفوا فى جوازه ، وهو تأويل الآيات المتشابهات فى الصفات ، **وثانيهما** : اتفقوا على جوازه ، وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية ، والمواعظ والحكم والإشارات وما شاكل ذلك من كل ما لا يمتنع استنباطه من القرآن واستخراجه منه لمن كان أهلاً لذلك .

قانون الترجيح في الرأي

أجمع كلمة قيلت فى بيان هذا القانون ، هى الكلمة التى نقلها لنا السيوطى فى كتابه الإتقان عن البرهان للزركشى :

قال الزركشى رحمه الله تعالى : (كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً هو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى فإن كان أحد المعنيين أظهر ، وجب الحمل عليه ، إلا أن يقوم الدليل على أن المراد هو الخفى .

وإن استويا ، والاستعمال فيهما حقيقةً ، لكن فى أحدهما حقيقةٌ لغويةٌ أو عرفيةٌ ، وفى الآخر شرعيةٌ ، فالحمل على الشرعية أولى ، إلا أن يدل دليلٌ على إرادة اللغوية ، كما فى : ﴿ **وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم** ﴾ ... ولو كان فى أحدهما عرفية ، والآخر لغوية ، فالحمل على العرفية أولى . وإن اتفقا فى ذلك أيضاً ، فإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر ، اجتهد فى المراد منهما بالأمارات الدالة عليه ، فما ظنه فهو مراد الله تعالى فى حقه ، وإن لم يظهر له شئ فهل يتخير فى الحمل على أيهما شاء ؟ أو يأخذ بالأغلظ حكماً ؟ أو بالأخف ؟ أقوالٌ . وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ، ويكون ذلك أبلغ فى الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليلٌ على إرادة أحدهما.

منشأ الخطأ فى التفسير بالرأى :

يرجع الخطأ فى التفسير بالرأى غالباً ، إلى جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ .

الجهة الأولى : أن يعتقد المفسر معنى من المعانى ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك الذى يعتقده .

الجهة الثانية : أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب ، وذلك بدون نظرٍ إلى المتكلم بالقرآن ، والمنزّل عليه ، والمخاطب به .

فالجهة الأولى : مراعى فيها المعنى الذى يعتقده المفسر من غير نظرٍ إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان .

والجهة الثانية : مراعى فيها مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربى من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكلم به والمخاطب ، وسياق الكلام .

التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

قلنا إن التفسير بالرأى قسمان : قسمٌ مذمومٌ غير مقبول ، وقسمٌ ممدوح ومقبولٌ ، أما القسم المذموم ، فلا يعقل وجود تعارضٍ بينه وبين المأثور ؛ لأنه ساقطٌ من أول الأمر ، وخارجٌ عن محيط التفسير بمعناه الصحيح .

وأما التفسير بالرأى المحمود ، فهذا هو الذى يعقل التعارض بينه وبين التفسير المأثور ، وهذا هو الذى نريد أن نتكلم فيه ونعرض له بالبحث والبيان ، غير أنه يتحتم علينا – ليكون الكلام على بصيرةٍ – أن نعرض لبيان معنى هذا التعارض فنقول :

التعارض بين التفسير العقلى والتفسير المأثور معناه التقابل والتنافى بينهما وذلك بأن يدل أحدهما على إثبات أمرٍ مثلا ، والآخر يدل على نفيه بحيث لا يمكن اجتماعهما بحالٍ من الأحوال ، فكأن كلاً منهما وقف فى عرض الطريق فمنع من السير فيه ، وأما إذا وجدت المغايرة بينهما بدون منافاة وأمكن الجمع ، فلا يسمى

ذلك تعارضاً، وذلك كتفسيرهم ﴿ **الصراط المستقيم** ﴾ بالقرآن ، وبالإسلام ، وبطريق العبودية ، وبطاعة الله ورسوله فهذه المعانى وإن تغايرت غير متنافية ولا متناقضة ، ومثلاً تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿**فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**﴾ .. قيل فيه : السابق هو الذى يصلى فى أول الوقت ، والمقتصد هو الذى يصلى فى أثنائه والظالم هو الذى يصلى بعد فواته ، وقيل : السابق من يؤدى الزكاة المفروضة مع الصدقة ، والمقتصد من يؤدى الزكاة المفروضة وحدها ، والظالم لنفسه من يمنع الزكاة ولا يتصدق وغير خافٍ أنه لا تنافى بين هذين التفسيرين وإن تغايرا ، فكلٌ ذَكَر فرداً من العام على سبيل التمثيل لا الحصر .

هذا وإن الصور العقلية التى يحصل فيها التعارض بين التفسير العقلى والتفسير النقلى هى ما يأتى :

أولاً : أن يكون العقلى قطعياً والنقلى قطعياً كذلك .

ثانياً : أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً .

ثالثاً : أن يكون أحدهما ظنياً والآخر ظنياً كذلك .

أما الصورة الأولى : ففرضيةٌ ؛ لأنه لا يعقل تعارضٌ بين قطعى وقطعى ، ومن المحال أن يتناقض الشرع مع العقل .

وأما الصورة الثانية : فالقطعى منهما مقدَّمٌ على الظنى إذا تعذر الجمع ولم يمكن التوفيق ؛ أخذاً بالأرجح وعملاً بالأقوى .

وأما الصورة الثالثة : فإن أمكن الجمع بين العقلى والنقلى ، وجب حمل النظم الكريم عليها ، وإن تعذر الجمع ، قدم التفسير المأثور عن النبى ﷺ إن ثبت من طريقٍ صحيح ، وكذا يقدم ما صح عن الصحابة ، لأن ما يصح نسبته إلى الصحابة فى التفسير ، النفس إليه أميل ، لاحتمال سماعه من الرسول ﷺ ولما امتازوا به من

الفهم الصحيح والعمل الصالح ؛ ولما اختصوا به من مشاهدة التنزيل .

وأما ما يؤثر عن التابعين ففيه التفصيل ، وذلك إما أن يكون التابعى معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب أوْلا ، فإن عرف بالأخذ عن أهل الكتاب قدم التفسير العقلى، وإن لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب وتعارض ما جاء عنه مع التفسير العقلى - كما هو الفرض - فحينئذٍ نلجأ إلى الترجيح ، فإن تأيد أحدهما بسمعٍ أو استدلال رجحناه على الآخر ، وإن اشتبهت القرائن ، وتعارضت الأدلة والشواهد ، توقفنا فى الأمر ، فنؤمن بمراد الله تعالى ، ولا نتهجم على تعيينه ، وينزل ذلك منزلة المجمل قبل تفصيله ، والمتشابه قبل تبيينه .

خامساً : أهم كتب التفسير بالرأى الجائز

١ - مفاتيح الغيب - للرازى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على ، التميمى ، البكرى ، الطبرستانى ، الرازى ، الملقب بفخر الدين ، والمعروف بابن الخطيب الشافعى ، المولود سنة ٥٤٤ هـ . كان إماماً فى التفسير والكلام ، والعلوم العقلية ، وعلوم اللغة .

أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الرى ، وعن الكمال السمعانى والمجد الجيلى ، وكثيرٍ من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم ، وله فوق شهرته العلمية شهرةٌ كبيرةٌ فى الوعظ ، ولقد خلف - رحمه الله - للناس مجموعةً كبيرةً من تصانيفه فى الفنون المختلفة ، وقد انتشرت هذه التصانيف فى البلاد .

ومن أهم هذه المصنفات : تفسيره الكبير ، المسمى بمفاتيح الغيب ، وهو ما نحن بصدده الآن ، وله تفسير سورة الفاتحة فى مجلدٍ واحد ، ولعله هو الموجود بأول تفسيره (مفاتيح الغيب) ، وله فى علم الكلام : المطالب العالية ، وكتاب البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان ، وله فى أصول الفقه : المحصول ، وفى الحكمة : الملخص ، وشرح الإشارات لابن سينا ، وشرح عيون الحكمة ، وفى الطلسمات : السر المكنون ، ويقال إنه شرح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وشرح الوجيز فى الفقه للغزالى وغير هذا كثيرٌ من مصنفاته .

هذا وقد كانت وفاة الرازى – رحمه الله – سنة ٦٠٦ (ست وستمائة من الهجرة) بالرى .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير فى ثمانى مجلداتٍ كبار ، هو مطبوعٌ ومتداول بين أهل العلم ، ويقول ابن قاضى شهبة : إنه – أى الفخر الرازى – لم يتمه كما يقول ذلك ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، إذن فمن الذى أكمل هذا التفسير ؟ وإلى أى موضع من القرآن وصل الفخر الرازى فى تفسيره ؟

الحق أن هذه مشكلةٌ لم نوفق إلى حلها حلاً حاسماً ، لتضارب أقوال العلماء فى هذا الموضوع ، فابن حجر العسقلانى ، فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، يقول : « الذى أكمل تفسير فخر الدين الرازى ، هو أحمد بن محمد بن أبى الحزم مكى نجم الدين المخزومى القمولى مات سنة ٧٢٧ هـ وهو مصرى .

وصاحب كشف الظنون يقول : (وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى تكملة له وتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، وقاضى القضاة شهاب الدين بن خليل الخوبى الدمشقى ، كمل ما نقص منه أيضا ، وتوفى سنة ٦٣٩ هـ.

فأنت ترى أن ابن حجر يذكر أن الذى أتم تفسير الفخر هو نجم الدين القمولى وصاحب كشف الظنون يجعل لشهاب الدين الخوبى مشاركةً على وجهٍ ما فى هذه التكملة وإن كانا يتفقان على أن الرازى لم يتم تفسيره .

والذى أستطيع أن أقوله كحلٍ لهذا الاضطراب : هو أن الإمام فخر الدين، كتب تفسيره هذا إلى سورة الأنبياء ، فأتى بعده شهاب الدين الخوبى ، فشرع فى تكملة هذا التفسير ولكنه لم يتمه ، فأتى بعده نجم الدين القمولى فأكمل ما بقى منه ، كما يجوز أن يكون الخوبى أكمله إلى النهاية والقمولى كتب تكملةً أخرى غير التى كتبها الخوبى ، هذا هو الظاهر من عبارة صاحب كشف الظنون .

أقول هذا وأعتقد أنه ليس حلاً حاسماً لهذا الاضطراب ، إنما هو توفيقٌ يقوم على الظن ، والظن يخطئ ويصيب .

ثم إن القارئ فى هذا التفسير ، لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً فى المنهج والمسلك ، بل يجرى الكتاب من أوله إلى آخره على نمطٍ واحدٍ ، وطريقةٍ واحدةٍ ، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يميز بين الأصل والتكملة ، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذى كتبه الفخر ، والمقدار الذى كتبه صاحب التكملة .

هذا ، وإن تفسير الفخر الرازى ليحظى بشهرةٍ واسعةٍ بين العلماء ، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير ، بالأبحاث الفياضة الواسعة ، فى نواحٍ شتى من العلم ، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول : (إنه – أى الفخر الرازى – جمع فيه كل غريبٍ وغريبةٍ) .

اهتمام الفخر الرازى ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسورة :

ويمتاز تفسيره بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض ، وهو لا يكتفى بذكر مناسبةٍ واحدةٍ بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبةٍ .

اهتمامه بالعلوم الرياضية الفلسفية :

كما أنه يكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية ، وغيرها من العلوم الجادئة فى الملة ، على ما كانت عليه فى عهده ، كالهيئة الفلكية وغيرها ، كما أنه يعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد ، وإن كان يصوغ أدلته فى مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية ، ولكن بما يتفق ومذهب أهل السنة .

موقفه من المعتزلة :

ثم إنه - سنيٌ يرى ما يراه أهل السنة [1]، ويعتقد بكل ما يقررونه من مسائل علم الكلام - لا يدع فرصةً تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها ، رداً لا يراه البعض كافيا ولا شافياً .

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو البلاغة :

ثم إن الفخر الرازى لا يكاد يمر بآيةٍ من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعى - الذى يقلده - بالأدلة والبراهين .

كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية ، والمسائل النحوية ، والبلاغية ، وإن كان لا يتوسع فى ذلك توسعه فى مسائل العلوم الكونية والرياضية .

وبالجملة ، فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعةٍ فى علم الكلام ، وفى علوم الكون والطبيعة ، إذ أن هذه الناحية ، هى التى غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسيرٍ للقرآن الكريم .

ومن أجل ذلك قال صاحب كشف الظنون : (إن الإمام فخر الدين الرازى ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة ، وخرج من شيءٍ إلى شيءٍ حتى يقضى الناظر

١- الإمام الرازى من كبار الأشاعرة فى عصره ، والمؤلف جرى فى كتابه على اعتبار الأشاعرة من أهل السنة ، والصواب أن الأشاعرة قد وافقوا أهل السنة فى كثير من الأصول وخالفوهم فى بعضها ، وهم على الجملة أقرب الفرق الإسلامية إلى أهل السنة .

العجب) ، ونقل عن أبى حيان أنه قال فى البحر المحيط (جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرةً طويلةً لا حاجة بها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شئ إلا التفسير) .

٢- البحر المحيط - لأبى حيّان

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أثير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان ، الأندلسى ، الغرناطى ، الحيّانى ، الشهير بأبى حيّان المولود سنة ٦٥٤هـ .

كان - رحمه الله - ملماً بالقراءات صحيحها وشاذها ، قرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن على إفراداً وجمعاً ، ثم على الخطيب أبى جعفر بن الطباع ، ثم على الحافظ أبى على بن أبى الأحوص بمالقة ، وسمع الكثير من العلماء ببلاد الأندلس وإفريقية ، ثم قدم الإسكندرية فقرأ القراءات على عبد النصير بن على المريوطى ، وبمصر على أبى طاهر إسماعيل بن عبد الله المليجى ، ولازم بها الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، فسمع عليه كثيراً من كتب الأدب .

كذلك عرف أبو حيان ، بكثرة نظمه للأشعار والموشحات ، كما كان على جانبٍ كبيرٍ من المعرفة باللغة ، أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، وبجانب هذا كله كان لأبى حيان اليد الطولى فى التفسير ، والحديث وتراجم الرجال ، ومعرفة طبقاتهم ، خصوصاً المغاربة .

ولقد أخذ كثيرٌ عنه العلم حتى صار من تلامذته أئمةٌ وأشياخٌ فى حياته وهو الذى جسّر الناس على كتب ابن مالكٍ ورغبهم فيها وسهّل لهم غامضها .

وأما مؤلفاته فكثيرة ، انتشرت فى حياته وبعد وفاته فى كثيرٍ من أقطار الأرض وتلقاها الناس بالقبول ، ومن أهمها : تفسير البحر المحيط الذى نحن بصدده الآن ، وغريب القرآن فى مجلدٍ واحدٍ ، وشرح التسهيل ، ونهاية الإعراب ، وخلاصة البيان ، وله منظومةٌ على وزن الشاطبية فى القراءات بغير رموز ، وكان أبو حيَّان عرياً من الفلسفة ، بريئاً من الاعتزال والتجسيم ، متمسكاً بطريقة السلف ، أما وفاته فكانت بمصر سنة ٧٤٥هـ ، فرحمه الله ورضى عنه .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير فى ثمان مجلدات كبار ، وهو مطبوعٌ ومتداولٌ بين أهل العلم ، ومعتبرٌ عندهم المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم ، إذ أن الناحية النحوية هى أبرز ما فيه من البحوث التى تدور حول آيات الكتاب العزيز ، ومع توسعه فى مسائل الخلاف بين النحويين ، أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

هذا ، وإن أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية فى تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحى التى لها اتصال بالتفسير ، فنراه يتكلم على المعانى اللغوية للمفردات ، ويذكر أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها ، كما أنه لا يغفل عن الناحية البلاغية فى القرآن ، ولا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام ، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف فى ذلك ، كل هذا على طريقةٍ وضعها لنفسه ، ومشى عليها فى كتابه ، ونبهنا عليها فى مقدمته :

هذا وإن أبا حيان – رحمه الله تعالى – ينقل فى تفسيره كثيراً من تفسير الزمخشرى ، وتفسير ابن عطية ، خصوصاً ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب

كما أنه يتعقبهما كثيراً بالرد والتفنيد لما قالاه فى مسائل النحو على الخصوص ، ولكثرة هذا التعقيب منه على كلام الزمخشرى وابن عطية نجد تلميذه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩هـ يختصر هذا التفسير فى كتابٍ سماه : (الدر اللقيط من البحر المحيط) يكاد يقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشرى ورده عليها وهذا المختصر توجد منه نسخةٌ مخطوطةٌ بمكتبة الأزهر ، كما أنه مطبوعٌ على هامش البحر المحيط .

ونهاية القول ، فإن أبا حيان قد غلبت عليه فى تفسيره الناحية التى برز فيها وبرع فيها وهى الناحية النحوية التى طغت على ما عداها من نواحى التفسير

٣- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - للآلوسى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو : أبو الثناء ، شهاب الدين ، السيد محمود أفندى الآلوسى البغدادى ، ولد فى سنة ١٢١٧هـ ، فى جانب الكرخ من بغداد

كان رحمه الله شيخ العلماء فى القرآن ، وآيةً من آيات الله العظام ، ونادرةً من نوادر الأيام . جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامةً فى المنقول والمعقول فى الفروع والأصول ، محدثاً لا يجارى ، ومفسراً لكتاب الله لا يبارى ، أخذ العلم عن فحول العلماء ، منهم والده العلامة ، والشيخ خالد النقشبندى والشيخ على السويدى

اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ودرس فى عدة مدارس ، وعندما قلد إفتاء الحنفية شرع يدرس سائر العلوم فى داره الملاصقة لجامع النسخ عند

الله العاقولى فى الرصافة، وقد تتلمذ له وأخذ عنه خلق كثير من قاصى البلاد ودانيها.

قلد إفتاء الحنفية فى السنة الثامنة والأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة ، وفى شوال سنة ١٢٦٣هـ انفصل من منصب الإفتاء ، وبقى مشتغلاً بتفسير القرآن الكريم حتى أتمه .

وكان رحمه الله عالماً باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل ، سلفىّ الاعتقاد ، شافعى المذهب ، إلا أنه فى كثيرٍ من المسائل يقلد الإمام أبا حنيفةَ رضى الله عنه ، وكان فى آخر أمره يميل إلى الاجتهاد .

ولقد خلف - رحمه الله - للناس ثروةً علميةً كبيرةً ونافعةً ؛ فمن ذلك تفسيره لكتاب الله ، وهو الذى نحن بصدده الآن ، وحاشيته على القطر ، كتب منها فى الشباب إلى موضع الحال ، وبعد وفاته أتمها ابنه السيد نعمان الآلوسى ، وشرح السلم فى المنطق ، وقد فقد ، ومنها الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية ، والأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية ، ودرة الغواص فى أوهام الخواص ، والنفحات القدسية فى المباحث الإمامية ، والفوائد السنية فى علم آداب البحث .

وقد توفى رحمه الله سنة ١٢٧٠هـ فرضى الله عنه وأرضاه .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

شرع المؤلف فى عمل هذا التفسير فى شهر شعبان سنة ١٢٥٢ هـ وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنةً ، وذكر فى خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧هـ .

مكانة هذا التفسير من التفاسير التى تقدمته :

ثم إن هذا التفسير - والحق يقال - قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه ، وبذل مجهوده

حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السلف روايةً ودرايةً ، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانةٍ وعنايةٍ ، فهو جامعٌ لخلاصة كل ما سبقه من التفسير فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية ، وتفسير أبي حيان ، وتفسير الكشاف ، وتفسير أبي السعود ، وتفسير البيضاوى ، وتفسير الفخر الرازى ، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة ، وهو إذا نقل عن تفسير أبي السعود يقول - غالباً - قال شيخ الإسلام . وإذا نقل عن تفسير البيضاوى يقول - غالباً - قال القاضى ، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازى يقول - غالباً - قال الإمام ، وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها ، ويجعل من نفسه نقاداً مدققاً ، ثم يبدى رأيه حراً فيما ينقل ، فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود ، أو عن البيضاوى ، أو عن أبي حيان ، أو عن غيرهم ، كما تراه يتعقب الفخر الرازى فى كثيرٍ من المسائل ويرد عليه على الخصوص فى بعض المسائل الفقهية ، إنتصاراً منه لمذهب أبي حنيفة ، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض من ينقل عنهم ، انتصر له ورجحه على ما عداه .

موقف الآلوسى من المخالفين لأهل السنة :

والآلوسى سلفيُّ المذهب سنيُّ العقيدة [1] ، ولهذا نراه كثيراً ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

الآلوسى والمسائل الكونية :

ومما نلاحظه على الآلوسى فى تفسيره ، أنه يستطرد إلى الكلام فى الأمور

١- على أنه رحمه الله تعالى ، قد لبس عباءة التصوف ، فأثرت فى تفسيره تأثيراً ليته سلم منه ، قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله (وأما التصوف ؛ فكان اتصاله شخصياً بالطريقة النقشبندية ، وولاؤه للسهروردية والخلوتية) أ.هـ وقال الآلوسى رحمه الله عن شيخه خالد النقشبندى : ارتضعت ضرع طريقته بعيد الفطام ، واحتسيت حميا محبته قبل أن تعثو منى العظام) أ. هـ انظر التفسير ورجاله للفاضل ابن عاشور ص ١٢١ - ١٤١

الكونية ، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة ، ويقر منه ما يرتضيه ، ويفند ما لا يرتضيه ، وإن أردت مثالاً جامعاً ، فارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات (٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) من سورة يس : ﴿ **والشمس تجرى لمستقرٍ لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكلٌ فى فلكٍ يسبحون** ﴾ .

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٣) من سورة الطلاق ﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ فسترى منه توسعاً فى هذه الناحية .

كثرة استطراده للمسائل النحوية :

كذلك يستطرد الآلوسى إلى الكلام فى الصناعة النحوية ، ويتوسع فى ذلك أحياناً إلى حدٍ يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسراً ، ولا أحيلك على نقطةٍ بعينها ، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك .

موقفه من المسائل الفقهية :

كذلك تجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصبٍ منه لمذهبٍ بعينه .

موقفه من الإسرائيليات :

ومما نلاحظ على الآلوسى أنه شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التى حشا بها كثيرٌ من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحةً ، مع سخريةٍ منه أحياناً .

تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول :

ثم إن الآلوسى يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها ، كما أنه

يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات ويذكر أسباب النزول للآيات التى أنزلت على سبب ، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعانى اللغوية .

الآلوسى والتفسير الاشارى :

ولم يفت الآلوسى أن يتكلم عن التفسير الإشارى بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، من هنا عد بعض العلماء تفسيره هذا فى ضمن كتب التفسير الإشارى، كما عد تفسير النيسابورى فى ضمنها كذلك ، ولكنى رأيت أن أجعلهما فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود ، نظراً إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الإشارى ، بل كان ذلك تابعاً - كما يبدو - لغيره من التفسير الظاهر [1].

وجملة القول ، فروح المعانى للعلامة الآلوسى ليس إلا موسوعةً تفسيريةً قيمةً ، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه ، مع النقد الحر ، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة ، وهو وإن كان يستطرد إلى نواحٍ علميةٍ مختلفة ، مع توسعٍ يكاد يخرجه عن مهمته كمفسرٍ إلا أنه متزنٌ فى كل ما يتكلم فيه ، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه ، وشمولٍ الإحاطة بكل ما يتكلم فيه ، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء ، إنه سميع مجيب .

---

١ - عقد الآلوسى رحمه الله فصلاً خاصاً بعد الفراغ من تفسير كل طائفة من الآيات ، حشد فيه ما ذكره الصوفية من الإشارات والذوقيات ، تمييزاً لها عن التفسير وتنبيهاً على أن طريق تحصيلها ليس هو دلالة الألفاظ وإنما الذوق والوجد الصوفى ، وهذا الاحتياط لم ينفعه إذ لم يلتزم فيما حشده - رحمه الله - بالشرائط المعتبرة عند أهل العلم لقبول هذا النوع من التفسير ، فقد فتح خرقاً جديداً يقتضى أن هناك طريقاً لاستفادة المعنى المراد غير مقتضى الألفاظ ، هو خروج عن قواعد أهل السنة فى الفهم والاستنباط ، ويصحب هذه الإشارات ثناء واسع وحسن ظن بالغ بأقطاب التفسير الإشارى من الصوفية كابن عربى وغيره ، وربما سمى الفقهاء والعلماء فى كثير من المقامات بأهل الحجاب ، مما أثار على تفسيره الغبار من العلماء المدركين لما فى تلك المزالق من أخطار ، والكمال عزيز .

سادساً : التفسير بالرأي المذموم أو تفسير الفرق المبتدعة

تمهيد فى بيان نشأة الفرق الإسلامية :

جرى التفسير منذ زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين ، على طريقة تكاد تكون واحدةً ، فخلف كل عصرٍ يحمل التفسير عمن سلف بطريق الرواية والسماع ، وفى كل عصرٍ من هذه العصور ، تتجدد نظراتٌ تفسيريه ، لم يكن لها وجودٌ قبل ذلك ، وهذا راجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة ازدادت نواحى الغموض فى التفسير ، فكان لابد للتفسير من أن يتضخم كلما مرت عليه السنون .

لم يكن هذا التضخم فى الحقيقة إلا محاولاتٌ عقليةٌ ، ونظراتٌ اجتهاديةٌ لم تخرج عن قانون اللغة ، ولم تتخط حدود الشريعة ، فلمْ تتجاوز دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشرع .

ظل الأمر على ذلك إلى أن قامت الفرق المختلفة ، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة ، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلةٍ وحيلةٍ ، وكان القرآن هو هدفهم الأول الذى يقصدون إليه جميعاً ، كلٌ يبحث فى القرآن ليجد فيه ما يقوى رأيه ويؤيد مذهبه وكلٌ واجدٌ ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه ، والميل بها مع رأيه وهواه ، وتأويل ما يصادمه منها تأويلا يجعلها غير منافيةٍ لمذهبه ولا متعارضةٍ معه ، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم .

والذى اشتهر من هذه الفرق خمس : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج ، وما وراء ذلك من الفرق كالجبرية ، والباطنية ، والمشبهة ، وغيرها فمعظمها مشتقٌ من هذه الفرق الخمس الرئيسية .

وكل فرقةٍ من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها ، وتفسره بما يتلاءم مع مذهبها ، فالمعتزلى يطبق لقرآن على مذهبه ، وكذلك يفعل الشيعى ، وكذلك يفعل كل صاحب مذهبٍ حتى يسلم له مذهبه .

غير أننا لم نحط علماً بكل هذه النظرات المذهبية فى القرآن ، ولم يقع تحت أيدينا من كتب التفسير المذهبية إلا القليل النادر .

ولهذا نتكلم عن التفسير المذهبى لا لكل الفرق ، بل للفرق التى ألفت وخلفت لنا كتباً فى التفسير ، ووقعت تحت أيدينا ، فاستطعنا بعد القراءة فيها والنظر إليها أن نحكم عليها بما يتناسب مع المنهج الذى انتهجه فيها مؤلفوها ، والطريق الذى سلكوه فى شرحهم لكتاب الله تعالى .

وسبق لنا أن تكلمنا عن التفسير بالرأى الجائز وأهم ما ألف فيه من كتب، وذلك هو تفسير أهل السنة والجماعة .

المعتزلة .. وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

نشأة المعتزلة :

نشأت هذه الفرقة فى العصر الأموى ، ولكنها شغلت الفكر الإسلامى فى العصر العباسى ردحاً طويلا من الزمان ، وأصل هذه الفرقة هو واصل بن عطاء الملقب بالغزال المولود سنة ٨٠هـ ، والمتوفى سنة ١٣١ هـ ، فى خلافة هشام بن عبد الملك .

واعتنق فكر المعتزلة من خلفاء بنى أمية يزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد وفى العصر العباسى ، استفحل أمر المعتزلة ، واحتل فكرهم وعقائدهم من عقول الناس وجدل العلماء مكاناً عظيماً ، وما لبث أن تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان :

مدرسة البصرة ، وعلى رأسها واصل بن عطاء ، ومدرسة بغداد ، وعلى رأسها بشر بن المعتمر .

موقف المعتزلة من تفسير القرآن الكريم

أقام المعتزلة مذهبهم على أصولٍ لا تتفق ومذهب أهل السنة والجماعة الذين يعتبرون أهم خصومهم ، لهذا كان من الضرورى لهذه الفرقة – فرقة المعتزلة – فى سبيل مكافحة خصومها ، أن تقيم مذهبها وتدعم تعاليمها على أسسٍ دينيةٍ من القرآن ، وكان لابد لها أيضاً أن ترد الحجج القرآنية لهؤلاء الخصوم وتضعف من قوتها ، وسبيل ذلك كله هو النظر إلى القرآن أولاً من خلال عقيدتهم ، ثم إخضاعهم عبارات القرآن لآرائهم التى يقولون بها ، وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع نحلتهم وعقيدتهم .

والذى يقرأ تفسير المعتزلة . يجد أنهم بنوا تفسيرهم على أسسهم ووضعوا أسساً للآيات التى ظاهرها التعارض فحكموا العقل ، ليكون الفيصل بين المتشابهات وقد كان من قبلهم يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة أو التابعين ، فإذا جاءوا إلى المتشابهات سكتوا وفوضوا العلم لله .

إنكار المعتزلة لما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة :

ثم إن هذا السلطان العقلى المطلق ، قد جر المعتزلة إلى إنكار ما صح من الأحاديث التى تناقض أسسهم وقواعدهم المذهبية ، كما أنه نقل التفسير الذى كان يعتمد أولاً وقبل كل شئ على الشعور الحى ، والإحساس الدقيق والبساطة فى الفهم وعدم التكلف والتعمق ، إلى مجموعةٍ من القضايا العقلية ، والبراهين المنطقية .

ادعاؤهم أن كل محاولاتهم فى التفسير مرادة للّه :

ثم إن المعتزلة – بناءً على رأيهم فى الاجتهاد ، من أن الحكم ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهدٍ ، فإذا اجتهدوا فى حادثة فالحكم عند الله تعالى فى حق كل واحد مجتهده – رفضوا أن يكون للآية التى تحتمل أوجهاً تفسيراً واحداً لا خطأ فيه ، وحكموا على جميع محاولاتهم التى حاولوها فى حل المسائل الموجودة فى القرآن ، بأنها مرادة لله تعالى ، وغاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم .

وبدهى أن هذا الذى ذهب إليه المعتزلة ، يخالف مذهب أهل السنة من أن لكل آيةٍ من القرآن معنى واحداً مراداً لله تعالى ، وما عداه من المعانى المحتملة ، فهى محاولات واجتهادات ، يراد منها الوصول إلى مراد الله بدون قطع ، غاية الأمر أن المفسر يقول باجتهاده ، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب ، وهو مأجور فى الحالتين وإن كان الأجر على تفاوت .

المبدأ اللغوى فى التفسير لدى المعتزلة :

كذلك نجد المعتزلة قد حرصوا كل الحرص على الطريقة اللغوية التى تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن .

تصرف المعتزلة فى القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم :

وأحياناً يحاول المعتزلة تحويل النص القرآنى من أجل عقيدتهم إلى ما لا يتفق وما تواتر من القراءات عن رسول الله ﷺ .

وهكذا نجد شيوخ المعتزلة ، يحاولون التوفيق بين مذاهبهم والقرآن ، بكل ما يستطيعون من وسائل التوفيق . تارةً بتطبيق مبدئهم اللغوى على كثيرٍ من آيات القرآن

الكريم ، حتى يتمشى النص القرآنى مع قواعد مذهبهم أو يتخلصوا من معارضته ومصادمته لهم على الأقل ، وتارةً بتحويل النص القرآنى والتصرف فيه ، بما يجعله فى جانبهم لا فى جانب خصومهم .

تذرع المعتزلة بالفروض المجازية إذا بدا ظاهر القرآن غريباً :

هذا ، وإن المعتزلة فى كثيرٍ من الأحيان ، يعتمدون فى طريقتهم التفسيريه على الفروض المجازية ، فمثلاً إذا مروا بآيةٍ من الآيات التى تبدو فى ظاهرها غريبة مستبعدة ، كقوله تعالى فى الآية (١٧٢) من سورة الأعراف : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾ .. الآية ، وقوله فى الآية (٧٢) من سورة الأحزاب : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها** ﴾ .. الآية ، نجدهم يحملون الكلام على التمثيل أو التخييل، ولا يقولون بالظاهر ولا يحومون عليه ، اللهم إلا للرد على من يقول به ويجوز حصوله .

تفسيرهم للقرآن على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينية :

وكذلك نجد المعتزلة قد وقفوا تجاه بعض الحقائق الدينية الثابتة عند جمهور أهل السنة موقف المعارضة والكفاح ، فأهل السنة يقولون بحقيقة السحر ، ويعترفون بما له من تأثيرٍ فى المسحور ، ويقولون بوجود الجن ويعترفون بما لهم من قوة التأثير فى الإنسان حتى ينشأ عن ذلك المس والصرع ، ويقولون بكرامات الأولياء .. وما إلى ذلك ولكن المعتزلة وقفوا ضد هذا كله وجعلوه من قبيل الخرافات ، والتصورات المخالفة لطبيعة الأشياء ، وكان من وراء ذلك أن تمرد المعتزلة – فى حريةٍ مطلقةٍ من كل قيدٍ – على الاعتقاد بالسحر والسحرة ، وما يدور حول ذلك .

كذلك تمرد بعض أعلام المعتزلة كالنظام على الاعتقاد بوجود الجن ، وثار بعضهم كالزمخشرى ضد من يقول بأن الجن لها قوة التأثير فى الإنسان مع الاعتراف

منه بوجودها فى نفسها ، فأولوا ما يصادمهم من الآيات القرآنية ، وأنكروا أو تأولوا ما صح من الأحاديث النبوية .

وبعد .. فإن المعتزلة لم يقفوا هذا الموقف الذى لا يتفق مع معتقدات أهل السنة ، ولم يعطوا العقل هذا السلطان الواسع فى التفسير ، إلا من أجل أن يبعدوا – كما يزعمون – كل الأساطير الخرافية عن محيط الحقائق الدينية ، وليربطوا بين القرآن وبين عقيدتهم .

حكم الإمام أبى الحسن الأشعرى على تفسير المعتزلة :

يقول فى مقدمة تفسيره المسمى بالمختزن والذى لم يقع لنا (أما بعد ، فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم ، وفسروه على أهوائهم : تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا رووه عن رسول رب العالمين ، ولا عن أهل بيته الطيبين ، ولا عن السلف المتقدمين ، من الصحابة والتابعين ، افتراءاً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

حكم ابن تيمية على تفسير المعتزلة :

كذلك حكم ابن تيمية على تفسيرهم فقال : (إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ ، ولا من أئمة المسلمين ، لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم ، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا بطلانه يظهر من وجوهٍ كثيرةٍ) .

أهم كتب التفسير الاعتزالي

١ - الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - للزمخشرى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير ، هو أبو القاسم : محمود بن عمر بن محمد بن محمد بن عمر الخوارزمى ، الإمام الحنفى المعتزلى ، الملقب بجار الله ولد فى رجب سنة ٤٦٧هـ بزمخشر ، قرية من قرى خوارزم ، وقدم بغداد ، ولقى الكبار وأخذ عنهم ، دخل خراسان مراراً عديدة ، وما دخل بلداً إلا واجتمع عليه أهلها وتتلمذوا له ، وما ناظر أحداً إلا وسلم له واعترف به ، ولقد عظم صيته وطار ذكره حتى صار إمام عصره من غير مدافعة .

ليس عجيباً أن يحظى الزمخشرى بكل هذا وهو الإمام الكبير فى التفسير، والحديث والنحو ، واللغة والأدب ، صاحب التصانيف البديعة فى شتى العلوم ، ومن أجل مصنفاته : كتابه فى تفسير القرآن العزيز الذى لم يصنف قبله مثله ، وهو ما نحن بصدده الآن ، والمحاجاة فى المسائل النحوية ، والمفرد والمركب فى العربية ، والفائق فى تفسير الحديث ، وأساس البلاغة فى اللغة ، والمفصل فى النحو ، ورؤوس المسائل فى الفقه .. وغير هذا كثير من مؤلفاته .

قال صاحب وفيات الأعيان : (كان الزمخشرى معتزلى الاعتقاد ، متظاهراً باعتزاله ، حتى نقل عنه : أنه إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

قيمة هذا التفسير – بصرف النظر عما فيه من الاعتزال – أنه تفسيرٌ لم يسبق مؤلفه إليه ؛ لما أبان فيه من وجوه الإعجاز فى غير ما آيةٍ من القرآن ، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآنى وبلاغته ، وليس كالزمخشرى من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته لما برع فيه من المعرفة بكثيرٍ من العلوم ، لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب المعروفة بأشعارهم ، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة ، والبيان والإعراب ، والأدب ، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمى والأدبى على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً ، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين .

ولقد اعترف له خصومه بالبراعة وحسن الصناعة ، وإن أخذوا عليه بعض المآخذ التى يرجع أغلبها إلى ما فيه من ناحية الاعتزال ، وإليك مقالات بعض العلماء فى الكشاف :

مقالة ابن بشكوال فى الكشاف :

وإنا لنجد فى مقدمة تفسير أبى حيان ، مقارنة للحافظ أبى القاسم ابن بشكوال ، بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشرى ، ووصفاً دقيقاً وتحليلاً عميقاً لكتاب الكشاف يقول فيها :

(وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص ، وكتاب الزمخشرى ألخص وأغوص ... إلى أن قال : هذا مع ما فى كتابه من نصرة مذهبه ، وتقحم مرتكبه ، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه ، ونسبة ذلك إليه فمغتفر إساءته لإحسانه ، ومصفوح عن سقطه فى بعضٍ ، لإصابته فى أكثر تبيانه) أ.هـ.

مقالة أبى حيان :

ونجد أبا حيان صاحب البحر المحيط عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٤٩) من سورة النمل : ﴿ **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون** ﴾ .. يتعقب الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ .. ثم يصفه بقوله : وهذا الرجل وإن كان أوتى من علم القرآن أوفر حظٍ ، جمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ، ففى كتابه فى التفسير أشياء منتقدة .

مقالة ابن خلدون :

وهذا هو العلامة ابن خلدون ، نجده عندما تكلم عن القسم الثانى من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان ، من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب . يقول : ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب للزمخشرى من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد ، فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له فى آى القرآن من طرق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه ، وتحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية ، محسناً للحجاج عنها ، فلا جرم أنه مأمونٌ من غوائله ، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان .

مقالة التاج السبكى :

وأخيراً .. فهذا هو العلامة تاج الدين السبكى يقول فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم (واعلم أن الكشاف كتابٌ عظيمٌ فى بابه ، ومصنفه إمامٌ فى فنه ، إلا أنه رجل مبتدعٌ متجاهرٌ ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيراً ، ويسىء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما فى الكشاف من ذلك كله ...) .

اهتمام الزمخشرى بالناحية البلاغية للقرآن :

عندما يلقى الإنسان نظرةً فاحصةً على العمل التفسيرى الذى قام به العلامة الزمخشرى فى كشافه ، يظهر له من أول وهلةٍ ، أن المبدأ الغالب عليه فى جهوده التفسيريه ، كان فى تبيين ما فى القرآن من الثروة البلاغية التى كان لها كبير الأثر فى عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله ، والذى يقرأ ما أورده الزمخشرى عند تفسيره لكثيرٍ من الآيات من ضروب الاستعارات ، والمجازات ، والأشكال البلاغية الأخرى ، يرى أن الزمخشرى كان يحرص كل الحرص على أن يبرز فى حلّةٍ بديعةٍ جمال أسلوبه وكمال نظمه ، وإنا لنكاد نقطع - إذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروةٍ بلاغيةٍ فى المعانى والبيان - بأنه لا يوجد تفسيرٌ أوسعُ مجالاً فى جهوده فى هذا الصدد من تفسير الزمخشرى .

ولقد كانت لعناية الزمخشرى بهذه الناحية فى تفسيره من الأثر بين المفسرين وبين مواطنية من المشارقة ما هو واضح بين .

تذرعه بالمعانى اللغوية لنصرة مذهبه الاعتزالى :

كذلك نرى الزمخشرى - كغيره من المعتزلة - إذا مر بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه ، يحاول بكل جهوده أن يبطل هذا المعنى الظاهر ، وأن يثبت للفظ معنىً آخر موجوداً فى اللغة .

فمثلا تراه عندما تعرض لتفسير قوله تعالى فى الآيتين (٢٢ ، ٢٣) من سورة القيامة : ﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾ .. يتخلص من المعنى الظاهر لكلمة ناظرة ؛ لأنه لا يتفق مع مذهبه الذى لا يقول برؤية الله تعالى ، ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع والرجاء .

اعتماده على الفروض المجازية، وتذرعه بالتمثيل والتخييل فيما يستبعد ظاهره:

كذلك نرى الزمخشرى يعتمد فى تفسيره على الفروض المجازية فى الكلام الذى يبدو فى حقيقته بعيداً وغريباً .

ثم إن هذه الطريقة التى يعتمد عليها الزمخشرى فى تفسيره ، أعنى طريقة الفروض المجازية ، وحمل الكلام الذى يبدو غريباً فى ظاهره على أنه من قبيل التعبيرات التمثيلية أو التخييلية ، قد أثارت حفيظة خصمه السنى ابن المنير الإسكندرى عليه ، فاتهمه بأشنع التهم فى كثيرٍ من المواضع التى تحمل هذا الطابع ونسبه فيها إلى قلة الأدب وعدم الذوق .

مبدأ الزمخشرى فى التفسير عندما يصادم النص القرآنى مذهبه :

والمبدأ الذى يسير عليه الزمخشرى فى تفسيره ويعتمد عليه عندما تصادمه آيةٌ تخالف مذهبه وعقيدته ، هو حمل الآيات المتشابهة على الآيات المحكمة ، وهذا المبدأ قد وجده الزمخشرى فى قوله تعالى فى الآية (٧) من سورة آل عمران : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ .. (فالمحكمات) هى التى أحكمت عباراتها ، بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه ، (والمتشابهات) هى المشتبهات المحتملات . (وأم الكتاب) هى أصله الذى يحمل عليه المتشابه ، يرد إليه ويفسر به .

على هذا التفسير جرى الزمخشرى فى كشافه عندما تعرض لهذه الآية ، وهو تفسيرٌ لا غبار عليه كما أن هذا المبدأ – أعنى مبدأ حمل الآيات المتشابهات على الآيات المحكمات – مبدأٌ سليمٌ يقول به غير الزمخشرى أيضا من علماء أهل السنة ، ولكن الذى لا نسلمه للزمخشرى هو تطبيقه لهذا المبدأ على الآيات التى تصادمه ،

فإذا مر بآية تعارض مذهبه ، وآية أخرى فى موضوعها تشهد له بظاهرها ، نراه يدعى الاشتباه فى الأولى والإحكام فى الثانية ، ثم يحمل الأولى على الثانية وبهذا يرضى هواه المذهبى ، وعقيدته الاعتزالية .

خصومة العقيدة بين الزمخشرى وأهل السنة :

ومن أجل هذا الخلاف العقيدى بين الزمخشرى وأهل السنة ، نجد الخصومة بينهم حادةً عنيفةً ، كلٌ يتهم خصمه بالزيغ والضلال ، ويرميه بأوصاف يسلكه بها فى قرنٍ واحد مع الكفرة والفجرة ، وتلك - على ما أعتقد - مبالغةٌ مسفةٌ فى الخصومة ، ما كان ينبغى لأحد الخصمين أن يخوض فيها على هذا الوجه ، وبخاصةٍ بعد ما عرف من أن كليهما يهدف إلى تنزيه الله عما لا يليق بكماله [1] .

موقف الزمخشرى من المسائل الفقهية :

هذا ، وإن الزمخشرى - رحمه الله - يتعرض إلى حدٍ ما ، وبدون توسعٍ إلى المسائل الفقهية التى تتعلق ببعض الآيات القرآنية ، وهو معتدلٌ لا يتعصب لمذهبه الحنفى .

فمثلاً عندما فسر قوله تعالى فى الآية (٢٣٧) من سورة البقرة : ﴿ **إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح** ﴾ .. قال : والذى بيده عقدة النكاح الولى ،

---

١ - لا شك أن فرقة المعتزلة من كبريات الفرق الإسلامية المفارقة لأهل السنة والجماعة والداخلة فى عموم حديثه ﷺ عن الفرق « كلها فى النار إلا واحدة » وقد انبرى علماء التفسير ينفون عن كتاب الله تعالى انتحال المبطلين وغلو الغالين ، وأهل السنة قامت طريقتهم فى النقد والتقويم على الإنصاف والعدل مع المخالف فلم يجاروا الزمخشرى فيما تناول به مخالفيه من قدح وشتم وسب وتجهيل ، وقد ألف ابن المنير المالكى المصرى رحمه الله كتابه (الانتصاف) فبين ما فى الكشاف من دعاوى اعتقادية باطلة، مع الإقرار بما فى الكتاب من مباحث لغوية وبلاغية نفيسة ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

يعنى إلا أن تعفوا المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر ، وتقول المرأة ما رآنى ولا خدمته ، ولا استمتع بى ، فكيف آخذ منه شيئاً . أو يعفو الولى الذى يلى عقد نكاحهن ، وهو مذهب الشافعى ، وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملاً ، وهو مذهب أبى حنيفة والأول ظاهر الصحة أ.هـ .

موقف الزمخشرى من الاسرائيليات :

ثم إن الزمخشرى مقلٌ من ذكر الروايات الإسرائيلية ، وما يذكره من ذلك إما أن يصدره بلفظ روى ، المشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة وإما أن يفوض علمه إلى الله سبحانه ، وهذا فى الغالب يكون عند ذكره للروايات التى لا يلزم من التصديق بها مساسٌ بالدين ، وإما أن ينبه على درجة الرواية ومبلغها من الصحة أو الضعف ولو بطريق الإجمال ، وهذا فى الغالب يكون عند الروايات التى لها مساس بالدين وتعلق به .

الخلاصة

عرفنا فى هذه الوحدة معنى التفسير بالرأى وأنه التفسير بالاجتهاد من المفسر وعرفنا أن التفسير بالرأى منه الجائز ، ومنه المذموم ، وأن الجائز هو الذى يكون جارياً على موافقة كلام العرب فى مناحى كلامهم مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة شروط التفسير التى تشترط للمفسر أن يفسر برأيه إذا حصّل من العلوم علم اللغة والنحو والصرف وما إلى ذلك من علوم اللسان مع علم القراءات وأصول الدين ، وأصول الفقه وأسباب النزول والأحاديث التى يعرف بها تخصيص العام أو تقييد المطلق وما إلى ذلك وبعد هذا كله لابد من علم الموهبة ، ولا يحصله إلا من عمل بما علم . أيضاً اشترطوا لمن يفسر بالرأى أن يتجنب الهجوم على المعانى بدون الأدوات السابقة ، وأن يتجنب الخوض فيما استأثر الله بعلمه ، ويتجنب أيضاً السير مع الهوى والاستحسان أو أن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له ، أيضا ينهى المفسر بالرأى عن القطع بأن تفسيره هو مراد الله تعالى بدون علم .

وعرفنا أن مصادر التفسير فى هذه المرحلة وعند من يفسر برأيه أيضا هى نفس مصادر التفسير بالمأثور غير أنها تزيد عليها المقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع مع الاستعانة بمطلق اللغة كمصدرين إضافيين إلى جانب القرآن والسنة وما صح عن الصحابة فى التفسير .

بعد ذلك عرجنا على أهم كتب التفسير بالرأى الجائز فعرفنا منها تفسير الفخر الرازى المسمى بمفاتيح الغيب ، والبحر المحيط لأبى حيان ثم روح المعانى للآلوسى .

أيضا عرفنا فرقة المعتزلة وكيف نشأت فى العصر الأموى على يد واصل بن عطاء ، وكيف حكموا عقولهم فى الدين لتكون فيصلاً فى المتشابهات مما دفعهم إلى

إنكار الأحاديث الصحيحة ، المخالفة لرأيهم واعتمادهم بشكل كبير على اللغة – مع ما تحتمله اللغة – ثم ادعاؤهم أن الحكم عند الله هو ما يؤدى إليه اجتهادهم فقطعوا بأن محاولاتهم للتفسير هى مرادة لله تعالى ، وعرفنا أن تفسير الكشاف للزمخشرى هو المعبر عن هذه الفرقة فى عقائدها وأصولها وأنه ذهب بتفسير القرآن لنصرة مذهبه فكان تفسيره بذلك من أوضح نماذج التفسير بالرأى المذموم .

تحديد موضع الدرس

راجع التفسير والمفسرون . د. محمد حسين الذهبى : جـ ١ص ٢٤٦ : ٢٨١ ، ومن ص ٣٠٠ ٣٠٤ ، ومن ص ٣٣٣ ٣٦٤ ومن ص ٤٠٣ ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ : ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ٤٤٤ ٤٤٧ .

المراجع المساعدة :

١- مقدمة التفسير للراغب الأصفهانى (الملحق بآخر تبريه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار) ص ٤٢٣

٢- تفسير القرطبى جـ ١ص ٣١ : ٣٥

٣- الإتقان للسيوطى جـ٢ ص ١٧٨ ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣

٤- مفاتيح الغيب للرازى

٥- البحر المحيط لأبى حيان .

٦- روح المعانى للآلوسى

٧- الكشاف للزمخشرى

التعريف بالمصطلحات

التفسير بالرأى : المراد به هنا الاجتهاد ، فهو عبارةٌ عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ووجه دلالة الألفاظ العربية وغير ذلك من الأدوات التى يحتاجها المفسر .

القطعى : هو المقطوع به والذى لا يدخل إليه الاحتمال .

الظنى : هوما يدخله الاحتمال فهو غير مقطوعٍ به .

المعتزلة : إحدى الفرق المخالفة لأهل السنة وكان مبدؤها على يد واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى حينما اختلف معه فى مصير مرتكب الكبيرة الذى لم يتب حتى مات ، بعدها اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصرى وأنشأ لنفسه مجلساً يدرس فيه أفكاره فسمى أتباعه بالمعتزلة .

تدريبات الوحدة الرابعة

١ - تدريبات التقويم الذاتى

١- اذكر معنى التفسير بالرأى .

٢- بين معنى التفسير بالرأى المذموم .

٣- اذكر العلوم اللازم توافرها للمفسر .

٤- بين الأمور التى يجب على المفسر أن يتجنبها .

٥- ضع علامة (✓) أما الصواب ، (×) أمام الخطأ مما يلى :

- المعتزلة لا يحكمون عقولهم فى النصوص . ( )
- يعتبر تفسير البحر المحيط من تفاسير الرأى المذموم . ( )
- مما ينبغى للمفسر تجنبه الخوض فيما استأثر الله بعلمه . ( )
- علم أصول الفقه لا علاقة له بالتفسير . ( )
- مما يجب على المفسر أن يقطع بأن تفسيره هو مراد الله تعالى . ( )

٦- تكلم باختصار عن أحد هذه التفاسير .

مفاتيح الغيب للرازى - روح المعانى للآلوسى - الكشاف للزمخشرى .

٢- تدريبات التقويم المستمر

١- اذكر معنى التفسير بالرأى الجائز .

٢- اذكر بالأمثلة أهمية علم التصريف بالنسبة للمفسر .

٣- اذكر أهمية العلم بالسنة بالنسبة للمفسر .

٤- تكلم عن تفسير البحر المحيط مبينا معالم التفسير بالرأى الجائز فيه .

٥- اذكرمصادر التفسير للمفسر بالرأى الجائز .

٣- بحـــوث

اكتب بحثا حول أحد هذه التفاسير :

١- أنوار التنزيل للبيضاوى .

٢- لباب التأويل للخازن .

٣- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار .

الوحدة الخامسة

الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

المقدمة

لم يُصدع بنا ء الإسلام الشامخ بصدع أكبر أو أعمق مما صدع بنشأة فرقة الشيعة ، فقد كانت أصلاً لكثير من الفرق التي تفرعت عنها قديماً وحديثاً .

وإذا كانت فرقة المعتزلة قد اندثرت كفرقة وجماعة ولم يبق منها إلا أفراد هنا وهناك ، وأفكار في بطون الكتب ، فإن فرقة الشيعة ما زالت تمثل علّة في جسد الأمة لا يستهان بها ، إذ تلتف حولها شعوب وتقوم عليها دول .

وفي هذه الوحدة نستكمل دراستنا لنماذج التفسير بالرأي المذموم الذي صدر عن فرقة الشيعة وما تفرع منها قديماً وحديثاً ، وذلك بعد أن تعرفنا على المعتزلة وعلى نماذج من تفسيرهم كمثال على التفسير بالرأي المذموم .

الأهداف الخاصة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون ملمًا بما يلي :

[١] تعريف الشيعة أو كلمة إجمالية عنهم .

[٢] معرفة موقفهم أو كلمة إجمالية عنهم .

[٣] التعرف على بعض فرقهم مثل الإمامية الإثني عشرية والإسماعيلية (الباطنية).

[٤] الوقوف على نماذج من تفسيرهم للقرآن الكريم .

[٥] التعرف على بعض الفرق التي تفرعت عنهم في العصر الحديث مثل البابية والبهائية .

[٦] معرفة نماذج من تأويلات البابية والبهائية .

[٧] معرفة نبذة عن الخوارج وموقفهم من التفسير .

الرسم التوضيحي

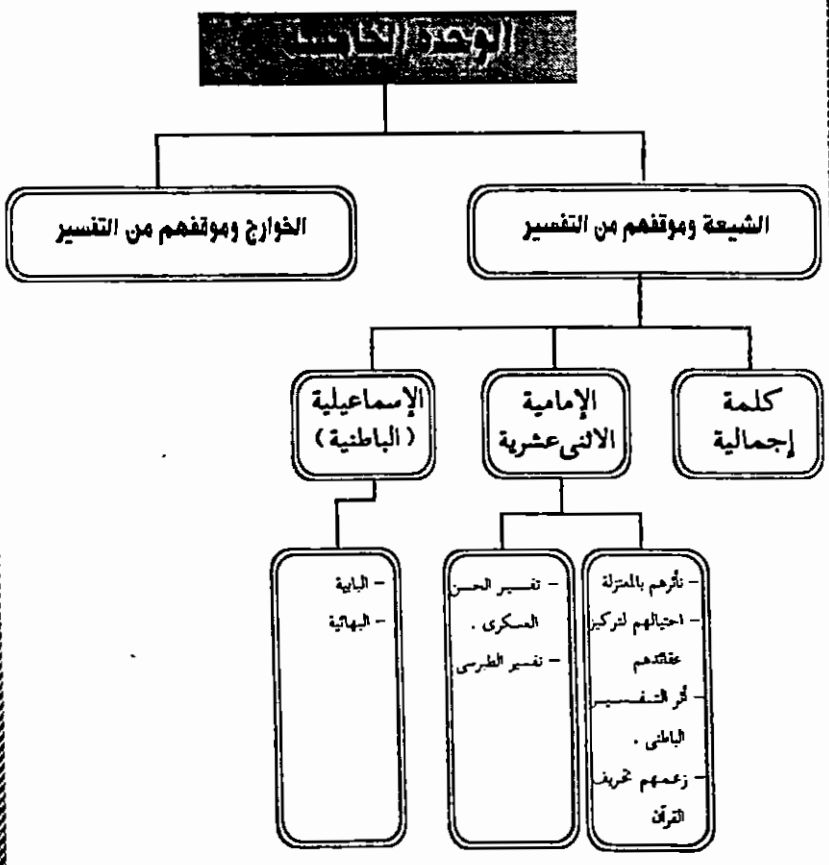

الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

أولاً: كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم:

الشيعة فى الأصل ، هم الذى شايعوا علياً وأهل بيته ووالوهم ، وقالوا : إن علياً هو الإمام بعد رسول الله ﷺ ، وإن الخلافة حق له استحقها بوصية من رسول الله ﷺ، وهى لا تخرج عنه فى حياته ، ولا عن أبنائه بعد وفاته ، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحدٍ من أمرين :

أحدهما : أن يغتصب غاصبٌ ظالم هذا الحق لنفسه .

ثانيهما : أن يتخلى صاحب الحق عنه فى الظاهر ، تقيةً منه ، ودرءاً للشر عن نفسه وعن أتباعه .

لم يكن الشيعة جميعاً متفقين فى المذهب ، والعقيدة ، بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلى فرقٍ عدةٍ ، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين ، كان لهما كل الأثر فى تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم :

أولهما : اختلافهم فى المبادئ والتعاليم ، فمنهم من تغالى فى تشيعه وتطرف فيه إلى حدٍ جعله يلقى على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ، ويرمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر ، ومنهم من اعتدل فى تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم ، ولكن ليس بالخطأ الذى يصل بصاحبه إلى درجة الكفر .

وثانيهما : الاختلاف فى تعيين الأئمة ، وذلك أنهم اتفقوا جميعاً على إمامة على رضى الله عنه ، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده ، ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه ، ولما قتل الحسين على عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضى الله عنه .

موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم :

لم يقف أمر الشيعة عند حد الانقسام إلى حزبين أو ثلاثة ، بل تفرقت بهم الأهواء - كما قلنا - إلى حد الكثرة فى التحزب .

وكان طبيعياً - وكل حزب من هذه الأحزاب يدعى الإسلام ، ويعترف بالقرآن ولو فى الجملة - أن يبحث كلٌ عن مستند يستند إليه من القرآن ويحرص كل الحرص على أن يكون القرآن شاهداً له لا عليه ، فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون دليلاً على مذهبه تمسك به ، وأخذ فى إقامة مذهبه على دعامة منه . وما وجده مخالفاً لمذهبه حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقا لا مخالفاً ، وإن أدى هذا كله إلى خروج اللفظ القرآنى عن معناه الذى وضع له وسيق من أجله .

ثانياً : موقف الإمامية الإثني عشرية من تفسير القرآن الكريم

للإمامية الإثنى عشرية معتقدات يدينون بها ، وينفردون بها عمن عداهم من طوائف الشيعة ، ولابد لهم أن يقيموا هذه العقائد على دعائم من نصوص القرآن الكريم ، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل .

هذه المعتقدات يدور أهمها حول أئمتهم فهم يلقون على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم .

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يحكم عليه ، وفوق الناس فى طينته وتصرفاته ، فإنا نراهم يعتقدون بأن له صلةً روحيةً بالله تعالى كتلك الصلة التى للأنبياء والرسل ، وأنه مشرعٌ ومنفذٌ ، وأن الله قد فوض النبى والإمام فى الدين .

ثم كان من توابع هذه العقيدة التى يعتقدونها فى أئمتهم أن قالوا بعصمة الأئمة ، وقالوا بالمهدى المنتظر ، وقالوا بالرجعة ، وقالوا بالتقية ، وهذه كلها عقائد

رسخت فى أذهانهم وتمكنت من عقولهم ، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم ، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم هذه العقيدة ويزينه لهم الهوى .. وهذا تفسير بالرأى المذموم .

تأثر الإمامية الاثنى عشرية بأراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم :

هذا وإن الإمامية الإثنى عشرية لهم فى نصوص القرآن التى تتصل بمسائل علم الكلام نظرة تتفق إلى حدٍ كبيرٍ مع نظرة المعتزلة إلى هذه النصوص نفسها ولم يكن بينهم وبين المعتزلة خلاف إلا فى مسائل قليلة ، ويظهر أن هذا الارتباط الوثيق الذى كان بين الفريقين راجعٌ إلى تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلمائهم لبعض شيوخ المعتزلة ، كما يظهر لنا جلياً أن هذا الارتباط فى التفكير شئ قديم غير جديد ، فالحسن العسكرى ، والشريف المرتضى ، وأبو على الطبرسى ، وغيرهم من قدماء الشيعة ينظرون هذه النظرة الاعتزالية فى تفاسيرهم التى بأيدينا .

بل إننا نجد الشريف المرتضى فى أماليه يحاول محاولةً جديةً أنه يجعل علياً رضى الله عنه معتزلياً أو رأس المعتزلة على الأصح .

احتيالهم على تركيز عقائدهم وترويجها :

ويظهر لنا أن الإمامية الإثنى عشرية لم يجدوا فى القرآن كل ما يساعدهم على أغراضهم وميولهم ، فراحوا (أولاً) يدعون أن القرآن له ظاهرٌ وباطنٌ بل وبواطن كثيرةٍ ، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة ، سواء فى ذلك ما يتعلق بالظواهر ، وما يتعلق بالبواطن ، وحجروا على العقول فمنعوا الناس من القول فى القرآن بغير سماعٍ من أئمتهم .

وراحوا (ثانياً) يدعون أن القرآن واردٌ كله أو جله فى أئمتهم ومواليهم ، وفى

أعدائهم ومخالفيهم كذلك .

وراحوا (ثالثاً) يدعون أن القرآن حرف وبدل عما كان عليه زمن النبى ﷺ ، وكل هذا لا أعتقد إلا أنه من قبيل الاحتيال على تركيز عقائدهم وإيهام الناس أنها مستقاة من القرآن الذى هو المنبع الأساسى والأول للدين .

أثر التفسير الباطنى فى تلاعبهم بنصوص القرآن :

ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطنى للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطرباً بالغاً ومجالاً رحباً ، يتسع ما يشاؤه الهوى وتزينه لهم عقيدتهم، فأخذوا يتصرفون فى القرآن كما يحبون ، وعلى أى وجهٍ يشتهون .

فقالوا – مثلاً – : إن من لطف الله تعالى أن يشير بواسطة المعانى الباطنة لبعض الآيات إلى ما سيحدث فى المستقبل من حوادث ، ويعدون هذا من وجوه إعجازه ، ثم يفرعون على هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوى ، فيقولون مثلا فى قوله تعالى فى الآية (١٩) من سورة الأنشقاق : ﴿ **لتركبن طبقاً عن طبقٍ** ﴾ إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء .

كذلك مكن لهم القول بباطن القرآن من أن يقولوا : إن اللفظ الذى يراد به العموم كثيراً ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن ، فمثلاً لفظ الكافرون الذى يراد به العموم ، يقولون : هو فى الباطن مخصوص بمن كفر بولاية على .

كذلك مكنهم هذا المبدأ من إرجاع الضمير إلى ما لم يسبق له الذكر ، كما فى قوله تعالى فى الآية (١٤٥) من سورة يونس : ﴿ **قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآنٍ غير هذا أو بدله** ﴾ .. حيث يفسرون ﴿ **أو بدله** ﴾ بمعنى أو بدل عليا ، ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر ، ولم يكن الكلام مسوقاً فى شأن خلافته وولايته .

موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم :

ثم إن الإمامية الإثنى عشرية ، قرروا أن الإقرار بإمامة علي ومن بعده من الأئمة والتزام حبهم وموالاتهم ، وبغض مخالفيهم وأعدائهم ، أصلٌ من أصول الإيمان ، بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك ، مع الإقرار بباقي الأصول .

ثم أخذوا ينزلون نصوص القرآن على ما قرروه ، بل وزادوا على ذلك فقالوا : إن كل آيات المدح والثناء وردت فى الأئمة ومن والاهم ، وكل آيات الذم والتقريع وردت فى مخالفيهم وأعدائهم .

بل وبالغوا فقالوا : إن الأئمة هم المقصودون بالذات أحياناً كما فى قوله تعالى: ﴿ **وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ حيث رووا عن أبى جعفر محمد الباقر أنه قال فيها : إن الله أعظم وأعز وأجل من أن يظلم ، ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ، حيث يقول : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ بمعنى الأئمة منا أ.هـ .

تحريف القرآن وتبديله (فى زعمهم) :

وأحسب أن الإمامية الإثنى عشرية ، عز عليهم أن يكون القرآن غير صريح فى عقيدتهم بالنسبة للأئمة وموافقيهم ، وبالنسبة لأعدائهم ومخالفيهم.

فلم يجدوا أسهل من القول بتحريف القرآن وتبديله وأنه حذف منه كل ما ورد صريحاً فى فضائل آل البيت ، وكل ما ورد صريحاً فى مثالب أعدائهم ومخالفيهم .

يروى الكافى عن الصادق : أن القرآن الذى نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية ، والتى بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آيةً ، والبواقى مخزونةً عند أهل البيت فيما جمعه على .

والحق أن الشيعة هم الذين حرفوا وبدلوا ، فكثيراً ما يزيدون فى القرآن ما ليس منه ، ويدعون أنه قراءة أهل البيت ، فمثلاً نراهم عند قوله تعالى فى الآية (٦٧) من سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ..** ﴾ يزيدون « فى شأن علىٍ» وهى زيادة لم ترد إلا من طريقهم ، وهى طريق مطعون فيها .

أهم كتب التفسير عند الإمامية الإثني عشرية

١ - تفسير الحسن العسكرى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد الحسن بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمدٍ الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الإمام الحادى عشر عند الإمامية الإثنى عشرية والمعروف بالحسن العسكرى . وهو والد المهدى المنتظر .

ولد سنة ٢٣١هـ وقيل سنة ٢٣٢هـ بالمدينة على الراجح ، وتوفى بسر من رأى سنة ٢٦٠ هـ ودفن بها بجانب أبيه .

التعريف بهذا التفسير :

عثرنا على هذا التفسير فى دار الكتب المصرية فوجدناه منسوبا إلى الإمام أبى محمد الحسن العسكرى ، وهو مطبوعٌ فى مجلدٍ صغيرٍ يقع فى ٢٨٦ صحيفة وهو غير كاملٍ للقرآن كله .

وأسوق لك بعض النماذج لتقف بنفسك على مسلكه فى التفسير ، وتأثره

بمذهب الإمامية .

ولاية علي :

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٨) من سورة البقرة : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ يقول : بعد قصة طويلة – عن الله تعالى – فقال : يا محمد ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله** ﴾ .. الذي أمرك بنصب عليّ إماماً وسايساً لأمتك ومدبراً ، ﴿ **وما هم بمؤمنين** ﴾ .. لذلك ، ولكنهم يتواطئون على إهلاكك وإهلاكه ، يوطئون أنفسهم على التورط على عليّ إن كانت بك كائنة) .

ومثلا عند قوله تعالى في الآية (٥٠) من سورة البقرة : ﴿ **وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** ﴾ نجده يقول : (قال الله عز وجل : واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقا ينقطع بعضه من بعض ، فأنجيناكم هناك وأغرقنا فرعون وقومه وأنتم تنظرون إليهم وهم يغرقون ، وذلك أن موسى لما انتهى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه : قل لبني إسرائيل جددوا توحيدي ، وأمروا بقلوبكم ذكر محمدٍ سيد عبيدي وإمائي ، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلي أخي محمدٍ وآله الطيبين ... الخ) .

التقية :

وهو يعترف بالتقية ويدين بها ، ويروى عن رسول الله ﷺ أحاديث فيها ، فيروى عن أمير المؤمنين أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سئل عن علمٍ فكتمه حيث يجب إظهاره وتزول عنه التقية ، جاء يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من النار » أ.هـ .

تأثره بمذهب المعتزلة :

وإنا لنجد فى هذا التفسير تأثراً بمذهب المعتزلة ومعتقداتهم ، فمثلاً عند قوله تعالى فى الآية (٧) من سورة البقرة : ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة** ﴾ .. نجد المؤلف لا يرتضى نسبة الختم إلى الله على ظاهره ، ونراه يتأول هذا الختم بما يتفق ورأى المعتزلة .

تأثره فى تفسيره بآراء الشيعة فى الفروع الفقهية :

كذلك نجد المؤلف يجرى فى تفسيره على وفق ما يميل إليه من الأحكام الفقهية التى يقول بها الإمامية الإثنا عشرية .

فمثلا عند قوله تعالى فى الآية (٤٣) من سورة البقرة : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ .. نراه يروى حديثاً طويلاً عن رسول الله ﷺ يؤخذ منه صراحةً أن فرض الرجلين فى الوضوء مسحهما لا غسلهما وأن غسلهما لا يجوز إلا للتقية .

وهكذا نجد هذا التفسير يسير مع الهوى الشيعى ، سيراً فيه كثير من التطرف والغلو والخروج عن دائرة المعقول المقبول .

٢- مجمع البيان لعلوم القرآن - للطبرسى

ترجمة المؤلف ومكانته العلمية :

مؤلف هذا التفسير فى نظر أصحابه هو أبو على ، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى المشهدى ، الفاضل العالم ، المفسر الفقيه ، المحدث الجليل ، الثقة ، الكامل ، النبيل ، وهو من بيتٍ عرف أهله بالعلم وتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

منهج الطبرسى فى تفسيره :

وضح منهجه فقال : (قدمت فى مطالع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف فى عدد آياتها ، ثم ذكرت تلاوتها ، ثم أقدم فى كل آية الاختلاف فى القراءات ، ثم أذكر العلل والاحتجاجات ، ثم أذكر العربية واللغات ، ثم أذكر الإعراب والمشكلات ، ثم أذكر الأسباب والنزولات ، ثم أذكر المعانى والأحكام والتأويلات ، والقصص والجهات ، ثم أذكر انتظام الآيات ، على أنى قد جمعت فى عربيته كل غرة لائحة ، وفى إعرابه كل حجة واضحة ، وفى معانيه كل قول متين ، وفى مشكلاته كل برهان مبين ، فهو بحمد الله للأديب عمدة وللنحوى عدة وللمقرئ بصيرة ، وللواعظ آلة ، وسميته ـ مجمع البيان لعلوم القرآن) .

والحق أن تفسير الطبرسى – بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية – كتاب عظيم فى بابه ، يدل على تبحر صاحبه فى فنون مختلفة من العلم والمعرفة ، والكتاب يجرى على الطريقة التى أوضحها لنا صاحبه ، فى تناسق وترتيب ، وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشيعه لمذهبه وانتصاره له ، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته ، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التى خالف فيها هو ومن على شاكلته ، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعة . غير أنه – والحق يقال – ليس مغاليًا فى تشيعه ولا متطرفاً فى عقيدته ، كما هو شأن كثير غيره من علماء الإمامية الإثنى عشرية .

وإليك بعض المثل من هذا التفسير ، لترى كيف يميل الطبرسى بالآيات القرآنية إلى المعانى التى تتفق ومذهبه .

إمامة على :

لما كان الطبرسى يدين بإمامة على رضى الله عنه ، ويرى أنه خليفة النبى ﷺ

بلا فصلٍ ، فإنا نراه يحاول بكل جهوده أن يثبت إمامته وولايته من القرآن فنراه عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٥٥) من سورة المائدة : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ .. يبذل مجهودا كبيرا لاستخلاص وجوب إمامة علىٍّ رضى الله عنه من هذه الآية .

عصمة الأئمة :

ولما كان الطبرسى يدين بعصمة الأئمة فإنا نراه عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣٣) من سورة الأحزاب : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ .. يحاول محاولةً جديةً أن يقصر أهل البيت على النبى ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين ؛ ليصل من وراء ذلك إلى أن الأئمة معصومون من جميع القبائح كالأنبياء سواءً بسواءٍ .

الرجعة :

ولما كان الطبرسى يقول بالرجعة ، فإنا نراه عندما فسر قوله تعالى فى الآية (٥٦) من سورة البقرة : ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ يقول ما نصه : (.. واستدل قوم من أصحابنا بهذه الآية ، على جواز الرجعة) .

المهدى :

والطبرسى يدين بالمهدى ، ويعتقد أنه اختفى وسيرجع فى آخر الزمان ، وقد تأثر بهذه العقيدة ، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣) من سورة البقرة : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .. يذكر الأقوال الواردة فى المعنى المراد بالغيب ، وينقل فى جملة ما ينقل من الأقوال : أن ابن مسعود وجماعةً من الصحابة فسروا الغيب ما غاب عن العباد علمه ، ثم يقول :

(وهذا أولى لعمومه ، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدى ووقت خروجه) أ. هـ .

التقية :

ولما كان الطبرسى يقول بمبدأ التقية ، فإنا نجده يستطرد إلى الكلام فيها ويؤيد مذهبه عندما فسر قوله تعالى فى الآيه (٢٨) من سورة آل عمران ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاةً** ﴾ الآية ، فيقول : (من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليس من الله فى شئٍ ، أى ليس هو من أولياء الله ، والله برئٌ منه ، وقيل : ليس هو من ولاية الله تعالى فى شئٍ ، وقيل : ليس من دين الله فى شئٍ ، ثم استثنى فقال ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاةً** ﴾ .. والمعنى : إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ، ومداراتهم تقيةً منهم ودفعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك .

تأثر الطبرسى بفقه الشيعة فى تفسيره :

نكاح المتعة :

فمثلاً نجد الإمامية الإثنى عشرية يقولون بجواز نكاح المتعة ، ولا يعترفون بنسخه كغيرهم من المسلمين ؛ فلهذا حاول الطبرسى – وهو واحد منهم – أن يأخذ هذا المذهب بدليله من كتاب الله تعالى فعندما فسر قوله تعالى فى لآية (٢٤) من سورة النساء ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضةً** ﴾ الآية ، قيل : المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة .. عن الحسن ومجاهد وابن زيد . فمعناه على هذا :

فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن ، وقيل : المراد نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهرٍ معين إلى أجلٍ معلوم .. عن ابن عباسٍ والسدى وابن سعيد وجماعة من التابعين ، وهو مذهب أصحابنا الإمامية وهو الواضح .

نكاح الكتابيات :

ولما كان مذهب الطبرسى عدم جواز نكاح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنا نجده يتأثر بهذا المذهب فيفسر كلام الله على مقتضاه ، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٢١) من سورة البقرة : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ** ﴾ .. الآية يقول بعد ما تكلم عن اللغة والإعراب وسبب النزول : (لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات** ﴾ .. أى لا تزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن أى يصدقن بالله ، وهى عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم .

ميراث الأنبياء :

والطبرسى يقول كغيره من علماء مذهبه بأن الأنبياء عليهم السلام يورثون كما يورث سائر الناس ، ولهذا نراه يتأثر بمذهبه هذا ، فيحمل عليه كلام الله فى قوله تعالى من سورة مريم ﴿ ..... **يرثنى ويرث من آل يعقوب** ﴾ الآية .

تأثر الطبرسى بمذهب المعتزلة فى تفسيره :

هذا ، وإن عقيدة الطبرسى كعقيدة غيره من الشيعة لها كثيرٌ الارتباط بمبادئ المعتزلة فى علم الكلام ، ولهذا نراه فى تفسيره كثيراً ما يوافق المعتزلة فى بعض آرائهم الكلامية ، ويرتضى مذهبهم ويدافع عنه ، ويحاول أن يهدم ما عداه . وأحيانا نراه لا يرضى ما يقوله المعتزله ولا يسلمه لهم بل يقف موقف المنازع لهم و المعارض لأدلتهم.

رؤية الله :

كذلك يقول الطبرسى بما يقول به المعتزلة من عدم جواز رؤية الله ووقوعها فى الآخرة ، ولهذا نراه يفسر قوله تعالى فى الآيتين (٢٢ ، ٢٣) من سورة القيامة : ﴿وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة﴾ .. بما يتفق ومذهبه .

روايته للأحاديث الموضوعة :

هذا ، ولا يفوتنا أن نقول : إذ الطبرسى رحمه الله لم يكن صادقاً فى وصفه لكتابه هذا بأنه محجةٌ للمحدث ، ذلك لأنا تتبعناه فوجدناه غير موفقٍ فيما يرويه من الأحاديث فى تفسيره ، فقد أكثر من ذكر الموضوعات خصوصاً ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبى ﷺ أو إلى أهل البيت مما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشيعهم .

موقفه من الاسرائيليات :

وكثيراً ما يروى الطبرسى فى تفسيره الروايات الإسرائيلية معزوةً إلى قائليها، ونلاحظ عليه أنه يذكرها بدون أن يعقب عليها .... اللهم إلا إذا كانت مما يتنافى مع العقيدة ، فإنه ينبه على كذب الرواية ، ويبين ما فيها من مجافاتها وبعدها عن الصواب.

التفسير الرمزى :

والطبرسى مع إنه فى كتابه هذا يفسر القرآن تفسيراً يتمشى مع الظاهر المتبادر إلى الذهن إلا أنا نلاحظ عليه أحياناً أنه يذكر المعانى الباطنية ، أو بعبارةٍ أخرى يذكر التفسير الرمزى الذى يقول به الشيعة ، وهو وإن كان ناقلاً لهذه الأقوال إلا أنه يرتضيها ولا يرد عليها ، وكثيراً ما يؤيدها بأدلةٍ من عنده .

مثال ذلك أنه عندما فسر قوله تعالى فى الآية (٣٥) من سورة النور : ﴿ الله

نور السموات الأرض ، مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ﴾ .. الآية ، نجده يقول بعد كلامٍ طويلٍ : واختلف فى هذا المشبه والمشبه به على أقوال .. ثم ذكر هذه الأقوال ، فكان من جملة ما ذكره هذه الروايات التى لا تعدو أن تكون من وضع الشيعة ، وهى ما روى عن الرضا أنه قال (نحن المشكاة فيها المصباح محمد ﷺ يهدى الله لولايتنا من أحب) وما نقله من كتاب التوحيد لأبى جعفر بن بابويه بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر فى قوله : ﴿ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ﴾ .. قال : نور العلم فى صدر النبى ﴿ المصباح فى زجاجة ﴾ .. الزجاجة صدر علىٍّ ، صار علم النبى إلى صدر على ...

ثالثاً : الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) وموقفهم من تفسير القرآن

الإسماعيلية من الشيعة الإمامية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ويلقبون بالباطنية أيضاً لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره ، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور .

والحق أن هذه الطائفة لا يمكن أن تكون داخلةً فى عداد طوائف المسلمين ، وإنما هى فى الأصل جماعةً من المجوس رأوا شوكة الإسلام قويةً لا تقهر ، فسلكوا طريق الاحتيال الذى يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم ، ليطفئوا نور الله بأفواههم ، وخفى على هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

ومع أن هؤلاء الباطنية قد اتخذوا من تأويل القرآن باباً للوصول إلى أغراضهم ، فإنا لم نقف لهم على كتبٍ مستقلةٍ فى تفسير كتاب الله تعالى ، ولم نسمع أن واحداً منهم كتب تفسيراً جامعاً للقرآن كله ، سورةً سورةً ، وآيةً آيةً ، ولعل السر فى ذلك : أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائدهم مع القرآن آيةً آيةً ، ولو أنهم حاولوا ذلك لاصطدموا بعقبات لا يستطيعون تذليلها ، ولا يقدرون على التخلص منها .

وكل الذى وجدناه لهم فى تفسير القرآن أو تأويله على الأصح : إنما هو نصوص متفرقة فى بطون الكتب ، تعطينا إلى حدٍ ما صورةً واضحةً ، وفكرةً جليةً عن موقف هؤلاء القوم من القرآن الكريم ، ومبلغ تهجمهم على القول فيه بغير علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ منيرٍ .

وأرى أن أقسم موقف الباطنية من القرآن الكريم إلى قسمين ثنين :

الأول : موقف الباطنية المتقدمين من القرآن الكريم .

والثانى : موقف الباطنية المتأخرين منه أيضاً.

ونريد بالمتقدمين : الذين أسسوا مذهب الباطنية ومن قاربهم فى الزمن ، وبالمتأخرين : البابية والبهائية . وسنوضح عند الكلام عن البابية والبهائية السبب الذى من أجله عددناهم من قبيل الباطنية .

كتب عبيد الله بن الحسن القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنانى رسالةً طويلةً جاء فيها : (... وإنى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وتدعوهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وإبطال الملائكة ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك أن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشرٌ كثيرٌ ، فإن ذلك عونٌ لك على القول بقدم العالم) أ.هـ .

من تأويلات الباطنية القدامى :

على هذه القاعدة السابقة جرى القوم فى شرحهم لكتاب الله تعالى ، فكان من تأويلاتهم ما يأتى :

(الوضوء) عبارة عن موالاة الإمام ، و **(التيمم)** هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذى هو الحجه ، و **(الصلاة)** عبارة عن الناطق الذى هو الرسول بدليل

قوله تعالى فى الآية (٤٥) من سورة العنكبوت ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ .. و (**الغسل**) تجديد العهد ممن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصدٍ ، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى (**الاحتلام**) . و(**الزكاة**) عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين . و(**الكعبة**) النبى ، و(**الباب**) على ، و(**الصفا**) هو النبى . و(**المروة**) على . و(**الميقات**) الإيناس . و(**التلبية**) إجابة الدعوة . و(**الطواف بالبيت سبعا**) موالاة الأئمة السبعة . و(**الجنة**) راحة الأبدان من التكاليف . و(**النار**) مشقتها بمزاولة التكاليف .

هذا .. وإن مما زعمته الباطنية : أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها تأولوا فى ذلك قوله تعالى فى الآية (٩٩) من سورة الحجر : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ .. وحملوا اليقين على معرفة التأويل .

كذلك استحل الباطنية نكاح البنات والأخوات وجميع المحارم ، بحجة أن الأخ أحق بأخته ، والأب أولى بابنته ... وهكذا : ولست أدرى على أى وجهٍ تأولوا آية النساء التى حرمت ذلك ، ومنعته منعاً باتاً !!.

ولقد وصل الغلو ببعض الباطنية إلى ادعاء ألوهية محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنه هو الذى كلم موسى بقوله ﴿ **إنى أنا ربك فاخلع نعليك** ﴾ .. وفى هذا يروى لنا البغدادى صاحب الفرق بين الفرق قصة رجلٍ دخل فى دعوة الباطنية ، ثم وفقه الله لتركها والرجوع لرشده .. يحكى هذا الرجل قصته للبغدادى فيقول : (إنهم لما وثقوا بإيمانه قالوا له : إن المسمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى عيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة : كانوا أصحاب نواميس ومخاريق ، أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوهم بنيرنجات ، واستعبدوهم بشرائعهم . قال الحاكى للبغدادى : ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال : ينبغى أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر

هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له ﴿ **إنى أنا ربك فاخلع نعليك** ﴾ ثم قال : فقلت : سخنت عينك : تدعونى إلى الكفر بربٍ قديم خالقٍ للعالم ، ثم تدعونى مع ذلك إلى الإقرار بربوبيـة إنسانٍ مخلوقٍ ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مُرسِلاً لموسى ؟ فإن كان موسى عندك كاذباً ، فالذى زعمت أنه أرسله أكذب فقال: إنك لا تفلح أبداً ، وندم على إفشاء أسراره إلى وتبت من بدعتهم أ.هـ.

فانظر إليهم – لعنهم الله . كيف يصرفون القرآن عن أن يكون الله هو المتكلم به ، ويدعون أنه كلام إلههم محمد بن إسماعيل !!.. أليس هذا غلواً فى الإلحاد ؟ وإغراقاً فى الكفر والعناد ؟

موقف متأخري الباطنية من تفسير القرآن الكريم

تمهيد : فى بيان انتشار الباطنية فى البلاد الآن وتعدد القابهم :

الباطنية يعرفون بأسماء عدةٍ ، و لا تزال منهم بقيةٌ إلى يومنا هذا فى كثيرٍمن بلاد المسلمين ، وأزيدك على ما تقدم أن الباطنية يوجدون بالهند ، ويعرفون بالبهرة أو الإسماعيلية ، وزعيمهم أغاخان الزعيم الإسماعيلى المعروف، ويوجدون فى بلاد الأكراد ويعرفون (بالعلوية) حيث يقولون : عليٌ هو الله ، ويوجدون فى تركيا ويعرفون (بالبكداشية) وفى مصر جماعة من البكداشية من أصلٍ ألبانيٍ يقيمون فى الجبل المعروف بالمقاوري ، ويوجدون فى بلاد العجمٍ ويعرفون (بالبابية) . ويوجدون فى فلسطين ويعرفون (بالبهائية) ومنهم جماعات فى بلادٍ متفرقةٍ ، توجد بالهند فرقةٌ أخرى من الباطنية هى القاديانية ، وهى أحدث فرقهم عهداً ، وأقربها ظهوراً .

هذه الفرق التى تنتشر بين المسلمين إلى اليوم لابد أن يكون لكلٍ منها رأىٌ فى التأويل للقرآن الكريم ، يتفق مع مبدئها ومشربها .

وقد قصرنا الكلام على طائفة البابية والبهائية لأن ما وصلنا عنها – وإن قل – فهو يعطينا فكرةً ولو إلى حدٍ ما عن موقفها من تفسير القرآن الكريم .

البابيـــة والبهائيـــة

كلمة إجمالية عن نشأة البابية والبهائية :

البابية : نسبةً إلى الباب ، وهو لقب ميرزا على محمد ، الذى ابتدع هذه النحلة، وإليه تنتسب هذه الطائفة ؛ باعتباره المؤسس الأول لها .

والبهائية : نسبةً إلى بهاء الله ، وهو لقب ميرزا حسين على ، الزعيم الثانى للبابية ، وإليه تنسب هذه الطائفة ؛ باعتباره المؤسس الثانى لها .

وأصل نشأة هذه الطائفة : أن ميرزا على محمد ، الملقب بالباب ، والمولود فى سنة ١٢٣٥ هجرية .

لما بلغ سنه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب – والباب عند الشيعة معناه نائب المهدى المنتظر – وكان ادعاؤه هذا فى سنة ١٢٦٠ هجرية .

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب مناظراتٍ أظهرت ما فى دعوته من غوايةٍ وضلالٍ ، فكفره بعض العلماء ، ورماه بعضٌ آخر منهم بالجنون فاعتقله الوالى . وفى عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البابيين ومخالفيهم، وقامت بينهم حربٌ طاحنةٌ كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب ، فعلق فى ميدان مدينة تبريز ، وقتل رمياً بالرصاص، وذلك فى سنة ١٢٦٥ هجرية .

وحاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨ هجرية انتقاماً لزعيمهم الباب ، ولما خاب سعيهم وفشلوا فى هذه المؤامرة ، أخذت الحكومة تضطهد زعماء

البابيين ، وتسوقهم إلى التحقيق فقتل من قتل ، ونفى من نفى، وكان من بين زعمائهم فى هذا الوقت – وقت الاضطهاد – ميرزا حسين على الملقب فيما بعد : (بهاء الله ، والذى سجن نحو أربعة أشهر ، ثم أفرج عنه وأبعد إلى العراق ، فدخل بغداد سنة ١٢٦٩ هجرية ، ومكث بها اثنى عشر عاما ، يدعو الناس إلى نفسه ، ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب ، وكان يشير إليه بلفظ (من يظهره الله) . فقررت الحكومة العثمانية فى ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة .

ثم نفى إلى أدرنة ومكث بها نحواً من خمس سنوات ، ثم نفى منها إلى عكا من بلاد الشام سنة ١٢٨٥ هجرية ، وبقى بها إلى أن مات سنة ١٣٠٩ هجرية ، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس المولود سنة ١٨٤٤م والمتوفى سنة ١٩٢١ م والملقب : (عبد البهاء) .

الصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامى :

بالرغم من أن هذه الفرقة لم تظهر إلا قريباً ، فإنا نجدها ليست بالفرقة المحدثة فى عقائدها وتعاليمها ، بل هى فى الحقيقة ونفس الأمر وليدة من ولائد الباطنية ، تغذت من ديانات قديمة ، وآراء فلسفية ، ونزعات سياسية . ثم درجت تحذو حذو الباطنية الأول ، وتترسم خطاهم فى كل شئ ، وتهذى فى كتاب الله ، فتأولته بمثل ما تأولوه: لتصرف عنه قلوباً تعلقت به ونفوساً اطمأنت إليه .

والذى يقرأ تاريخ الباطنية الأول ، ويطلع على ما فى كتبهم من خرافات وأباطيل ، ثم يقرأ تاريخ البابية والبهائية ، لا يسعه إلا أن يحكم بأن روح الباطنية حلت فى جسم ميرزا على، وميرزا حسين على، فخرجت للناس أخيراً باسم البابية والبهائية .

تقوم دعوة قدماء الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية ، وينفذون إلى عقول العامة بإظهارهم الحب والتشيع ، بل الانتساب إلى آل البيت ، ثم يصلون إلى أهوائهم

ومآربهم بصرفهم القرآن إلى معانٍ باطنيةٍ لا يقبلها العقل ، ولا تمت إلى الدين بسبب، وعلى هذا الأساس قامت دعوة البابية والبهائية ، وبمثل هذه الوسيلة وصلوا إلى أغراضهم وأهوائهم .

موقف البابية والبهائية من تفسير القرآن الكريم :

لم تحل عقائد البابية والبهائية بينهم وبين الاعتراف بالقرآن الكريم ولم يمنعهم موقفهم الشاذ من الرجوع إليه ليأخذوا منه الشواهد على دعاواهم الباطلة ، ومذاهبهم الفاسدة ؛ تمويهاً على العامة ، وتغريراً بعقول الأغمار الجهلة .

إنتاج البابية والبهائية فى التفسير ، ومثل من تأويلاتهم الفاسدة :

لم نسمع ولم نقرأ أنهم ألفوا تفسيرا متناولاً للقرآن آيةً آيةً ، وإنما قرأنا أن رئيسهم الأول فسر سورة البقرة ، وسورة الكوثر ، ولكن لم يصل إلى أيدينا شئ من ذلك ، وكل ما وصل إلينا هو نبذ من تفسيره ، وتفسير بعض أشياعه ودعاته ، قرأناها فى كتبهم أنفسهم ، وفى الكتب والمقالات التى كتبت عنهم، وهذه النبذ مع قلتها تصور لنا مقدار تهجمهم على تحريف القرآن الكريم ، والميل بنصوصه إلى ما يرضى أهواءهم ، ويشبع أطماعهم ، وإليك بعض هذه التأويلات ، لتقف بنفسك على مقدار هذيان القوم ، وتلاعبهم بالقرآن وبالعقول !!

من تأويلات الباب :

فسر الباب سورة يوسف ، فمشى فيها على طريقة التأويل الذى لا يقره الشرع ولا يقبله العقل ، ولا يمكن أن يفهمه إلا من يفهم لغة المبرسمين كما قيل .

وإليك بعض ما قاله الباب فى تفسيره لسورة يوسف ، لتقف على مقدار هذيانه، وتلاعبه بالنصوص القرآنية .

عند قوله تعالى فى الآية (٤) ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ .... يقول ما نصه : (وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول ، وثمرة البتول ، حسين بن على بن أبى طالب مشهوداً ... إذ قال حسين لأبيه يوماً : إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القديم سجداً ... وإن الله قد أراد بالشمس فاطمة ، وبالقمر محمداً ، وبالنجوم أئمة الحق فى أم الكتاب معروفاً ، فهم الذين يكون على يوسف بإذن الله سجداً وقياماً) .

من تأويلات بهاء الله :

ويروى بهاء الله أن ما ورد فى القرآن عن الصراط ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والكعبة ، والبلد الحرام ، وما إلى ذلك ، كله لا يراد به ظاهره وإنما يراد به الأئمة ، وفى هذا يقول فى الكتاب : (قال أبو جعفر الطوسى : قلت لأبى عبد الله : أنتم الصراط فى كتاب الله ، وأنتم الزكاة ، وأنتم الحج ؟ قال : يا فلان .. نحن الصراط فى كتاب الله عز وجل ، ونحن الزكاة ، ونحن الصيام ، ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ، ونحن وجه الله) .

وفى كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، ما يدل على أن البهائيين لا يعترفون بالبعث ، ولا بالجنة والنار ؛ حيث يفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجئ ميرزا حسين الملقب ببهاء الله .

ويفسر البهائية الجنة بالحياة الروحانية ، والنار بالموت الروحانى ، فقد جاء فى كتاب بهاء الله والعصر الجديد (أن الجنة والنار فى الكتب المقدسة حقائق مرموزة فالجنة ترمز إلى حياة الكمال ، والنار ترمز إلى حياة النقص) .

هذه نبذٌ من تأويلات البابية للقرآن الكريم ،تعطينا دليلاً قوياً ، وبرهاناً صادقاً

على أن المذهب البابى ، أو البهائى يقوم على أطلال الباطنية ، ويحمل فى سريرته القصد إلى هدم شريعة الإسلام بمعول التأويل فى آيات القرآن ودعوى النبوة والرسالة ، بعد أن ختمها الله برسالة محمد ﷺ .

الخوارج .. وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

الذى يقرأ تاريخ الخوارج ، ويقرأ ما لهم من أفكارٍ تفسيريه ، يرى أن المذهب قد سيطر على عقولهم ، وتحكم فيها فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوءه ، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا تحت تأثير سلطانه ، ولا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها .

فمثلاً نرى أن أكثر الخوارج يجمعون على أن مرتكب الكبيرة كافرٌ ومخلدٌ فى نار جهنم .

ومثال ذلك قوله تعالى فى الآية (٩٧) من سورة آل عمران ﴿ **ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ .. قالوا : فجعل تارك الحج كافراً .

وقوله تعالى فى الآية (٨٧) من سورة يوسف : ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ قالوا : والفاسق – لفسقه وإصراره عليه آيسٌ من روح الله ، فكان كافراً .

وقوله تعالى فى الآية (٥٤٢) من سورة الحجر : ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ .. وقال فى الآية (١٠٠) من سورة النحل : ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون** ﴾ .. قالوا : فجعل الغاوى الذى يتبعه مشركاً .

وقوله تعالى فى الآية (٣٣) من سورة الأنعام : ﴿ **ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ .. قالوا : فأثبت الظالم جاحداً ، وهذه صفة الكفار .

مدى فهم الخوارج لنصوص القرآن :

هذا .. وإن الخوارج عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون فى التأويل ولا يغوصون وراء المعانى الدقيقة ، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره ، بل يقفون عند حرفية ألفاظه ، وينظرون إلى الآيات نظرةً سطحيةً ، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه ولا تتصل بالموضوع الذى يستدلون بها عليه ، لأنهم فهموا ظاهراً معطلاً ، وأخذوا بفهمٍ غير مرادٍ .

ولقد يعجب الإنسان ويدهش عندما يقرأ ما للقوم من سخافاتٍ فى فهمهم لبعض نصوص القرآن ، أوقعهم فيها التنطع والتمسك بظواهر النصوص .

فيروى أن رجلاً من الإباضية أضاف جماعةً من أهل مذهبه ، وكانت له جاريةٌ على مذهبه قال لها : قدمى شيئا فأبطأت ، فحلف ليبيعها من الأعراب فقيل له: تبيع جاريةً مؤمنةً من قومٍ كفارٍ ، فقال : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ – الآية (٢٧٥) من سورة البقرة .

الإنتاج التفسيرى للخوارج :

لم يكن للخوارج من الإنتاج التفسيرى مثل ما كان للمعتزلة ، أو الشيعة أو غيرهما من فرق المسلمين ، التى خلفت لنا الكثير من كتب التفسير ، وكل ما وصل إلينا من تفسير الخوارج الأول لم يزد على بعض أفهامٍ لهم لبعض الآيات القرآنية تضمنها جدلهم ، واشتملت عليها مناظراتهم .

أسباب قلة الخوارج فى التفسير :

أولاً : أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية ، ومن قبائل تميم على الأخص ، وقليلٌ منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته ، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الدينى ، والعلمى ، والاجتماعى ، وكانوا يمثلون الإسلام الأول فى بساطته ، وعلى فطرته بدون أن تشوبه تعاليم الأمم الأخرى ، أضف إلى ذلك : احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير ، وضيق التصور ، والبعد من التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم .

ثانياً : أنهم شغلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم ، وكانت حروباً قاسيةً وطويلةً ، ومتتابعةً ... أسلمتهم حروب عليٍّ إلى حروب الأمويين ، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التى تركتهم فى حالة تشبه الاحتضار ، وتؤذن بالفناء ، فكان من الطبيعى أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف .

ثالثاً : أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ – كانوا يخلصون لعقيدتهم ، ويتمسكون بإيمانهم إلى حدٍ كبير ، ويرون أن الكذب جريمةٌ من أكبر الجرائم ، وبه – عند جمهورهم – يخرج الإنسان من عداد المؤمنين – فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض فى تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه ، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله ... وقد سئل بعضهم : لم لم تفسر القرآن ؟ فقال : (كلما رأيت قوله تعالى ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ .. أحجمت عن التفسير) .

الخلاصة

عرفنا أن الشيعة فى الأصل هم الذين شايعوا علياً ثم زعموا بأن الخلافة بعد رسول الله ﷺ لا تخرج عن علىّ وأبنائه إلى يوم القيامة للنص على ذلك ، فإن خرجت فبظلم يكون ذلك .

كما عرفنا أن الشيعة لم يتفقوا فى المذهب والعقيدة ، وإنما تفرقت بهم الأهواء وتشعبت بهم السبل إلى عدة فرق منها من تغالت ومنها من اعتدلت ، وأن الشيعة قد تأثروا فى فهمهم للقرآن ببعض الفرق الأخرى كالمعتزلة كما احتالوا لتركيز عقائدهم وترويجها بالقول بأن للقرآن ظاهراً وباطناً وأنه قد ورد معظمه فى شأن أئمتهم كماأدعوا تحريف القرآن وتبديله عما كان عليه على عهد النبى ﷺ .

وتعرفنا من تفاسيرهم على تفسير الحسن العسكرى، وتفسير مجمع البيان للطبرسى وكيف تدور حول الإمامة لعلى وبنيه ثم تكرس أفكار الشيعة ، ونظرياتهم حول التقية ، وعصمة الأئمة والرجعة والمهدى المنتظر .... الخ . ورأينا فى التفسيرين التأثر بالمعتزلة ، ووقفنا على نماذج من هذه التفاسير .

عرفنا أيضا الإمامية الإسماعيلية وكيف أخرجهم غلوهم من عداد طوائف المسلمين وأن كل الموجود لهم من تفسير القرآن إنما هو نصوصٍ متفرقة تعطينا فكرةً عن مبلغ تهجمهم على القول فى القرآن بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منيرٍ . ودرسنا نماذج من هذه التأويلات الباطلة .

وتبين لنا أن البابية والبهائية إنما هى الفروع الحديثة لتلك الفرقة الخبيثة التى حلت فيها روحها ، فقد قامت دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية مستترة بالحب والتشيع لأهل البيت ثم يصلون إلى أهوائهم بصرفهم القرآن إلى معان باطنية

لا يقبلها العقل ولا تمت إلى الدين بسبب ، وعلى هدا الأساس قامت دعوة البابية والبهائية وبمثل هذه الوسيلة وصلوا إلى أغراضهم وأهوائهم ، وقد رأينا فى هده الوحدة نماذج من تأويلاتهم ، ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾

وأخيراً درسنا نبذة عن الخوارج وعرفنا كيف سيطرت أفكارهم على فهمهم للقرآن الكريم كما عرفنا أسباب إقلالهم من الخوض فى التفسير لغلبة البداوة عليهم وإنشغالهم فى الحروب ثم تورعهم أن يقعوا فى الكذب على الله إذا أخطأوا فى التفسير .

تحديد موضع الدرس

راجع التفسير والمفسرون جـ٢ من ص ٣، ١١٤ ، من ٢١ – ٢٥ ، ومن ٢٨ – ٣٤ ، من ٧٣ – ٧٤ ، ٧٨ –٨٠ ، ٨٨ – ٩٤ ، ٩٧ – ٩٩ ، ١٠٤ – ١٠٧ ، ١٠٩ – ١٣٥ ، ٢٢٧ – ٢٥٨ ، ٢٨٨ – ٣٠٥ .

المراجع المساعدة :

- الملل والنحل للشهرستانى .
- الفرق بين الفرق للبغدادى .
- مقدمة ابن خلدون .
- البابية والبهائية د. بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) .

التعريف بالمصطلحات

التقية : من أهم مبادئ الشيعة وهى أن يظهر لمحدثه خلاف ما يبطن فيما يتصل بعقيدته أو أفكاره أو انتمائه وذلك اتقاءً للشر وتخفياً عن الخصوم .

الإمامة : فى عقيدة الشيعة (منصبٌ كونى) وليست منصباً دنيوياً يقوم الناس باختيار الإمام له ، وإنما يُنص على اسم الإمام من الله تعالى بالوحى إلى نبيه ﷺ ومنه اشتق اسم (الإمامية) لفرق الشيعة .

الإثنى عشرية : هى الفرقة التى تؤمن بأن الأئمة من لدن رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة هم اثنى عشر إماماً أولهم على بن أبى طالب وأخرهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى وهذه الفرقة الآن هى أكبر فرق الشيعة وأقواها .

عصمة الأئمة : يعتقد الشيعة فى الأئمة . أنهم معصومون عن المعاصى وعن الخطأ فى الاجتهاد وهم يساوونهم بالأنبياء بل وأكثر .

المهـــدى : هو الإمام الثانى عشر ويعتقدون أنه اختفى وسيرجع آخر الزمان .

نكاح المتعـة : هو زواج مؤقت بوقت معلوم عند التعاقد وهو منسوخ ممنوع محرم عند أهل السنة ، مباح عند الشيعة .

الرجعـــة : هى رجوع بعض الأئمة إلى الحياة الدنيا بعد موتهم .

الإسماعيلية : من الشيعة الإمامية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق .

الباطنيـــة : وهم الإسماعيلية وقد سموا بذلك لأنهم يؤلون القرآن على معانى باطنية لا يدل عليها السياق ولا اللغة العربية ولا أى قاعدة من قواعد الفهم السليم لكتاب الله تعالى ، ولمعنى أخر وهو قولهم بالإمام الباطن المستور.

الوصىّ : منصبٌ يدعى الشيعة وجوده مع كل نبى فيقولون (لكل نبى وصى) وأن عليا كان وصى النبى ﷺ وهو منصب يقتضى الاشتراك فى خصائص النبوة .

قِدم العالم : القديم فى مصطلح علم الكلام هو ما لا أول له ، وتفصيل هذا فى دراسة الفلسفة .

تدريبات الوحدة الخامسة

١ - اسئلة التقويم الذاتى

١- تكلم عن أصل الشيعة وعن نظريتهم فى الإمامة .

٢- بين مسلك الشيعة تجاه القرآن الكريم لتركيز عقائدهم وترويجها .

٣- اذكر دليلا على أن الشيعة يقولون بتحريف القرآن الذى بأيدينا .

٤- اكتب باختصار عن البابية والبهائية موضحاً علاقتهم بالإسماعيلية الباطنية .

٥- بين أسباب قلة تراث الخوارج فى التفسير .

٦- ضع علامة (✓) أمام الصواب ، وعلامة (×) أما الخطأ مما يلى :

* يدعى الشيعة عصمة أئمتهم من المعاصى والخطأ . ( )

* لم يتأثر الشيعة بغيرهم فى فهم القرآن الكريم . ( )

* يقول الطبرسى كغيره من علماء مذهبه بأن الأنبيـــاء يورثون ( )

* لا يقول الطبرسى بما يقول به المعتزلة من عدم جواز رؤية الله تعالى ووقوعها فى الآخرة . ( )

* لا يمكن أن تكون طائفة الإسماعيلية (الباطنية) داخلة فى عداد طوائف المسلمين. ( )

* البابية والبهائية هما الوجه الحديث للإسماعيلية الباطنية . ( )

* يرى أكثر الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر ومخلد فى النار . ( )

* من أسباب قلة الخوارج فى التفسير إنشغالهم المستمر فى الحروب . ( )

٧- اذكر تعريف ثلاثة من المصطلحات الآتية :

(التقية - الإثنى عشرية - نكاح المتعة - الوصى - عصمة الأئمة - الإمامة عند الشيعة) .

اسئلة التقويم المستمر

١- تكلم باختصار عن الشيعة وعقائدهم مبينا موقفهم من تفسير القرآن .

٢- للشيعة الإمامية عقائد ثابتة فيما يتصل بالإمامة والمهدى بين مدى الإتساق بين نظريتهم فى الإمامة وبين عقيدتهم فى المهدى المنتظر .

٣- اكتب باختصار عن الإسماعيلية ومقدار خروجهم عن دائرة الإسلام وبين بأمثلة صحة ما تقول .

البحـــوث

اختر بحثا مما يلى :

- الخوارج (أصل نشأتهم - عقائدهم وأفكارهم وأثر ذلك فى فهمهم للقرآن الكريم) .

- البابية والبهائية (جذورهم التاريخية ، نشأتهم الحديثة ، أفكارهم وأهدافهم ، استغلالهم للقرآن الكريم) .

- نظرية الإمامة عند الشيعة الإثنى عشرية (دراســـة نقـــدية) .

الوحدة السادسة

تفسير الصوفية وتفسير الفقهاء

المقدمة

تكلمنا في الوحدة السابقة عن الشيعة وتفسيرهم، وعرفنا كيف كانوا يتحايلون على تركيز عقائدهم وترويجها عن طريق الاعتساف في إيجاد معاني باطنة للقرآن، والآن ندرس تفسير الصوفية فلا نكاد نبتعد كثيراً عما أصلته الشيعة في هذا المجال، ولا عجب فالصلة بين التصوف والتشيع ظاهرة بينة على المستويين النظري والعملي ولعلكم في دراستكم للفرق ونشأتها وتاريخها تقفون على تفصيل ذلك.

أما تفسير الفقهاء، فقد نشأت الحاجة إليه حينما تشعبت حياة المسلمين وجدت لهم أقضيةٌ لابد من الحكم فيها على ضوء الكتاب والسنة، فكانت البداية، وكانت بدايةً طيبةً، ثم ظهر التعصب الذي يلازمه الهوي. فكانت تفاسير الفقهاء جامعةً بين طيب البداية وصلاح الأئمة الأولين، وبين تعصب الخلوف وهوى المقلدين، وسندرس إن شاء الله في هذه الوحدة ما نظن أنه يوقفنا على الصراط المستقيم.

الأهداف الخاصة

بدراستك لهذة الوحدة نرجو أن تلم بما يلي:

[١] التعرف على لون من التفسير الصوفي وهو الفيضي أو الإشاري.

[٢] معرفة الأصل الشرعي لهذا اللون من التفسير.

[٣] ثم التعرف علي شروط قبول التفسير الإشاري.

[٤] الوقوف علي نماذج من هذا التفسير.

[٥] التعرف أيضا علي التفسير الفقهي.

[٦] معرفة الفرق بين الأمر لدي قيام المذاهب وبينه حينما ظهر التقليد والتعصب.

[٧] التعرف على بعض المفسرين من الفقهاء، والوقوف على نماذج من تفسيرهم وتقييم هذا كله في دراسة نقدية.

المرسم التوضيحي

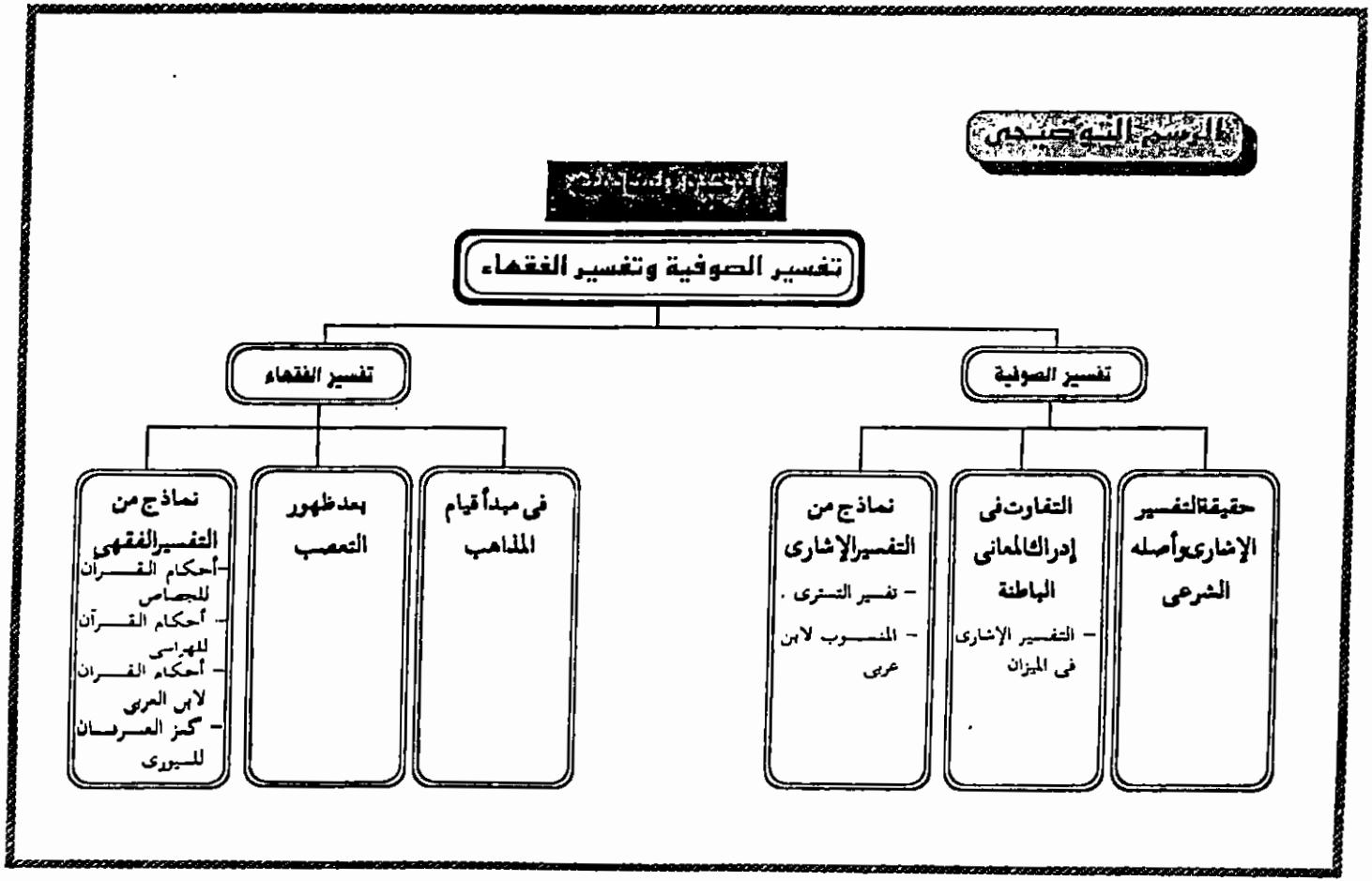

أولاً : تفسير الصوفية

التفسير الصوفى الفيضى أو الإشارى – حقيقته :

التفسير الفيضى أو الإشارى : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشاراتٍ تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

هل للتفسير الإشارى أصلٌ شرعى :

لم يكن التفسير الإشارى بالأمر الجديد فى إبراز معانى القرآن الكريم ، بل هو أمرٌ معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ .. أشار إليه القرآن ، ونبَّه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به .

أما إشارة القرآن إليه ، ففى قوله تعالى فى الآية (٧٨) من سورة النساء ﴿ **فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** ﴾ .. وقوله فى الآية (٨٢) منها أيضاً : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا** ﴾..وقوله فى الآية (٢٤) من سورة محمدٍ عليه السلام : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهرٌ وبطنٌ ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى حيث ينعى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثاً ، ويحضهم على التدبر فى آيات القرآن الكريم لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام ، أو حضهم على فهم ظاهره ، لأن القوم عربٌ ، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شك ، وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ، وحضهم على أن يتدبروا فى آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده ، وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم

وأما تنبيه الرسول ﷺ ، فذلك فى الحديث الذى أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسلاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » وفى الحديث الذى أخرجه الديلمى من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد » .

ففى هذين الحديثين تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن ، ولكن ما هو الظهر وما هو البطن ؟ اختلف العلماء فى بيان ذلك :

فقيل : ظاهرها – أى الآية – لفظها ، وباطنها : تأويلها .

وقال أبو عبيدة : إن القصص التى قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وحديث حدث به عن قوم ، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم ، فيحل بهم مثل ما حل بهم ... ولكن هذا خاص بالقصص ، والحديث يعم كل آية من آيات القرآن .

وحكى ابن النقيب قولاً ثالثاً : وهو أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم ، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق .

هذا هو أشهر ما قيل فى معنى الظهر والبطن ، وأما الصحابة فقد نقل عنهم من الأخبار ما يدل على أنهم عرفوا التفسير الإشارى وقالوا به ، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها :

ما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال : (إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ، ومن أخبر فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ،

فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء) .

وأما الروايات الدالة على أنهم فسروا القرآن تفسيراً إشارياً ، فما رواه البخارى عن ابن عباسٍ رضى الله تعالى عنهما أنه قال : (كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون فى قوله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ .. فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له . قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ .. وذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً** ﴾ .. فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول) أ.هـ .

فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر ، أما ابن عباس وعمر ، فقد فهما معنىً آخر وراء الظاهر ، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة .

وأيضا ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى فى الآية (٣) من سورة المائدة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .. فرح الصحابة وبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال : ما بعد الكمال إلا النقص ، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج ابن أبى شيبة (أن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى ، فقال النبى ﷺ ما يبكيك ؟ قال : أبكانى أنا كنا فى زيادةٍ من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام : صدقت) .

فعمر رضى الله عنه أدرك المعنى الإشارى : وهو نعى رسول الله ﷺ ، وأقره النبى على فهمه هذا .. وأما باقى الصحابة .. فقد فرحوا بنزول الآية ؛ لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها .

هذه الأدلة مجتمعةً تعطينا أن القرآن الكريم له ظهرٌ وبطنٌ .. ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربى .. وبطنٌ يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر .

التفاوت فى إدراك المعانى الباطنة وإصابتها :

غير أن هذه المعانى المتكاثرة التى يشتمل عليها باطن القرآن لم تكن فى متناول المفسرين جميعاً ، كما أنهم لم يكونوا متساوين فى القدر الذى أدركوه منها ، بل تفاوتوا فى ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوتٍ فى الأخذ بالأسباب كما أنهم لم يكونوا جميعا مصيبين فيما وصلوا إليه منها وأدركوه ، بل أصابوا فى بعضٍ منها وأخطأوا فى بعضٍ آخر ، وما أخطأوا فيه : بعضه عن جهلٍ ، وبعضه عن تعمدٍ خبيثٍ ونيةٍ سيئةٍ ، فالإمامية مع قولهم بالظاهر على ما به ، قالوا بالباطن أيضا ، ولكنهم تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق وعقيدتهم الفاسدة والباطنية .

أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة ، فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه ، كما اعترفوا بباطنه ، ولكنهم حين فسروا المعانى الباطنة خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئا ، فبينما تجد لهم أفهاماً مقبولةً سائغةً ، تجد لهم بجوارها أفهاماً لايمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع .

التفسير الإشارى فى الميزان :

قلنا : إن القرآن له ظهرٌ وبطنٌ وذكرنا لك أهم الأقوال فى معنى الظاهر والباطن، ومهما يكن من شيءٍ فإن ظاهر القرآن – وهو المنزل بلسان عربى مبين – هو المفهوم العربى المجرد ، وباطنه هو مراد الله تعالى وغرضه الذى يقصد إليه من وراء

الألفاظ والتراكيب ، هذا هو خير ما يقال فى معنى الظاهر والباطن .

إذن فلا يشترط فى فهم ظاهر القرآن زيادةً على الجريان على اللسان العربى ، وإذن كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربى فليس من تفسير القرآن فى شيء .. لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به . ومن ادعى فيه ذلك فهو مبطل فى دعواه .

أما المعنى الباطن ، فلا يكفى فيه الجريان على اللسان العربى وحده . بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى فى قلب الإنسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمراً خارجاً عن مدلول اللفظ القرآنى ، ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين :

أولهما : أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية .

وثانيهما : أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً فى محلٍ آخر يشهد لصحته من غير معارضٍ .

أما الشرط الأول : فظاهر من قاعدة كون القرآن عربياً ، فإنه لو كان له فهمٌ لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا بإطلاقٍ .

وأما الشرط الثانى : فلأنه إن لم يكن له شاهدٌ فى محلٍ آخر أو كان وله معارضٌ صار من جملة الدعاوى التى تدعى على القرآن ، والدعوى المجردة عن الدليل غير مقبولةٍ باتفاق العلماء .

إذا توافر هذان الشرطان فى معنى من المعانى الباطنة قبل ؛ لأنه معنى باطنٌ صحيحٌ ، وإلا رفض رفضاً باتاً ؛ لأنه معنى باطنٌ فاسدٌ وتقوُّل على الله بالهوى والتشهى .

فمن الأفهام الباطنة المنقولة عنهم ويمكن أن تكون من قبيل الباطن الصحيح المقبول : ما جاء فى قوله تعالى فى الآية (٢٢) من سورة البقرة ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ .. من قول سهل التسترى ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا** ﴾ .. أى أضداداً ، فأكبر الأضداد : النفس الأمارة بالسوء ، المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله) أ.هـ .

ولكن هناك أقوالٌ لهم فى التفسير الإشارى يقف أمامها العقل حائراً وعاجزاً عن تلمس محملٍ لها تحمل عليه حتى تبدو صحيحةً وتصبح مقبولةً فمن ذلك :

ما يروونه عن ابن عباسٍ أنه فسر ﴿ **ألم** ﴾ فقال : (الألف : الله . واللام: جبريل والميم : محمد ﷺ .. وأن الله أقسم بنفسه وجبريل ومحمد عليهما السلام) .

وهذا إن صح نقله فهو مشكلٌ إلى حدٍ بعيدٍ ، ذلك لأن الإشارة إلى الكلمة بحرفٍ ليس معهوداً فى كلام العرب .

على أنه لم يقم دليلٌ من الخارج يدل على هذا التفسير ، إذ لو كان له دليلٌ لاقتضت العادة نقله ، لأنه من المسائل التى تتوفر الدواعى على نقلها لو صح أنه مما يفسر ويقصد تفهيم معناه ... ولما لم يثبت شئٌ من ذلك دل على أنه من قبيل المتشابهات ، فإن ثبت له دليلٌ عليه صرنا إليه وإلا توقفنا .

ومثل هذا المروى عن ابن عباسٍ - ولعله أشكل منه - ما قاله سهل التسترى فى تفسيره للبسملة حيث قال : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحين** ﴾ .. الباء : بهاء الله عز وجل ، والسين : سناء الله عز وجل ، والميم : مجد الله عز وجل ، والله : هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها ، وبين الألف واللام منه حرفٌ مكنى غيبٌ من غيبٍ إلى غيبٍ ، وسرٌ من سرٍ إلى سرٍ ، وحقيقةٌ من حقيقةٍ إلى حقيقةٍ ، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس ، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان ، والرحمن :

اسمٌ فيه خاصيةٌ من الحرف المكنى بين الألف واللام . والرحيم : هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع ، والابتداء فى الأصل ، رحمةً لسابق علمه القديم) أ.هـ .

وما قاله أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير ﴿ ألم ﴾ .. فاتحة البقرة ومو قوله : ﴿ ألم ﴾ .. : قيل : إن الألف ألف الوحدانية واللام : لام اللطف ، والميم : ميم الملك ... الخ .

فهذا الذى قاله سهل التسترى والذى قاله أبو عبد الرحمن السلمى مشكلٌ كالمروى عن ابن عباسٍ ، بل وأعظم منه إشكالاً حيث ادعوا أن هذه الحروف ترمز إلى أسرارٍ غيبيةٍ ومعانٍ مكنيةٍ ، وإذا جمعت هذه الحروف على طريقة مخصوصة كان كذا وكذا ، بل ويدعون أحيانا أن هذه الحروف هى أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى فى خطابه ، وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليلٍ برهانيٍ أو إقناعيٍ ، وكل ما أقوله فيها : إنها دعاوى محالةٌ على الكشف والاطلاع ، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح دليلاً شرعياً بحالٍ من الأحوال [1] .

هذا وأمثاله من كلام الصوفية لو قلنا إنهم أرادوا به تفسير الآيات القرآنية وبيان معانيها التى تحمل عليها لا غير لكان هو بعينه مذهب الباطنية ؛ وذلك لأن المعانى التى حملوا عليها الألفاظ فى الآيات السابقة لا تعرفها العرب مدلولات لهذه الألفاظ، لا بالوضع الحقيقى ولا بالوضع المجازى المناسب ، وليس فى مساق الآيات ما يدل على هذه المعانى المذكورة ، ومعلوم أن القرآن عربى ومخاطب به العرب الذين يفهمون ألفاظه وتراكيبه .

١- خالف الصوفية أهل السنة فى منهج التلقى فاعتبروا من مصادر التلقى الكشف والذوق والوجد وتحت كل مصدر من هذه المصادر أنواع كالرؤى والمنامات والإلهام والفراسة والهواتف ورؤية الخضر ، ورؤية النبى يقظة ، وغير ذلك من المصادر الباطلة .

وأيضاً لم ينقل لنا عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسير للقرآن يماثل هذا التفسير أو يقاربه ، ولو كان عندهم معروفا لنقل ؛ لأنهم أدرى بمعانى القرآن ظاهرها وباطنها باتفاق الأمة ، وغير معقول أن يأتى آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ، ولا هم أعرف بالشريعة منهم ، ولا أدرى بلغة القرآن من قومه الذين نزل بلسانهم على لغتهم .

ولكن إجلالنا لهؤلاء المفسرين ووثوقنا بهم من الناحية العلمية والدينية ، واعترافهم فى تفاسيرهم - التى نقلنا عنها - بالمعانى الظاهرية للقرآن وإنكارهم على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره .. كل هذا يجعلنا نحسن الظن بالقوم، فنحمل أمثال هذه المعانى على أنها ليست من قبيل التفسير ، وإنما هى ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن ، فإن النظير يذكر بالنظير كما قال ابن الصلاح فى فتاواه .

شروط قبول التفسير الاشارى :

تبين لنا فيما سبق أن التفسير الإشارى منه ما هو مقبول ومنه ما ليس بمقبول فعلينا بعد ذلك أن نذكر الشروط التى يجب أن تتوفر فى التفسير الإشارى - وإن كنا تعرضنا لأهمها فيما سبق - حتى يكون تفسيراً مقبولاً وإليك هذه الشروط :

أولاً : أن لا يكون التفسير الإشارى منافياً للظاهر من النظم القرآنى الكريم

ثانيا : أن يكون له شاهدٌ شرعىٌ يؤيده .

ثالثاً : أن لا يكون له معارضٌ شرعىٌ أو عقلىٌ .

وهذه الشروط الثلاثة قد أوضحناها فيما سبق ، فلا حاجة بنا إلى إعادة توضيحها .

رابعاً : أن لا يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر بل لابد أن

نعترف بالمعنى الظاهر أولاً ؛ إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر (ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب) .

هذه هى الشروط التى إذا توفرت فى التفسير الإشارى كان مقبولاً ، ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به ، أما عدم رفضه فلأنه غير منافٍ للظاهر ولا بالغٍ مبلغ التعسف ، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية .

وأما عدم وجوب الأخذ به ، فلأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات لا تقوم على دليلٍ ولا تستند إلى برهانٍ ، وإنما هى أمر يجده الصوفى من نفسه ، وسر بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه [1] ، دون أن يلزم أحداً من الناس سواه .

أهم كتب التفسير الإشاري

تفسير القرآن العظيم – للتسترى ، حقائق التنزيل للسلمى ، وعرائس البيان للشيرازى ، والتأويلات النجمية لنجم الدين داية ، والتفسير المنسوب لابن عربى .

١ - تفسير القرآن العظيم - للتسترى

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى ابن عبد الله ، التسترى ، المولود بتستر سنة ٢٠٠ هـ . وقيل سنة ٢٠١ هـ .

١- لا مجال لاختصاص الصوفى – دون غيره – بمصدر من مصادر التلقى والعمل ، غير ما اعتمده علماء الشريعة من أهل السنة والجماعة .

لقى الشيخ ذا النون المصرى – رحمه الله – بمكة . وكان له اجتهادٌ وافرٌ ورياضةٌ عظيمة . أقام بالبصرة زمناً طويلاً ، وتوفى بها سنة ٢٨٣هـ ، وقيل سنة ٢٧٣هـ ، فرحمه الله رحمةً واسعةً .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير مطبوعٌ فى مجلدٍ صغير الحجم ، ولم يتعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن آيةً آيةً ، بل تكلم عن آياتٍ محدودةٍ ومتفرقةٍ من كل سورةٍ . ويظهر لنا أن سهلاً – رحمه الله – لم يؤلف هذا الكتاب ، وإنما هى أقوالٌ قالها سهلٌ فى آياتٍ متفرقةٍ من القرآن الكريم ، ثم جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدى ، المذكور فى أول الكتاب ، والذى يقول كثيراً : قال أبو بكرٍ : سئل سهلٌ عن معنى كذا . فقال كذا ، ثم ضمنها هذا الكتاب ونسبها إليه .

ويرى سهلٌ : أن الظاهر هو المعنى اللغوى المجرد . وأن الباطن هو المعنى الذى يفهم من اللفظ ويريده الله تعالى من كلامه : كما نأخذ منه : أنه يرى أن المعانى الظاهرة أمرٌ عامٌ يقف عليها كل من يعرف اللسان العربى ، أما المعانى الباطنة ، فأمرٌ خاصٌ يعرفه أهل الله بتعليم الله إياهم وإرشادهم إليه .

كذلك نجد سهلاً – رضى الله عنه – لم يقتصر فى تفسيره على المعانى الإشارية وحدها ، بل نجده يذكر أحياناً المعانى الظاهرة ، ثم يعقبها بالمعانى الإشارية ، وقد يقتصر أحياناً على المعنى الإشارى وحده ، كما يقتصر أحياناً على المعنى الظاهرى، بدون أن يعرج على باطن الآية .

وحين يعرض سهلٌ للمعانى الإشارية لا يكون واضحاً فى كل ما يقوله ، فيأتى تارةً بالمعانى الغريبة التى نستبعد أن تكون مرادةً لله تعالى ، وذلك كالمعانى التى نقلناها عنه سابقا فى معنى البسملة ، وألم فاتحة البقرة ، وتارة يأتى بالمعانى الغريبة

التى يمكن أن تكون من مدلول اللفظ أو مما يشير إليه اللفظ ، وذلك هو الغالب فى تفسيره .

كذلك نجد المؤلف ينحو فى كتابه هذا منحى تزكية النفوس ، وتطهير القلوب، والتحلى بالأخلاق والفضائل التى يدل عليها القرآن ولو بطريق الإشارة ... وكثيراً ما يسوق من حكايات الصالحين وأخبارهم ما يكون شاهداً لما يذكره ؛ كما إنه يتعرض فى بعض الأحيان لدفع إشكالاتٍ قد ترد على ظاهر اللفظ الكريم .

٢- التفسير المنسوب لابن عربى

من مؤلف هذا التفسير ؟

هذا التفسير طبع مجرداً فى مجلدين ، وطبع على هامش عرائس البيان فى حقائق القرآن ، لأبى محمدٍ بن أبى النصر الشيرازى ، الصوفى .

وكلتا النسختين ينسب فيهما التفسير لابن عربى ، وبعض الناس يصدق هذه النسبة ، ويعتقد أن هذا التفسير من عمل ابن عربى نفسه ، والبعض الآخر لا يصدق أن هذا التفسير من عمل ابن عربى ، بل يرى أنه من عمل عبد الرزاق القاشانى ، وإنما نسب لابن عربى : ترويجاً له بين الناس ، وتشهيراً له بشهرة ابن عربى ، وممن يرى هذا الرأى الأخير : المرحوم الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير التى اقتبسها المرحوم الشيخ رشيد رضا من درسه .

ونحن مع الأستاذ الإمام فى أن هذا التفسير للقاشانى ، لا (لابن عربى) وإن كنا لا نوافقه على دعواه أن القاشانى من الباطنية .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير جمع مؤلفه فيه بين التفسير الصوفي النظرى ، وبين التفسير الإشارى ، ولم يتعرض فيه للكلام عن التفسير الظاهر بحالٍ من الأحوال .

أما ما فيه من التفسير الصوفى النظرى : فاغلبه يقوم على مذهب وحدة الوجود، ذلك المذهب الذى كان له أثره السئ فى تفسير القرآن الكريم .

وأما ما فيه من تفسير إشارى : فكثير منه لا نفهم له معنى ، ولا نجد له فى سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه ، ولو أن المؤلف - رحمه الله - كان واضحاً فى كلامه ، كما كان التسترى واضحاً أو جمع بين التفسير الظاهر والتفسير الباطن لهان الأمر ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، مما جعل الكتاب مغلقاً ، وموهماً لمن يقرؤه أن هذا مراد الله من كلامه ، كما كان هذا هو السبب الذى من أجله قال الأستاذ الإمام فى القاشانى إنه باطنى .

ثانياً : تفسير الفقهاء

التفسير الفقهى فى مبدأ قيام المذاهب الفقهية :

جدت حوادث كثيرةٌ للمسلمين لم يسبق لمن تقدمهم حكم عليها ، لأنها لم تكن على عهدهم ، فأخذ كل إمامٍ ينظر إلى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة، وغيرهما من مصادر التشريع ، ثم يحكم عليها بالحكم الذى ينقدح فى ذهنه ، ويعتقد أنه هو الحق الذى يقوم على الأدلة البراهين ، وكانوا يتفقون فيما يحكمون به أحياناً ، وأحياناً يختلفون حسبما يتجه لكل منهم من الأدلة ، غير أنهم مع كثرة اختلافهم فى الأحكام لم تظهر منهم بادرةٌ للتعصب للمذهب ، بل كانوا جميعاً ينشدون الحق ويطلبون الحكم الصحيح ، وليس بعزيزٍ على الواحد منهم أن يرجع إلى

رأى مخالفه إن ظهر له أن الحق فى جانبه ، فهذا هو الشافعى رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو رأيى ، وكان يقول : الناس عيالٌ فى الفقه على أبى حنيفة ، وكان يقول لأحمد بن حنبل وهو تلميذه فى الفقه : إذ صح الحديث عندك فأعلمنى به ، وكان يقول : إذا ذكر الحديث فمالك النجم الثاقب ... إلى غير ذلك مما يدل على انتشار روح التقدير والحب بين أولئك الفقهاء .. وهذه هى سنة أسلافهم من الصحابة والتابعين .

التفسير الفقهى بعد ظهور التقليد والتعصب المذهبى :

ثم خلف من بعد هؤلاء الأئمة خلفٌ سرت فيهم روح التقليد لهؤلاء الأئمة .. التقليد الذى يقوم على التعصب المذهبى ، ولا يعرف التسامح ، ولا يطلب الحق لذاته ولا ينشده تحت ضوء البحث الحر ، والنقد البرئ .

ولقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء المقلدة إلى أن نظروا إلى أقوال أئمتهم كما ينظرون إلى نص الشارع ، فوقفوا جهدهم العلمى على نصرة مذهب إمامهم وترويجه ، وبذلوا كل ما فى وسعهم لإبطال مذهب المخالف وتفنيده ، وكان من أثر ذلك أن نظر هذا البعض إلى آيات الأحكام فأولها حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل ، وإلا فلا أقل من أن يؤولها تأويلاً يجعلها به لا تصلح أن تكون فى جانب مخالفيه ، وأحياناً يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص ، وذلك إن سدت عليه كل مسالك التأويل ، فهذا عبد الله الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ وهو أحد المتعصبين لمذهب أبى حنيفة يقول : (كل آيةٍ أو حديثٍ يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤولٌ أو منسوخٌ) .

ومع هذا الغلو فى التعصب المذهبى ، فإننا لم نعدم من المقلدين من وقف موقف الإنصاف من الأئمة ، فنظر فى أقوالهم نظرة الباحث الحر الذى يساير الدليل حتى يصل به إلى الحق أيًا كان قائله .

وكان لهؤلاء وهؤلاء – أعنى المتعصبين وغير المتعصبين – أثرٌ ظاهرٌ فى التفسير الفقهى ، فالمتعصبون ينظرون إلى الآيات من خلال مذهبهم فينزلونها عليه ، وغير المتعصبين ينظرون إليها نظرةً خاليةً من الهوى المذهبى فينزلونها على حسب ما يظهر لهم ، وينقدح فى ذهنهم .

الإنتاج التفسيرى للفقهاء :

بعد عصر التدوين ألف كثيرٌ من العلماء على اختلاف مذاهبهم فى التفسير الفقهى :

ويكفى أن نعرض لأهمها وهو ما يأتى :

١ - أحكام القرآن - للجصاص (الحنفى)

ترجمة المؤلف :

هو أبو بكر ، أحمد بن على الرازى ، المشهور بالجصاص . ولد رحمه الله تعالى ببغداد سنة ٣٠٥ هـ .

كان إمام الحنفية فى وقته ، أما مصنفاته فكثيرة . أهمها كتاب أحكام القرآن وهو ما نحن بصدده الآن .

هذا وقد ذكره المنصور بالله فى طبقات المعتزلة ، وسيأتيك فى تفسيره ما يؤيد هذا القول .

أما وفاته فكانت سنة ٣٧٠هـ ، فرحمه الله ورضى عنه .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعد هذا التفسير من أهم كتب التفسير الفقهى خصوصاً عند الحنفية ؛ لأنه يقوم على تركيز مذهبهم والترويج له ، والدفاع عنه ، وهو يعرض لسور القرآن كلها ، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التى لها تعلق بالأحكام فقط ، وهو – وإن كان يسير على ترتيب سور القرآن – مبوب كتبويب الفقه ، وكل بابٍ من أبوابه معنونٌ بعنوان تندرج فيه المسائل التى يتعرض لها المؤلف فى هذا الباب .

استطراده لمسائل فقهيةٍ بعيدةٍ عن فقه القرآن :

هذا ... وإن المؤلف – رحمه الله – لا يقتصر فى تفسيره على ذكر الأحكام التى يمكن أن تستنبط من الآيات ، بل نراه يستطرد إلى كثيرٍ من مسائل الفقه والخلافيات بين الأئمة ، مع ذكره للأدلة بتوسعٍ كبيرٍ ، مما جعل كتابه أشبه ما يكون بكتب الفقه المقارن ، وكثيراً ما يكون هذا الاستطراد إلى مسائل فقهيةٍ لا صلة لها بالآية إلا عن بعد .

فمثلاً نجد عندما عرض لقوله تعالى فى الآية (٢٥) من سورة البقرة : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار**﴾ يستطرد لمذهب الحنفية فى أن من قال لعبيده : من بشرنى بولادة فلانةٍ فهو حرٌ فبشره جماعة واحداً بعد واحدٍ أن الأول يعتق دون غيره .

تعصبه لمذهب الحنفية :

ثم إن المؤلف – رحمه الله وعفا عنه – متعصبٌ لمذهب الحنفية إلى حدٍ كبيرٍ ، مما جعله فى هذا الكتاب يتعسف فى تأويل بعض الآيات حتى يجعلها فى جانبه ، أو يجعلها غير صالحةٍ للاستدلال بها من جانب مخالفيه ، والذى يقرأ الكتاب يلمس

روح التعصب فيه فى كثيرٍ من المواقف .

فمثلا عندما عرض لقوله تعالى فى الآية (١٨٧) من سورة البقرة : ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ .. نجده يحاول بتعسفٍ ظاهرٍ أن يجعل الآية دالةً على أن من دخل فى صوم التطوع لزمه إتمامه .

حملة الجصاص على مخالفيه :

ثم إن الجصاص مع تعصبه لمذهبه وتعسفه فى التأويل ، ليس عف اللسان مع الإمام الشافعى رضى الله عنه ولا مع غيره من الأئمة ، وكثيراً ما نراه يرمى الشافعى وغيره من مخالفى الحنفية بعباراتٍ شديدةٍ ، لا تليق من مثل الجصاص فى مثل الشافعى وغيره من الأئمة رحمهم الله .

مثلاً حين لم يرقه أحد أجوبة الشافعى على سؤال مناظره : (ولو كلم بذلك المبتدئون من أحداث أصحابنا لما خفى عليهم عوار هذا الحجاج ، وضعف السائل ، والمسئول فيه) .

تأثر الجصاص بمذهب المعتزلة :

كذلك نجد الجصاص يميل إلى عقيدة المعتزلة ، ويتأثر بها فى تفسيره ، فمثلاً عندما تعرض لقوله تعالى فى الآية (١٠٢) من سورة البقرة : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ .. الآية ، نجده يذكر حقيقة السحر ويقول إنه : (متى أطلق فهو اسم لكل أمرٍ باطلٍ لا حقيقة له ولا ثبات) كما ينكر حديث البخارى فى سحر رسول الله ﷺ ، ويقر أنه من وضع الملاحدة .

٢- أحكام القرآن - للكيا الهراسى (الشافعى)

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير هو عماد الدين ، أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى ، المعروف بالكيا الهراسى ، الفقيه الشافعى ، المولود سنة ٤٥٠ هـ .

والمتوفى سنة ٥٠٤ هـ . وكان رحمه الله فصيح العبارة ، حلو الكلام ، محدثاً يستعمل الأحاديث فى مناظراته ومجالسه ، فرضى الله عنه أرضاه .

التعريف بهذا التفسير ومبلغ تعصب صاحبه لمذهب الشافعى :

يعتبر هذا التفسير من أهم المؤلفات فى التفسير الفقهى عند الشافعية ؛ وذلك لأن مؤلفه شافعىٌ لا يقل فى تعصبه لمذهبه عن الجصاص بالنسبة لمذهب الحنفية ، مما جعله يفسر آيات الأحكام على وفق قواعد مذهبه الشافعى ، ويحاول أن يجعلها غير صالحةٍ لأن تكون فى جانب مخالفيه .

وليس أدل على روح التعصب عند المؤلف من مقدمة تفسيره التى يقرر فيها (إن مذهب الشافعى ﷺ أسد المذاهب وأقومها ، وأرشدها وأحكمها ...) الخ .

يقرر صاحبنا هذا ، وأنا لا أنكره عليه ، ولا أغض من مقام الشافعى رحمه الله، لكننى أقول : إن تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطقٌ بأن الرجل متعصبٌ لمذهبه ، شاهدٌ عليه بأنه سوف يسلك فى تفسيره مسلك الدفاع عن قواعد الشافعى ، وفروع مذهبه ، وإن أداه ذلك إلى التعسف فى التأويل .

تأدبه مع الأئمة وحملته على الجصاص :

غير أن الهراسى - والحق يقال - كان عف اللسان والقلم مع أئمة المذاهب الأخرى ، ومع كل من يتعرض للرد عليه من المخالفين ، فلم يخض فيهم كما خاض

الجصاص فى الشافعى وغيره .

إلا أنه اقتص للشافعى من الجصاص ، فرماه بالعبارات الساخرة ، والمقذعة .

ثم إن المؤلف يتعرض لآيات الأحكام فقط ، مع استيفاء ما فى جميع السور ، والكتاب مخطوط فى مجلد كبير ، وموجود فى دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية .

٣- أحكام القرآن - لابن العربي (المالكي)

ترجمة المؤلف :

هو القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى ، الأندلسى ، الإشبيلى ، الإمام ، العلامة ، ولد سنة ٤٦٨هـ وقد ألف - رحمه الله - تصانيف كثيرة مفيدة ، منها : أحكام القرآن .. وهو ما نحن بصدده الآن ، وقد كانت وفاته - رحمه الله - سنة ٥٤٣هـ . فرضى الله عنه وأرضاه .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يتعرض هذا الكتاب لسور القرآن كلها ، ولكنه لا يتعرض إلا لما فيها من آيات الأحكام فقط ، وطريقته فى ذلك أن يذكر السورة ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام ، ثم يأخذ فى شرحها آيةً آيةً .. قائلا : الآية الأولى وفيها خمس مسائل (مثلاً) ، والآية الثانية وفيها سبع مسائل (مثلاً) وهكذا ، حتى يفرغ من آيات الأحكام الموجودة فى السورة .

تفسير ابن العربى بين إنصافه واعتسافه :

يظهر لنا أن الرجل كان يستعمل عقله الحر مع تسلط روح التعصب عليه ،

فأحياناً يتغلب العقل على التعصب ، فيصدر حكمه عادلاً لا تكدره شائبة التعصب ، وأحياناً - وهو الغالب - تتغلب العصبية على العقل ، فيصدر حكمه مشوباً بالتعسف، بعيداً عن الإنصاف .

احتكامه إلى اللغة :

ثم إن المؤلف - رحمه الله - كثيراً ما يحتكم إلى اللغة فى استنباط المعانى من الآيات ، وفى الكتاب من ذلك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها بسهولة .

كراهته للاسرائيليات:

كما أنه شديد النفرة من الخوض فى الإسرائيليات .

نفرته من الأحاديث الضعيفة :

كذلك نجد ابن العربى شديد النفرة من الأحاديث الضعيفة ، وهو يحذر منها فى تفسيره هذا ، فيقول لأصحابه (وقد ألقيت إليكم وصيتى فى كل ورقةٍ ومجلسٍ ، أن لا تشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده ..) أ.هـ .

هذا والكتاب مطبوع فى مجلدين كبيرين ، ومتداولٌ بين أهل العلم .

٤- كنز العرفان فى فقه القرآن

لمقداد السيورى (من الإمامية الإثنى عشرية)

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير ، هو مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن محمد

السيورى أحد علماء الإمامية الإثنى عشرية ، والمعروف بينهم بالعلم والفضل .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يتعرض هذا التفسير لآيات الأحكام فقط ، وهو لا يتمشى مع القرآن سورةً سورةً على حسب ترتيب المصحف ذاكراً ما فى كل سورةٍ من آيات الأحكام كما فعل الجصاص وابن العربى مثلاً ، بل طريقته فى تفسيره : أنه يعقد فيه أبواباً كأبواب الفقه ويدرج فى كل باب منها الآيات التى تدخل تحت موضوعٍ واحد فمثلاً يقول: باب الطهارة ، ثم يذكر ما ورد فى الطهارة من الآيات القرآنية ، شارحاً كل آيةٍ منها على حدةٍ ، مبيناً ما فيها من الأحكام على حسب ما يذهب إليه الإمامية الإثنا عشرية فى فروعهم ، مع تعرضه للمذاهب الأخرى ، ورده على من يخالف ما يذهب إليه الإمامية الإثنا عشرية .

هذا . وإن طريقته التى يسلكها فى تدعيم مذهبه وترويجه ، وإبطال مذهب مخالفيه ، لا تخرج عن أمرين اثنين :

أولهما : الدليل العقلى .

ثانيهما : دعوى أن ما ذكره هو ما ذهب إليه أهل البيت .

أما الدليل العقلى ، فيندر أن يسلم له كمستندٍ يستند إليه فى صحة ما يشذ به .

وأما دعوى أن ما ذكره هو ما ذهب إليه أهل البيت ، فتلك دعوى كثيراً ما تكون كاذبةً ، يلجأ إليها الشيعة عندما يعوزهم الدليل ، وتخونهم الحجة .

والكتاب مطبوعٌ على هامش تفسير الحسن العسكرى ، وموجودٌ بدار الكتب .

الخلاصة

أولاً فى تفسير الصوفية :

عرفنا أن التفسير الإشارى هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشاراتٍ تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وعرفنا أن لذلك أصلاً شرعياً وأن هناك تفاوتاً فى إدراك هذه المعانى تجعلنا حذرين فى التعامل مع هذه التفاسير فليس كل من خاض فى هذا الأمر وقف على الصواب بل ليس كل من خاض فى هذا الأمر صلحت سريرته ، وما أجمل قول الدكتور الذهبى عندما تكلم عن الصوفية فى التفسير الإشارى فقال (ولكنهم حينما فسروا المعانى الباطنة خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ...) وقد وُضعت شروطٌ لقبول التفسير الإشارى تتلخص فى : عدم منافاته للظاهر من النظم القرآنى ، وفى أن يكون له شاهدٌ شرعى يؤيده ، وأن لا يكون له معارضٌ شرعىٌ أو عقلىٌ ، وأن لا يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر .

عرفنا أيضا أن التفسير المنسوب لابن عربى مشكوكٌ فى نسبته إليه ووقفنا على ما فيه من خطلٍ يلحقه بالتفاسير الباطنية المذمومة .

ثانياً : فى تفسير الفقهاء :

عرفنا كيف دعت الحاجة إليه وكيف كان فى بادئ الأمر ثم ما انتهى إليه على يد المقلدين المتعصبين من الفقهاء ودرسنا نماذج من ذلك وتبين لنا أن محاولات الفقهاء تطويع التفسير لنصرة مذاهبهم الفقهية جعل تفسيرهم فى عداد التفسير بالرأى وأنهم إذا أنصفوا كان تفسيرهم بالرأى فى القسم المقبول ، وإذا اتبعوا الهوى كان تفسيرهم بالرأى فى القسم المذموم والله أعلى وأعلم .

تحديد موضع الدرس

راجع التفسير والمفسرون جـ٢من ص ٣٣٨ : ٣٥١ ، ٣٦٤ : ٣٦٧ ، ٣٨٢ : ٣٨٨ ، ٤١٤ : ٤٤٥ .

التعريف بالمصطلحات

التفسير الإشارى (الفيضى) : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشاراتٍ تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

أرباب السلوك : هم السائرون فى طريق التصوف .

أهل الحقائق : هم الصوفية أيضاً – فى زعمهم –

مذهب وحدة الوجود: هو مذهب فلسفى خبيث حاصله أن يعتقد منتحله فى النهاية أن الخالق والمخلوق شئٌ واحدٌ وأن كل ما فى الوجود إنما هو شئٌ واحدٌ هو الله، وبعد الوصول إلى هذا الاعتقاد تسقط الشرائع وتبطل العقائد ، ﴿ **كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾ .

تدريبات الوحدة السادسة

١- اسئلة التقويم الذاتى

١- بين معنى التفسير الإشارى ، واذكر شروط قبوله .

٢- بين أثر التفاوت فى إدراك المعانى الباطنية فى تقييم التفسير الإشارى .

٣- تكلم عن التفسير الفقهى مبيناً أثر لتعصب فى تقييمه .

٤- ضع علامة (✓) أمام الصواب ، وعلامة (×) أمام الخطأ .

* التفسير الإشارى إتجاه حديث فى فهم القرآن الكريم . ( )

* عبد الله بن عباس من أوائل من أدركوا إشارات القرآن الكريم . ( )

* ليس كل من تكلم فى التفسير الإشارى مصيب . ( )

* لا يجب الأخذ بالتفسير الإشارى وإن كان مقبولا . ( )

* قبل عصر التدوين ألف كثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم فى التفسير الفقهى . ( )

* كان للتعصب المذهبى أثر فى التفسير الفقهى . ( )

٥- عرف المصطلحات الآتية :

وحدة الوجود - أرباب السلوك .

٢- أسئلة التقويم المستمر

١- تكلم بالتفصيل عن الأصل الشرعى للتفسير الإشارى .

٢- قيم التفسير الإشارى على ضوء دراستك لهذا الموضوع .

٣- اذكر نماذج من تفسير الفقهاء تبين مدى التعصب المذهبى فى هذا اللون من التفسير لآيات القرآن الكريم .

٣- البحوث

اختر لبحثك أحد هذه الكتب :

١- أحكام القرآن للجصاص .

٢- أحكام القرآن للهراس .

٣- أحكام القرآن لابن العربى .

ووضح فى بحثك ما يلى :

١- ترجمة المؤلف.

٢- طريقته فى التفسير.

٣- موقفه من الحديث الضعيف .

٤- موقفه من المذاهب الأخرى .

٥- نماذج من تفسيره توضح بها ما تقول .

الوحدة السابعة

التفسير وألوانه في العصر الحديث

المقدمة

الذي يقرأ كتب التفسير على اختلافها، لا يدخله شك في أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق، فالناحية اللغوية، والبلاغية، والأدبية، والنحوية، والفقهية، والمذهبية، والكونية الفلسفية كل هذه النواحي وغيرها تناولها الأقدمون بتوسع ملموس.

مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار، وبقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة - مرحلة الركود والجمود - لا يتعداها، ولا يحاول التخلص منها. حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود بالعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله ﷺ، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوبًا أدبيًا اجتماعياً، يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموفقين في الغلو والاعتدال.

الأهداف الخاصة

في هذه الوحدة التي نختم بها دراستنا لمناهج المفسرين نلقي الضوء على ألوان التفسير في العصر الحديث لتكون ملماً عزيزي الدارس بما يلي:

[١] اللون العلمي للتفسير في العصر الحديث ما له وما عليه من مآخذ.

[٢] أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون ونماذج من تفسيرها.

[٣] اللون الإلحادي للتفسير في عصرنا الحاضر والباعث عليه ونماذج منه.

[٤] اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر ومدرسة الإمام محمد عبده.

[٥] معرفة محاسن وعيوب المدرسة الأخيرة ودراسة لتفسير المنار المعبر عن هذه المدرسة.

الرسم التوضيحي

الموضوع الساخن

التفسير وألوانه في العصر الحديث

- اللون العلمي
  - سبب رواجه في عصرنا
  - أهم الكتب التي عنيت به
  - إنكار بعض العلماء على هذا اللون
- اللون الإلحادي
  - الباعث عليه
  - نماذج منه
- اللون الإجتماعي
  - التعريف به ومدرسة الإمام محمد عبده
  - محاسن هذه المدرسة
  - عيوب هذه المدرسة
  - نموذج المنار للسيد رشيد رضا

أولاً اللون العلمي للتفسير في عصرنا الحاضر

رواج التفسير العلمى فى عصرنا الحاضر :

هذا اللون من التفسير – أعنى التفسير العلمى الذى يرمى إلى جعل القرآن مشتملاً على سائر العلوم ما جد منها وما يجد – قد استشرى أمره فى هذا العصر الحديث ، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عنايةٌ بالعلوم ، وعنايةٌ بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التى تسلطت على قلوب أصحابها ، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب يحاول أصحابها فيها أن يحملوا القرآن كل علوم الأرض والسماء ، وأن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح ، اعتقاداً منهم أن هذا بيانٌ لناحية من أهم نواحى صدقه ، وإعجازه ، وصلاحيته للبقاء .

أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون

بين أيدينا كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) لرجل الإصلاح الإسلامى المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى ، وهو عبارةٌ عن مجموع مقالات له، نشرها فى بعض الصحف عندما زار مصر سنة ١٣١٨ هـ وقد طبع هذا الكتاب وأبهم اسم مؤلفه ورمز له (الرحالة ك) وفى هذا الكتاب نجد المؤلف – رحمه الله – ينحاز انحيازاً بليغاً إلى هذا اللون من ألوان التفسير ، فيصف القرآن بأنه « شمس العلوم وكنز الحكم » .

وكتاب (إعجاز القرآن) للمرحوم مصطفى صادق الرافعى ، وهو من أنصار هذه النزعة التفسيرية ومن المؤيدين لها ، وفى هذا الكتاب نجد المؤلف – رحمه الله – يعقد بحثاً خاصاً لموضوع (القرآن والعلوم) وفيه يقرر أن القرآن (بآثاره النامية ، معجزةٌ أصليةٌ فى تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض ، من لدن ظهور الإسلام

إلى ما شاء الله) ثم يستطرد إلى ذكر بعض ما نقله السيوطى فى الإتقان والإكليل عن العلامة المرسى فى اشتمال القرآن على سائر العلوم .

هذا ، وإن أعظم علماء العصر الحديث تشيعاً للنزعة التفسيرية العلمية ، وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير العلمى ، هو المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، إذ أنه على حسب ما رأينا أكثر من جمع فى هذا وأطال فى تفسيره (الجواهر) الذى يقع فى خمسةٍ وعشرين جزءاً كباراً ، والمطبوع بمصر سنة ١٣٤١ - ١٣٥١هـ ولهذا أرى أن أتكلم عنه بما يكشف عن طريقة مؤلفه ومنهجه الذى سلكه فيه .

الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

للشيخ طنطاوى جوهرى

ولد سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) وتوفى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠ م).

غرض المؤلف من تفسيره :

أَمَّلَ المؤلف - رحمه الله - من وراء هذا التفسير - كما يقول - « أن يشرح الله به قلوباً ، ويهدى به أمماً ، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين ، فيفهموا العلوم الكونية »

مسالك المؤلف فى تفسيره :

ولقد وضع المؤلف فى تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الأحكام ، والأخلاق ، وعجائب الكون ، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق ، مما يشوق المسلمين والمسلمات - كما يقول - إلى الوقوف على حقائق معانى الآيات البينات فى الحيوان والنبات ، والأرض والسموات .

هذا .. وإن المؤلف – رحمه الله – ليقرر فى تفسيره أن فى القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آيةً ، فى حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آيةً ، كما يقرر « أن الإسلام جاء لأمم كثيرة، وأن سور القرآن متممات لأمور أظهرها العلم الحديث » .

وكثيراً ما نجد المؤلف –رحمه الله – فى تفسيره يهيب بالمسلمين أن يتأملوا فى آيات القرآن التى ترشد إلى علوم الكون .

فيقول : « لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث؟ ولكنى أقول : الحمد لله ... الحمد لله ، إنك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض ؛ لأنه فرض كفاية ، فأما هذه فإنها للازدياد فى معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر . إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن ، هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الإسلام، فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » !!

لم يلق تفسير الجواهر قبولاً لدى كثير من المثقفين :

ويظهر لمن يتصفح هذا التفسير أن المؤلف – رحمه الله – لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه الذى سلكه فى تفسيره ، مما يدل على أن هذه النزعة التفسيرية لم تلق قبولاً لدى الكثير من المثقفين .

ولعل هذا المنزع فى تفسير القرآن الكريم هو السر الذى من أجله صادرت المملكة العربية السعودية هذا الكتاب ، ولم تسمح بدخوله إلى بلادها .

طريقة المؤلف فى التفسير :

المؤلف رحمه الله يفسر الآيات القرآنيه تفسيراً لفظياً مختصراً ، لا يكاد يخرج

عما فى كتب التفسير المألوفة لنا والمتداولة بين أيدينا ، ولكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذى يسميه لفظياً ، ويدخل فى أبحاث علمية مستفيضة يسميها هو لطائف أو جواهر ... هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب فى العصر الحديث ، أتى بها المؤلف ، ليبين للمسلمين ولغير المسلمين أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث ونبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة .

ثم إننا نجد المؤلف - رحمه الله - يضع لنا فى تفسيره هذا كثيراً من صور النباتات ، والحيوانات ، ومناظر الطبيعة ، وتجارب العلوم ، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس .

وكثيراً ما نرى المؤلف - رحمه الله - يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون فى جمهوريته ، أو بما جاء عن إخوان الصفا فى رسائلهم ، وهو حين ينقلها يبدى لنا رضاه عنها ، وتصديقه بها ، مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله ﷺ .

كما إنه يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل الذى لا نصدق أنه يوصل إلى حقيقة ثابتة ، وإنما هى عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين ، فتسلطت على عقول الكثير منهم .

هذا .. وإنا لنجد المؤلف - رحمه الله - يفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة ، وعلوم جديدة ، لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، ولست أرى هذا المسلك فى التفسير إلا ضربا من التكلف ، إن لم يذهب بغرض القرآن ، فلا أقل من أن يذهب بجلاله وجماله .

نموذج من هذا التفسير :

فمثلاً ، عندما تعرض لقوله تعالى فى الآية (٦١) من سورة البقرة : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ..** ﴾ ... الآية ، نجده يقول : « الفوائد الطبية فى هذه الآية » ثم يأخذ فى بيان ما أثبته الطب الحديث من نظرياتٍ طبيةٍ ، ويذكر مناهج أطباء أوروبا فى الطب ، ثم يقول : « أو ليست هذه المناهج هى التى نحا نحوها القرآن ؟ أو ليس قوله ﴿ **أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير** ﴾ رمزاً لذلك ؟ كأنه يقول : العيشة البدوية على المنّ والسلوى ... وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرض يتبعهما . مع الهواء النقى والحياة الحرة ، أفضل من حياةٍ شقيةٍ فى المدن بأكل التوابل ، واللحم والإكثار من ألوان الطعام ، مع الذلة ، وجور الحكام ، والجبن ، وطمع الجيران من الممالك ، فتختطفكم على حين غفلةٍ وأنتم لا تشعرون . بمثل هذا تفسر هذه الآيات . بمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله » أ . هـ !!!

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى فى الآيتين (٥ ، ٦) من سورة طه : ﴿ **الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** ﴾ ... نجده يقول : « ..... قوله ﴿ **وما بينهما** ﴾ ... دخل فى ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العالم المسمى (الآثار العلوية) وهو من علوم الطبيعة قديماً وحديثاً . وقوله : ﴿ **وما تحت الثرى** ﴾ يشير لعلمين لم يعرفا إلا فى زماننا وهما علم طبقات الأرض ، المتقدم مرارا فى هذا التفسير ، وعلم الآثار ، المتقدم بعضه فى سورة يونس ... فالله هنا يقول : ﴿ **وما تحت الثرى** ﴾ .. ليحرص المسلمون على دراسة علوم المصريين التى تظهر الآن تحت الثرى » أ . هـ .

إنكار بعض العلماء المعاصرين لهذا اللون من التفسير :

نجد هذا الإنكار فى كثيرٍ من المحاورات والاعتراضات التى وجهت إلى صاحب الجواهر ، وذكرها لنا فى تفسيره .

كما نجد بعض أساتذتنا المعاصرين ينعون على من يأخذ بهذه الفكرة ويقول بها ، ومن بين هؤلاء أستاذنا الشيخ محمود شلتوت . فقد تناول هذا الموضوع بالبحث فى العدد (٤٠٧ ، ٤٠٨) من السنة التاسعة لمجلة الرسالة – إبريل سنة ١٩٤١ – وفيه يرد على من يذهب إلى هذا اللون من التفسير بحججٍ قويةٍ واضحةٍ .

وهذا هو الأستاذ الشيخ أمين الخولى يتناول هذا الموضوع فى كتابه «التفسير: معالم حياته . منهجه اليوم » وفيه يرد على أنصار هذا المذهب .

والمرحوم السيد محمد رشيد رضا أيضا فى مقدمة تفسيره ينعى على من تأثروا فى تفسيرهم بنزعاتهم العلمية ، فشغلوا تفاسيرهم بمباحث النحو ، والفقه ، ونكت المعانى ، والبيان ، والإسرائيليات ، وغير ذلك ، ويعد هذا صارفاً يصرف الناس عن القرآن وهديه .

ثانيا اللون الإلحادي للتفسير في عصرنا الحاضر

مُنى الإسلام من زمنٍ بعيدٍ بأناسٍ يكيدون له ، ويعملون على دهمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد ، وطرق الهدم ، وكان من أهم الأبواب التى طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة تأويلهم للقرآن الكريم على وجوهٍ غير صحيحةٍ ، تتنافى مع ما فى القرآن من هدايةٍ ، وتناقض ما هو عليه من محجةٍ بيضاء ، وتهدف إلى ما سولته لهم نفوسهم من نحلٍ خاسرةٍ وأهواء !!

الباعث على هذا اللون من التفسير :

هؤلاء النفر من المؤولة منهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته ، فأخذ يثور على قدماء المفسرين ويرميهم جميعاً بالسفه والغفلة ثم طلع على الناس بجديده فى تفسير كتاب الله ... جديد لا تقره لغة القرآن، ولا يقوم على أصلٍ من الدين .

ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسراً ، ونصيباً قليلاً ، لا يرقى به إلى مصاف العلماء ، ولكنه اغتر بما لديه ، فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين فى العلم ، فراح ينظر فى كتاب الله نظرةً حرةً لا تتقيد بأى أصلٍ من أصول التفسير ، ثم أخذ يهذى بأفهامٍ فاسدةٍ ، تتنافى مع ما قرره أئمة اللغة وأئمة الدين .

ومنهم من لم يرسم لنفسه نحلةً دينيةً ، ولم يسر على عقيدةٍ معروفةٍ ، ولكنه لعبت برأسه الغواية ، وتسلطت على قلبه وعقله أفكارٌ وآراءٌ من نحلٍ مختلفةٍ ، فانطلق إلى القرآن وهو يحمل فى قلبه ورأسه هذه الأمشاج من الآراء، فأخذ يؤوله بما يتفق معها ، تأويلاً لا يقرره لعقل ولا يرضاه الدين .

وإذ نعرض لهذا اللون من التفسير لا نريد أن نذكر أحداً من أصحابه باسمه ولقبه ، إذ ربما كان هذا سبباً للفتنة .

وجدنا من أصحاب هذا اللون من ألوان التفسير ، رجلاً يكتب بحثاً طويلاً تحت عنوان : « القرآن والمفسرون » وفيه يعرض لنواحى التقصير فى تفسير كافة المفسرين لكتاب الله تعالى ، ويحمل عليهم حملةً شديدةً نكراء ، ويوجه إليهم جميعاً نقده الساخر ، ولومه اللاذع ، بدون أن يستثنى منهم مفسراً واحداً على كثرتهم ، وكثرة المعتدلين منهم .

ورأيناه يرميهم جميعاً بأنهم كثيراً ما يكتفون بذكر إسرائيلياتٍ ليس لها سندٌ

أصلاً ، فضلا عن طمعهم فى تصحيح هذه الأسانيد المكذوبة ، ونراه يذكر لهذا الاتهام الأخير مثلاً من أقوالهم فى تفسير قصة أيوب عليه السلام ، وبعد هذا تناول هو قوله تعالى فى الآيات (٤١ - ٤٤) من سورة (ص) : ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذا نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصبٍ وعذابٍ . اركض برجلك ، هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا وذكرى لأولى الألباب . وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ، إنا وجدناه صابراً ، نعم العبد ، إنه أواب** ﴾ ..

تناول الكاتب هذه الآيات ، فشرحها شرحا يخالف ما ذهب إليه المفسرون جميعا ، مدعياً أن ما ذهب إليه هو الذى يساير كل ما ورد من آيات القصص فى القرآن .

فقال : « يجب أن ننظر فى الآية نظرةً أخرى -يعنى خلاف ما عليه المفسرون- تساير بها نظائرها فى آيات القصص ونحن إذا التفتنا إلى ما فى هذه الآية من أن أيوب عليه السلام قد عزى النصب والعذاب للشيطان فقال : ﴿ **مسنى الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ ... كان ذلك مانعاً كل المنع من أن يراد بالنصب والعذاب داءٌ أصاب أيوب وكان من نتائجه ما ذكره المفسرون .. إذ الشيطان لا يملك للإنسان إلا أن ينزغه ، ويوسوس إليه ، فيلويه عن الخير إلى الشر ، وعن العزم فى سبيل الغاية إلى التردد والهزيمة ، وإنه ما من نبيٍ ولا رسولٍ إلا وقد نزل به هذا المصاب ... مصاب إعراض الناس واستهزائهم بالدعوة والداعين ، وصد الشيطان لهم عن سبيل الله : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍ** ﴾ ... الآية ، وما كانت شكوى الأنبياء إلا من إعراض أممهم عن الاستجابة ، ولا كان حزنهم الذى كان يبلغ أحيانا حد الإهلاك للنفس إلا لبطءٍ فى سير الدعوة إلى الله تعالى ، انظر قوله تعالى : ﴿ **ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيقٍ مما يمكرون** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث**

أسفا ﴾ .

ولما كانت الشكوى تشعر بوهن العزيمة ، وضعفٍ فى الثقة ، وعدم القوة فى السير إلى الغاية ، كان جواب تلك الشكاية أن قيل له: ﴿ **اركض برجلك** ﴾ فالمراد بالركض هنا ؛ عقد العزيمة وتأكيدها ، واستتمام الثقة وإكمالها ، والمضاء بقوةٍ وبغير ترددٍ ولا توانٍ إلى الغاية ، فهى كنايةٌ من أعذب الكنايات وأروعها .... إلى أن قال : كان عقد العزيمة واستكمال الثقة غسلا للروح من صدئها ، وشفاءاً للنفسٍ من مرضها ، ونقعاً لغلة الصدور ؛ لذلك قال الله لرسوله أيوب ﴿ **هذا مغتسلٌ بارد وشراب** ﴾ ..!!

ثم قال ﴿ **ووهبنا له أهله ومثلهم معهم** ﴾ .. أى هدينا له أهله فآمنوا به واستجابوا لدعوته ، وهدينا له مثلهم من أهله .

وقال فى قوله تعالى : ﴿ **وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث** ﴾ .. أى لا ترفع فى وجوه قومك رمحاً ولا عصا ، ولا تغلظ لهم القول ، ولا تخاشنهم فى الطلب بل لوح فى وجوههم بالرياحين والأزهار ، ولا تأثم بالغلظة والجفوة ، فإنك بخفض الجناح والجدال بالتى هى أحسن تبلغ منهم ما لا تبلغه بالسيف ، والعصا ، والخشونة والغلظة .

ولا أطيل بذكر ما أفند به هذا الرأى وما يحمله من دعاوى غير صحيحةٍ على المفسرين جميعا ، فقد سبقنى إلى هذا أستاذنا العلامة الشيخ السيد محمد الخضر حسين ، وقد نشره فى مجلة الهداية الإسلامية .. العدد العاشر والثانى عشر من المجلد السابع ، والعدد الثانى والثالث والرابع من المجلد الثامن .

ووجدنا من أصحاب هذا اللون رجلاً آخر دفعه حب التجديد المزيف إلى أن يساير روح الإلحاد ويجارى من يتهمون الشريعة الإسلامية بالقسوة فى أحكامها

وحدودها . فراح يتأول آيات الحدود بما يوافق هواه وهوى أصحابه ، فحمل الأمر فيها على الإباحة .. وجعل الأمر فى ذلك مفوضاً إلى رأى ولى الأمر وحده .

ووجدنا غير هذا وذاك من تأثرٍ ببعض الأراء الفلسفية فراح ينكر بعض الحقائق الدينية الثابتة، ويتأول ما ورد منها فى القرآن بما يتمشى مع مذاهب الفلاسفة ، فأنكر حقيقة الشيطان، وتأول ما جاء من لفظ الشيطان فى قوله تعالى فى الآية (١١٧) من سورة النساء : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريدا** ﴾.

وأنكر بعضهم وجود عالم الجن ، وتأول ما جاء من ذلك صريحاً فى آيات القرآن الكريم ، ففسر قوله تعالى فى أول سورة الجن : ﴿ **قل أوحى إلى أنه استمع نفرٌ من الجن ..** ﴾ .. الآية ، بأن الجن قبيلةٌ من العرب وهذا تأويل ينافى روح القرآن فى مواضع كثيرةٍ ، فضلا عن أنه لا يقوم على دليلٍ يصححه .

ووجدنا غير هؤلاء جميعاً رجلا نكس على رأسه ، فطوعت له نفسه أن يخوض فى تفسير كتاب الله على ما به من غوايةٍ وعمايةٍ ، وأخيراً طلع على الناس بكتاب مختصرٍ فى تفسير القرآن الكريم ، تفسيراً جمع فيه الكثير من وساوسه وأوهامه ، ثم سول له الغرور أن يسميه : « الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن » . أحدث هذا التفسير ضجةً كبرى فى المحيط العلمى ، وألفت لجنة من بعض العلماء لتنظر فى هذا الكتاب ، ثم لتحكم عليه بما ترى فيه ، ثم رفعت اللجنة تقريرها لشيخ الأزهر إذ ذاك وفيه تفنيد لآراء الرجل وحكم عليه بأنه « أفاكٌ خراصٌ ، اشتهى أن يعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد فى الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه، ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث فى شأنه وترديد سيرته » . ثم صودر الكتاب .

قرأت فيه ، فوجدت مؤلفه قد قدم له بمقدمةٍ عاب فيها المفسرين وكتب

التفسير جميعاً .

طريقته فى التفسير :

قال : طريقتى فيه كشف الآية وألفاظها بما ورد فى موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن ، ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله . ولا يحتاج إلى شئ من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله فى الكون ونظامه فى الاجتماع .

ولعل القارئ الكريم يلحظ كما ألحظ أن المؤلف يرمى من وراء قوله : «..ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله . ولا يحتاج إلى شئ من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله فى الكون ونظامه فى الاجتماع » . أنه يريد أن يهدر صلة السنة بالقرآن الكريم ، وينفى أن منزلتها منه منزلة المبيَّن من المبيِّن . والله تعالى يقول : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ أ . هـ .

إنكاره لمعجزات الأنبياء عليهم السلام :

وقف هذا الرجل من معجزات الأنبياء عليهم السلام موقفاً شاذاً غريباً . يقوم على إنكارها وجحدها والذهاب بها – عن طريق التأويل الفاسد – إلى أن تكون من قبيل الممكن الذى يدخل تحت مقدور كل إنسانٍ ، رسولٍ أو غير رسولٍ . فيقول فى بعض المواضع : « وإن آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم ، وصلاح رسالتهم ، وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه فى كونه» .

على هذا الأساس تناول الرجل آيات المعجزات فخرج بها عن مدلولها الحقيقى الذى أراده الله تعالى .

إنكاره للملائكة والجن والشياطين :

كذلك نجد صاحب هذا الكتاب يؤول الملائكة ، والجن ، والشياطين بما لا يتفق والحقائق الشرعية الثابتة .

فـ « **الملائكة** » .. رسل النظام وعالم السنن ، وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له و « **إبليس** » .. اسم لكل مستكبر على الحق ، ويتبعه لفظ الشيطان والجان . كما تطلق « **الشياطين** » .. على الحيات والثعابين . و « **الجن** » .. يطلق على العالم الخفى والظاهر والقوى ، وجن كل شئ أوله ومقدمته

إنكاره لأحكام من الدين لم ينازع فيها أحدٌ من المجتهدين :

ولقد سولت للمؤلف نفسه أن يتأول بعض آيات الأحكام على غير ما أراد الله، وعلى مقتضى هواه الذى لا يخضع لقواعد اللغة ولا لأصول الشريعة !!

حد السرقة :

فمثلاً عند قوله فى الآية (٣٨) من سورة المائدة : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ .. الآية ، يقول : « واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطى معنى التعود . أى أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ، ويظهر لك من هذا المعنى : أن من سرق مرة أو مرتين ولا يستمر فى السرقة ، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده ؛ لأن قطعها فيه تعجيز له ، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه » .

حد الزنا :

وعند قوله تعالى فى الآية (٢) من سورة النور : ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ .. الآية ، نجده يقول : ﴿ **الزانية والزانى** ﴾ .. يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخلقهما .

فهما بذلك يستحقان الجلد » .

الربا :

كذلك نجد المؤلف يميل إلى أن الربا المحرم شرعاً هو الفاحش فقط فقال : عندما عرض لقوله تعالى فى الآية (١٣٠) من سورة آل عمران : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ : ﴿ **الربا أضعافاً مضاعفةً** ﴾ .. أى الربا الفاحش وبمعنى آخر : الربح الزائد عن حده فى رأس المال . وتقدره كل أمةٍ بعرفها .

الطلاق :

كذلك نجد المؤلف يذهب إلى أن الطلاق لا يقع إلا إذا كان سببه أمراً يخل بنظام العشرة ، وآتياً من قبل المرأة ، وذلك حيث يقول فى قوله تعالى فى الآية (١) من سورة الطلاق : ﴿ **لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينةٍ** ﴾ ... ما نصه : ﴿ **بيوتهن** ﴾ .. بيوت الزوجية . راجع البقرة من (٢٢٦ - ٢٤٢ -) والأحزاب (٤٠) ، والتحريم (٥) ، والنور (٥ - ١٠) لتعرف أن الطلاق وإن كان فى يد الرجل لا يقع إلا بسببٍ يخل بنظام العشرة الزوجية » .

هذا بعض ما جاء فى هذا الكتاب الذى هذى به صاحبه ، وفيه غير هذا كثيرٌ مما يدل على أن الرجل قد ركب متن الغواية .

وإذا كان القارئ الكريم يود أن يقف على إبطال هذه المزاعم التى حشا بها المؤلف كتابه ، فليرجع إلى قرار اللجنة الأزهرية ، التى أُلفت للرد على هذا الكتاب، العدد الثالث والرابع من المجلد الثانى من مجلة نور الإسلام (الأزهر سنة ١٣٥٠ هـ)، وليرجع إلى ما كتبه شيخنا العلامة السيد محمد الخضر حسين فى الجزء الثالث من رسائل الإصلاح .

ثالثاً اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر

هو معالجة النصوص القرآنية معالجةً تقوم أولاً وقبل كل شيءٍ على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآنى ، ثم بعد ذلك تصاغ المعانى التى يهدف القرآن إليها فى أسلوبٍ شيقٍ أخاذٍ ، ثم يطبق النص القرآنى على ما فى الكون من سنن الاجتماع، ونظم العمران .

مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وأثرها فى التفسير :

إذا كان هذا اللون الأدبى الاجتماعى يعتبر فى نظرنا عملاً جديداً فى التفسير فالفضل فى هذا اللون التفسيرى يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير ... هذه المدرسة التى قام زعيمها ، ورجالها من بعده بمجهودٍ كبيرٍ فى تفسير كتاب الله تعالى . مجهودٍ نحمد لها الكثير منه ، ولا نوافقها على بعضٍ منه قليل .

محاسن هذه المدرسة :

فالذى نحمده لهذه المدرسة : أنها نظرت للقرآن نظرةً بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب ، فلم يكن منها ما كان من كثيرٍ من المفسرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التى تجعل القرآن تابعاً لمذهبه ، كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير .

كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثيرٌ من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التى كان لها أثرٌ سيءٌ فى تفسير القرآن الكريم !! .

وكذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التى زج بها فى التفسير بدون أن يكون فى حاجةٍ إليها ، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة ، وعلى حسب الضرورة فقط .

ثم إن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً ، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه ، وأوضحت معانيه ومراميه ، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع ، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصةً ، ومشاكل الأمم عامة ، بما أرشد إليه القرآن ، من هداية وتعاليم . جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة ، ووفقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظرياتٍ صحيحةٍ ، وجلّت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد ، الذى يستطيع أن يساير التطور الزمنى والبشرى ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ودفعت ما ورد من شبهٍ على القرآن ، وفندت ما أثير حوله من شكوكٍ وأوهامٍ .

هذا ما نحمده لهذه المدرسة ، ولا نستطيع أن نغمطها عليه ، أو نقلل من فضلها فيه .

عيوب هذه المدرسة :

أما ما نأخذه على هذه المدرسة ، فهو أنها أعطت لعقلها حريةً واسعةً ، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التى جاء بها لقرآن الكريم ، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل ، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب . استبعادٌ بالنسبة لقدرة البشر القاصرة ، واستغرابٌ لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكنٍ .

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة فى بعض تعاليمها وعقائدها ، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعانى ما لم يكن معهوداً عند العرب فى زمن نزول القرآن وطعنت فى بعض الأحاديث : تارةً بالضعف ، وتارةً بالوضع ، مع أنها أحاديثٌ صحيحةٌ رواها البخارى ومسلمٌ ، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم ، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة ، فى

كل ما هو من قبيل العقائد ، أو من قبيل السمعيات ، مع أن أحاديث الآحاد فى هذا الباب كثيرة لا يستهان بها .

وما يقال من أن خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعاً ، فيه نظر .

وليس المراد من العقيدة كل ما يعتقد ، وإلا لتناول ذلك الفروع الفقهية ، فإنه لا يسوغ العمل بها إلا بعد اعتقاد صحة الحكم فيها ، وإنما المراد بالعقائد أصولها، وهو ما كان الإخلال بها موجباً للكفر ، كالإيمان بالله واليوم الآخر ، وأما الأحاديث الواردة فى الحوادث الماضية ، أو المستقبلة ، أو المتعلقة بتفاصيل اليوم الآخر وما فيه ، فلا يشترط فيها التواتر ، لأن هذه الأمور ليست من قبيل العقائد التى يترتب على عدم تصديقها الكفر والعياذ بالله تعالى ، ولكن يكتفى فيها بأن تكون من طريق صحيح .

أهم رجال هذه المدرسة :

هذا ... وإن أهم رجال هذه المدرسة ، وهو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده زعيمها وعميدها ، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا ، والمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وهما خير من أنجبت هذه المدرسة ، وخير من ترسم خطا الأستاذ الإمام ، وسار على منهجه وطريقته فى التفسير .

السيد محمد رشيد رضا

(ولد فى سنة ١٢٨٢ هـ وتوفى فى سنة ١٣٥٤ هـ)

نستطيع أن نقول إن الشيخ رشيد هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام ، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ ، و ألف فى حياته وبعد فاته ؛ فكان لا يحيد عن منهجه أو

ينحرف عن أفكاره ، وليس غريباً ما يرويه الشيخ رشيد من أن الأستاذ الإمام – رحمه الله – كان يقول : « صاحب المنار ترجمان أفكاري » . كما أنه ليس غريباً ما يحدث به أحد تلاميذ الشيخ رشيد من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيد بأنه «متحد معه فى العقيدة ، والفكر ، والرأى ، والخلق ، والعمل » .

إنتاج الشيخ رشيد فى التفسير :

وإذا نحن تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام إنتاجاً فى التفسير ؛ وذلك أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم ، المشهور بتفسير المنار ... ابتداءً بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى : (١٠١) من سورة يوسف : ﴿ **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولىى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين** ﴾ ... ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله .

هذا القدر من التفسير مطبوع فى اثنى عشر مجلداً كباراً ، ينتهى المجلد الثانى عشر عند قوله تعالى فى الآية (٥٣) من سورة يوسف : ﴿ **وما أبرئ نفسى** ﴾ ... الآية .

وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف ، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها فى كتابٍ مستقلٍ يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله .

مصادره فى التفسير :

أما مصادره فى التفسير فإنه كان يستعين ببعض آيات القرآن على فهم بعضٍ آخر منه ، خصوصاً إذا تكررت الآيات فى موضوعٍ واحدٍ ، وكان يستعين أيضاً بما صح عنده من بيان رسول الله ﷺ ، وبما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، وبأساليب لغة العرب وسنن الله فى خلقه ، ومستعيناً بعد ذلك كله بعقله

المتحرر من التقليد للمفسرين ، إلا فيما يقتنع به من أقوالهم ، وأقوال شيخه على الأخص .

هدفه من التفسير :

أما هدفه فى التفسير فهو عين ما يهدف إليه الأستاذ الإمام ، فإذا كان الأستاذ الإمام يصرح بأن هدفه من التفسير هو « فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة » . فإن صاحبنا يصرح بمثل ذلك فى كثيرٍ من مواضع كتابه ، فيقول : « إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسيرٍ تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة ، المنزلة فى وصفه ، وما أنزل لأجله ، من الإنذار ، والتبشير ، والهداية ، والإصلاح » .

منهجه فى التفسير :

وأما منهجه فيه فهو عين ما نهجه الأستاذ الإمام ، فلا تقيد بأقوال المفسرين ، ولا تحكم للعقيدة فى نص القرآن ، ولا خوض فى إسرائيلياتٍ ، ولا تعيين لمبهماتٍ ، ولا تعلق بأحاديث موضوعة ، ولا حشد لمباحث الفنون ، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم ، بل شرحٌ للآيات بأسلوب رائعٍ ، وكشفٌ عن المعانى بعبارة سهلةٍ مقبولةٍ ، وتوضيحٌ لمشكلات القرآن ، ودفاعٌ عنه يرد ما أثير حوله من شبهات ، وبيان لهدايته ، ودلالة إلى عظيم إرشاده ، وتوقيفٌ على حكم تشريعه ، ومعالجةٌ لأمراض المجتمع بناجع دوائه ، وبيانٌ لسنن الله فى خليقته .

ولكنا نجد الشيخ رشيد – رحمه الله – يحيد عن هذا المنهج بعض الشئ ، وذلك بعد وفاة شيخه ، واستقلاله بالعمل ، ويحدثنا هو بذلك فيقول :

« وإننى لما استقللت بالعمل بعد وفاته ، خالفت منهجه – رحمه الله تعالى –

بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواءٌ أكان تفسيراً لها، أو فى حكمها، و فى تحقيق بعض المفردات ، أو الجمل اللغوية ، والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم فى هذا العصر ، أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة ، أو بحل المشكلات التى أعيا حلها . بما يطمئن به القلب ، وتسكن إليه النفس » أ . هـ .

آراؤه فى التفسير :

أما آراؤه فى التفسير فهى كآراء شيخه ، تقوم على حريةٍ واسعةٍ فى الرأى واعتدادٍ عظيمٍ بالفهم ، وثقةٍ قويةٍ بما عنده من العلم ، وعدم تقيدٍ ببعض المسلمات عند العلماء ؛ ولهذا نجد له أفكاراً عريبةً فى تفسير القرآن استقل ببعضٍ منها ، وقلد شيخه فى بعضها الآخر .

رأيه فى أصحاب الكبائر :

فمثلاً عندما تعرض لقوله تعالى فى الآية (٢٧٥) من سورة البقرة فى شأن المرابين : ﴿ **ومن عاد فأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** ﴾ نجده يخالف أهل السنة ، ويؤكد أن صاحب الكبيرة التى فى درجة أكل الربا وقتل العمد إذا مات ولم يتب منها يخلد فى النار ، ولا يخرج منها أبداً.

تذرعه بالمجاز والتشبيه :

كذلك نجد صاحب المنار يصرف بعض ألفاظ القرآن عن ظواهرها ، ويعدل بها إلى ناحية المجاز أو التشبيه ، وذلك فيما يبدو مستبعداً ومستغرباً لو أجرى على حقيقته، وهذا المسلك الذى جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ، ومسلك الزمخشرى

وغيره من المعتزلة ، الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلاً للفرار من الحقائق التى يصرح بها القرآن ، ولا تعجز عنها قدرة الله ، وإن بعدت عن منال البشر .

فمثلاً نجد صاحب المنار عندما تعرض لقوله تعالى فى الآية (٤٧) من سورة النساء : ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها** ﴾ ... الآية ، نراه يستظهر أن المعنى المراد هنا هو « آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوه مقاصدكم التى توجهتم إليها فى كيد الإسلام ، ونردها خاسئةً إلى الوراء ، بإظهار الإسلام ونصره عليكم ، وفضيحتكم فيما تأتونه باسم الدين والعلم الذى جاء به الأنبياء ، وقد كان لهم عند نزول الآية شئ من المكانة والمعرفة والقوة ، فهذا ما نفسرها به ، على جعل الطمس والرد على الأدبار معنويين ... ثم سرد بعض أقوال المفسرين فى هذه الآية ، ثم بين أن ما اختاره هو رأى شيخه الذى مال إليه فى دروسه » .

رأيه فى السحر :

ثم إن صاحب المنار لا يرى السحر إلا ضرباً من التمويه والخداع ، وليس له حقيقةٌ كما يقول أهل السنة ، وهو يوافق بهذا القول قول شيخه وقول المعتزلة من قبله ولهذا نراه عندما فسر قوله تعالى فى الآية (٧) من سورة الأنعام : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحرٌ مبينٌ** ﴾ ... نجده يقول : « والآية تدل على أن السحر خداعٌ باطلٌ ، وتخييلٌ يرى ما لا حقيقة له فى صورة الحقائق » .

هذا .... ولم يستطع الشيخ رشيد أن يرد حديث البخارى فى سحر رسول الله ﷺ كما فعل شيخه ، ولكنه تأول الحديث على أنه كان من قبيل العقد عن النساء .

رأيه فى معجزات النبى ﷺ :

ولقد نجد صاحب المنار يذهب فى معجزات النبى ﷺ مذهباً بعيداً ، فيقرر أنه لا معجزة للنبى ﷺ غير القرآن الكريم ، وينكر بعض معجزاته الكونية، ويتأول ما يشهد له من آياتٍ ، ويجحد صحة ما يقوم بإثباتها من الأحاديث ، وما يسلمه من بعض الآيات الكونية فهو فى نظره إكرام للنبى من ربه ، وليس من قبيل المعجزة ، أو الحجة على صدق دعوته .

يذهب إلى هذا ويستدل له بمثل قوله تعالى فى الآية (٥٩) من سورة الإسراء : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون** ﴾ . الآية ، وبمثل قوله عليه السلام من رواية أبى هريرة عند الشيخين وغيرهم : « وما من نبيٍ من الأنبياء إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

حملته على بعض المفسرين :

هذا ... ولا يفوتنا أن نقول ، إن صاحب المنار كان كثير التوسع فى ما يتعقب به أحياناً قدماء المفسرين ، خصوصاً الفخر الرازى منهم ، مع قسوةٍ منه عليهم فى الكثير الغالب .

حملته على البدع والخرافات :

كما أنه كان كثير الاستطراد إلى تتبع بدع المسلمين ، والكشف عن عوارها والإرشاد إلى علاجها ، مع تشددٍ وتعسفٍ منه فى كثيرٍ من الأحيان .

شرحه لمبهمات القرآن بما جاء فى التوراة والإنجيل :

كذلك لا يفوتنا أن ننبه على أن صاحب المنار كان مع شدة لومه على المفسرين

الذين يزجون بالإسرائيليات فى تفاسيرهم ، ويتخذون منها شروحاً لكتاب الله ، يخوض هو أيضا فيما هو من هذا القبيل ويتخذ منه شروحاً لكتاب الله ، وذلك أنه كثيراً ما ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً وآثاراً يفسر بها بعض مبهمات القرآن أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين [1] . وكان الأجدر بهذا المفسر الذ ى يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات ، أن يكف هو أيضاً عن النقل عن كتب أهل الكتاب خصوصاً وهو يعترف أنه قد تطرق إليها التحريف والتبديل .

دفاعه عن الإسلام :

وأخيراً فلا يفوتنا أن الرجل قد دافع عن الإسلام والقرآن ، وكشف عما أحاط بهما من شكوكٍ ومشاكل ، وقد استعمل فى ذلك لسانه وقلمه ، وضمنه مجلته وتفسيره ، وتلك مزيةٌ للرجل يحمد عليها ، ولا ننسى ما له من أفكارٍ جريئةٍ ومتطرفةٍ.

١- انظر ما نقله عن الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج عن التابوت وما حواه جـ ٤٨٢/٢ ، ٤٨٣ واستشهاده على ما فسر به استجابة الله لدعاء موسى وهارون حيث قالا كما جاء فى الآيتين (٨٨ ، ٨٩) من سورة يونس : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما** ﴾ الآية ، بما جاء فى سفر الخروج جـ ٤٧٤/١١

الخلاصة

فى دراستنا لهذه الوحدة تعرفنا على ثلاثة ألوانٍ من التفسير فى العصر الحديث.

اللون الأول : هو التفسير العلمى الذى استشرى أمره فى هذا العصر الحديث وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عنايةٌ بالعلوم وعنايةٌ بالقرآن الكريم ، وفى هذا اللون يحاول أصحاب التفسير أن يحملوا القرآن كل علوم الأرض والسماء وأن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح اعتقاداً منهم أن هذا بيانٌ لناحية من أهم نواحى صدقه ، وإعجازه ، وصلاحيته للبقاء ، ومن أهم ما صدر فى هذا اللون تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى الذى لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه فى تفسيره هذا، كما أنكر بعض العلماء المعاصرين هذا اللون عموماً ومنهم الشيخ محمود شلتوت ، والشيخ أمين الخولى والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم .

اللون الثانى : هو التفسير الإلحادى وقد قام به أناسٌ يكيدون للإسلام بغضاً فى شرائعه وجهلاً بعلومه واتباعاً للباطل وما تهوى الأنفس ، فانحصرت بواعثهم بين خبث المقصد وبين ظلمة الجهل واتباع الهوى ، وخرج إنتاجهم يسفه جهود جميع علماء الأمة من قبلهم ويهدم ما بناه المخلصون الراسخون فى العلم ليقيم بدلاً منه هذا الغث المشوه الذى يقوم على إنكار المعلوم من الدين بالضرورة كمعجزات الأنبياء والملائكة والجن ، وعلى تعطيل الشرائع بتأويل حد السرقة ، وحد الزنا ، وحرمة الربا ، وتشريع الطلاق ... الخ .

أما اللون الثالث : وهو التفسير الأدبى الاجتماعى فقد قامت به مدرسة الإمام محمد عبده ومثّلَه تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا وهذا اللون يحمد له عدم تأثره بالمذاهب ، ونقده للإسرائيليات وبعده عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وبعده كذلك عن مصطلحات العلوم والفنون إلا بقدر الحاجة كما يحمد لهذه المدرسة ذلك

المنهج الذى كشف عن بلاغة القرآن وإعجازه وأظهر ما فيه من سنن الكون ونظم الاجتماع ... الخ .

أما ما يؤخذ على هذه المدرسة من عيوب فأهمها التوسع فى الاعتداد بالعقل حتى شابهت المعتزلة فى بعض المسائل بتأويل بعض الحقائق الشرعية والطعن فى بعض الأحاديث الصحيحة وعدم الاعتداد بأحاديث الآحاد فى كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات .

تحديد موضع الدرس

راجع التفسير والمفسرون جـ٢ من ص ٤٧٣ : ٤٩٤ ، ٤٩٩ : ٥٦٣ .

تدريبات الوحدة السابعة

١ - أسئلة التقويم الذاتى

١ – تكلم عن التفسير العلمى فى العصر الحديث مبينا السبب فى رواجه وانتشاره .

٢ – مع رواج اللون العلمى للتفسير فى العصر الحديث ، هل كان هذا اللون محل قبول من أهل العلم ؟ أذكر أسماء بعض المعارضين لهذا اللون من العلماء المحدثين .

٣ – اذكر البواعث التى دعت البعض إلى التفسير الإلحادى فى عصرنا .

٤ – اكتب عن مدرسة الإمام محمد عبده فى التفسير مبينا اللون الذى اشتهرت به ، واذكر محاسن وعيوب هذه المدرسة .

٢- أسئلة التقويم المستمر

١ – هل يعتبر اللون العلمى فى التفسير من قبيل التفسير بالرأى المذموم ؟ وضح إجابتك مستعيناً بدراستك السابقة وطبق ما درست على تفسير الجواهر فى أمثلة منه .

٢ – اذكر بالأمثلة كيف يؤدى التفسير الإلحادى إلى إبطال الشريعة الغراء .

٣ – اذكر وجه المشابهة بين تفسير المنار وتفاسير المعتزلة مبينا بالأمثلة وهل يعد تفسير المنار بهذه المشابهة من تفاسير المعتزلة أم من تفاسير أهل السُّنّة .

٣- البحوث

اكتب بحثا فى أحد الألوان الثلاثة من التفسير فى العصر الحديث واستخدم أمثلة غير التى درستها هنا فى مناهج المفسرين

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
الهدف العام للدراسة	٣
مناهج المفسرين (رسم توضيحى) ...	٤
الوحدة الأولى	
التفسير في عصر النبى ﷺ والصحابة	
الأهداف الخاصة	٥
الرسم التوضيحى	٦
المقدمة	٧
معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما	٧
التفسير لغة	٧
التفسير اصطلاحا	٧
التأويل لغة	٧
التأويل اصطلاحا	٨
الفرق بين التفسير والتأويل	٩
فهم النبى ﷺ والصحابة للقرآن	١٠
تفاوت الصحابة فى فهم القرآن	١١
مصادر التفسير فى هذا العصر	١٢
المصدر الأول – القرآن الكريم	١٢
المصدر الثانى – النبى ﷺ	١٦
الوضع على رسول الله ﷺ فى التفسير	١٧
المقدار الذى بينه رسول الله ﷺ من القرآن لأصحابه	١٧

الموضوع	الصفحة
أوجه بيان السنة للكتاب	٢١
المصدر الثالث – الاجتهاد وقوة الاستنباط	٢٣
أدوات الاجتهاد فى التفسير عند الصحابة.....	٢٣
المصدر الرابع – أهل الكتاب من اليهود والنصارى	٢٤
أهمية هذا المصدر بالنسبة للمصادر السابقة.....	٢٥
الخلاصة	٢٦
تحديد موضع الدرس	٢٨
مراجع مساعدة	٢٨
التعريف بالمصطلحات	٢٩
تدريبات الوحدة الأولى	٣١
الوحدة الثانية	
المفسرون من الصحابة والتابعين	
مقدمة	٣٣
الأهداف الخاصة	٣٣
الرسم التوضيحى	٣٤
أ- التفسير فى عصر الصحابة	٣٥
المفسرون من الصحابة	٣٥

الموضوع	الصفحة
١- عبدالله بن عباس	٣٥
قيمة ابن عباس فى تفسير القرآن ..	٣٨
رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب	٣٩
رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم.	٣٩
الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة	٤١
التفسير المنسوب إلى ابن عباس وقيمته	٤٢
أسباب الوضع على ابن عباس	٤٣
٢- عبدالله بن مسعود	٤٣
قيمة ابن مسعود فى التفسير	٤٥
الرواية عن ابن مسعود ومبلغها من الصحة	٤٥
٣- على بن أبى طالب	٤٦
مكانته فى التفسير	٤٧
الرواية عن على ومبلغها من الصحة	٤٧
٤- أبى بن كعب	٤٨
مكانته فى التفسير	٤٩
الرواية عنه فى التفسير ومبلغها من الصحة	٤٩
قيمة التفسير المأثور عن الصحابة	٥٠
مميزات التفسير فى هذه المرحلة	٥٢
ب- التفسير فى عصر التابعين	٥٣
مصادر التفسير فى هذا العصر	٥٣
مدارس التفسير فى عصر التابعين	٥٣

الموضوع	الصفحة
١- مدرسة التفسير بمكة	٥٤
قيامها على ابن عباس	٥٤
أشهر رجالها	٥٥
سعيد بن جبير	٥٥
مجاهد بن جبر	٥٦
عكرمة	٥٧
طاووس بن كيسان اليمانى	٥٩
عطاء بن أبى رباح	٥٩
٢- مدرسة التفسير بالمدينة	٦٠
قيامها على أبى بن كعب	٦٠
أشهر رجالها	٦١
أبو العالية	٦١
محمد بن كعب القرظى	٦١
زيد بن أسلم	٦٢
٣- مدرسة التفسير بالعراق	٦٣
قيامها على ابن مسعود	٦٣
أشهر رجالها	٦٣
علقمة بن قيس	٦٣
مسروق	٦٤
الحسن البصرى	٦٥
قتادة	٦٥
قيمة التفسير المأثور عن التابعين	٦٦
مميزات التفسير فى هذه المرحلة	٦٨
الخلاف بين السلف فى التفسير	٦٨
الخلاصة	٧٣

الموضوع	الصفحة
تحديد موضع الدرس	٧٥
المراجع المساعدة	٧٥
التعريف بالمصطلحات	٧٥
تدريبات الوحدة الثانية	٧٦
الوحدة الثالثة	
التفسير في عصور التدوين	
مقدمة	٧٩
الأهداف الخاصة	٧٩
الرسم التوضيحي	٨٠
خطوات التفسير وتدرجها	٨١
ليس من السهل معرفة أول من دون تفسير كل القرآن مرتباً	٨٢
تدرج التفسير العقلي	٨٣
التفسير الموضوعي	٨٤
التفسير بالمأثور	٨٥
ما هو التفسير بالمأثور	٨٥
تدرج التفسير المأثور	٨٥
اللون الشخصي للتفسير المأثور	٨٦
الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه	٨٧
١- الوضع في التفسير	٨٨
نشأة الوضع في التفسير	٨٨
أسبابه	٨٩
أثر الوضع في التفسير	٨٩
قيمة التفسير الموضوع	٩٠
٢- الإسرائيليات	٩١
بيان المراد بالإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين القرآن	٩١
مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره	٩٢
أثر الإسرائيليات في التفسير	٩٤
قيمة ما يروى من الإسرائيليات	٩٤
موقف المفسر إزاء هذه الإسرائيليات	٩٥
أقطاب الرواية الإسرائيلية	٩٦
عبد الله بن سلام	٩٦
كعب الأحبار	٩٨
وهب بن منبه	١٠١
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	١٠٣
٣- حذف الإسناد	١٠٤
أشهر ما دون من كتب التفسير المأثور	١٠٦
جامع البيان في تفسير القرآن للطبري	١٠٦
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٠٦
مبلغه من العلم والعدالة	١٠٦
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١٠٧
طريقة ابن جرير في تفسيره	١٠٨
إنكاره على من يفسر بمجرد الرأى	١٠٨

الموضوع	الصفحة
موقفه من الأسانيد	١٠٩
تقديره للإجماع	١١٠
موقفه من القراءات	١١٠
موقفه من الاسرائيليات	١١٠
انصرافه عما لا فائدة فيه	١١١
احتكامه إلى المعروف من كلام العرب	١١١
رجوعه إلى الشعر القديم	١١٢
اهتمامه بالمذاهب النحوية	١١٢
معالجته للأحكام الفقهية	١١٢
خوضه فى مسائل الكلام	١١٣
معالم التنزيل للبغوى	١١٤
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١١٤
مبلغه من العلم	١١٤
التعريف بمعالم التنزيل وطريقة مؤلفه فيه	١١٥
تفسير القرآن العظيم - لابن كثير	١١٦
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١١٦
مكانته العلمية	١١٧
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١١٧
الخلاصة	١١٩
راجع	١٢١
المراجع المساعدة	١٢١
التعريف بالمصطلحات	١٢١
تدريبات الوحدة الثالثة	١٢٣

الموضوع	الصفحة
الوحدة الرابعة	
التفسير بالرأي وما يتعلق به من مباحث	
المقدمة	١٢٥
الأهداف الخاصة	١٢٥
الرسم التوضيحى	١٢٦
معنى التفسير بالرأى	١٢٧
موقف العلماء من التفسير بالرأى	١٢٧
حقيقة الخلاف	١٢٨
العلوم التى يحتاج إليها المفسر	١٣٠
مصادر التفسير	١٣٢
الأمور التى يجب على المفسر أن يتجنبها فى تفسيره	١٣٤
أنواع علوم القرآن	١٣٥
قانون الترجيح فى الرأى	١٣٦
منشأ الخطأ فى التفسير بالرأى	١٣٦
التعارض بين التفسير المأثور والتفسير بالرأى	١٣٧
أهم كتب التفسير بالرأى الجائز	١٣٩
١ - مفاتيح الغيب للرازى	١٣٩
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٣٩
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١٤٠
اهتمام الفخر الرازى ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره	١٤١
اهتمامه بالعلوم الرياضية الفلسفية	١٤٢

الموضوع	الصفحة
موقفه من المعتزلة	١٤٢
موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة	١٤٢
٢- البحر المحيط - لأبي حيان	١٤٣
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٤٣
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١٤٤
٣- روح المعاني - للآلوسي	١٤٥
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٤٥
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١٤٦
مكانة هذا التفسير من التفاسير السابقة	١٤٦
موقف الآلوسي من المخالفين لأهل السنة	١٤٧
الآلوسي والمسائل الكونية	١٤٧
كثرة استطراده للمسائل النحوية	١٤٨
موقفه من المسائل الفقهية	١٤٨
موقفه من الإسرائيليات	١٤٨
تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول	١٤٨
الآلوسي والتفسير الإشاري	١٤٩
التفسير بالرأي المذموم أو تفسير الفرق المبتدعة	١٥٠
تمهيد في بيان نشأة الفرق الإسلامية ..	١٥٠
المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن	١٥١
نشأة المعتزلة	١٥١
موقف المعتزلة من تفسير القرآن	١٥٢

الموضوع	الصفحة
إنكار المعتزلة لما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة	١٥٢
ادعاؤهم أن كل محاولاتهم في التفسير مرادة لله	١٥٣
المبدأ اللغوي في التفسير لدى المعتزلة ..	١٥٣
تصرف المعتزلة في القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم	١٥٣
تذرع المعتزلة بالفروض المجازية إذا بدا ظاهر القرآن غريباً	١٥٤
تفسيرهم للقرآن على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينية	١٥٤
حكم الإمام أبي الحسن الأشعري على تفسير المعتزلة	١٥٥
حكم ابن تيمية على تفسير المعتزلة	١٥٥
أهم كتب التفسير الاعتزالي	١٥٦
١- الكشاف - للزمخشري.....	١٥٦
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٥٦
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	١٥٧
مقالة ابن بشكوال في الكشاف	١٥٧
مقالة أبي حيان	١٥٨
مقالة ابن خلدون	١٥٨
مقالة التاج السبكي	١٥٨
اهتمام الزمخشري بالناحية البلاغية للقرآن	١٥٩

الموضوع	الصفحة
تذرعه بالمعانى اللغوية لنصرة مذهبه الاعتزالى	١٥٩
اعتماده على الفروض المجازية	١٦٠
مبدأ الزمخشرى فى التفسير عندما يصادم النص القرآنى مذهبه	١٦٠
خصومة العقيدة بين الزمخشرى وأهل السنة	١٦١
موقف الزمخشرى من المسائل الفقهية	١٦١
موقف الزمخشرى من الإسرائيليات	١٦٢
الخلاصة	١٦٣
تحديد موضع الدرس	١٦٥
المراجع المساعدة	١٦٥
التعريف بالمصطلحات	١٦٦
تدريبات الوحدة الرابعة	١٦٧
الوحدة الخامسة	
الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم	
المقدمة	١٦٩
الأهداف الخاصة	١٦٩
الرسم التوضيحى	١٧٠
كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم	١٧١
موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم	١٧٢
موقف الإمامية الإثنى عشرية من تفسير القرآن الكريم	١٧٢
تأثر الإمامية الاثنى عشرية بأراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم	١٧٣
احتيالهم على تركيز عقائدهم وترويجها	١٧٣
أثر التفسير الباطنى فى تلاعبهم بنصوص القرآن	١٧٤
موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم	١٧٥
تحريف القرآن وتبديله (فى زعمهم)	١٧٥
أهم كتب التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية	١٧٦
١-تفسير الحسن العسكرى	١٧٦
التعريف بمؤلف هذا التفسير	١٧٦
التعريف بهذا التفسير	١٧٦
ولاية على	١٧٧
التقية	١٧٧
تأثره بمذهب المعتزلة	١٧٨
تأثره بآراء الشيعة فى الفروع الفقهية	١٧٨
٢-مجمع البيان لعلوم القرآن- للطبرسى	١٧٨
ترجمة المؤلف ومكانته العلمية	١٧٨
منهج الطبرسى فى تفسيره	١٧٩
إمامة على	١٧٩
عصمة الأئمة	١٨٠
الرجعة والمهدى	١٨٠
التقية	١٨١
تأثر الطبرسى بفقه الشيعة فى تفسيره	١٨١

الموضوع	الصفحة
نكاح المتعة	١٨١
نكاح الكتابيات	١٨٢
ميراث الأنبياء	١٨٢
تأثر الطبرسى بمذهب المعتزلة فى تفسيره	١٨٢
رؤية الله	١٨٣
روايته للأحاديث الموضوعة	١٨٣
موقفه من الإسرائيليات	١٨٣
التفسير الرمزى	١٨٣
الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) وموقفهم من تفسير القرآن الكريم	١٨٤
من تأويلات الباطنية القدامى	١٨٥
موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم	١٨٧
تمهيد : فى بيان انتشار الباطنية فى البلاد الآن وتعدد ألقابهم	١٨٧
البابية والبهائية	١٨٨
كلمة إجمالية عن نشأة البابية والبهائية	١٨٨
الصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامى	١٨٩
موقف البابية والبهائية من تفسير القرآن الكريم	١٩٠
إنتاج البابية والبهائية فى التفسير ، ومثل من تأويلاتهم الفاسدة	١٩٠
الخوارج وموقفهم من تفسير القرآن الكريم	١٩٢
مدى فهم الخوارج لنصوص القرآن	١٩٣
الإنتاج التفسيرى للخوارج	١٩٣
أسباب قلة الخوارج فى التفسير	١٩٤
الخلاصة	١٩٥
تحديد موضع الدرس	١٩٧
المراجع المساعدة	١٩٧
التعريف بالمصطلحات	١٩٧
تدريبات الوحدة الخامسة	١٩٩

الوحدة السادسة
تفسير الصوفية وتفسير الفقهاء

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٠١
الأهداف الخاصة	٢٠١
الرسم التوضيحى	٢٠٢
أولا : تفسير الصوفية	٢٠٣
التفسير الصوفى الفيضى أو الإشارى- حقيقته	٢٠٣
هل للتفسير الإشارى أصل شرعى	٢٠٣
التفاوت فى إدراك المعانى الباطنة وإصابتها	٢٠٦
التفسير الإشارى فى الميزان	٢٠٦
شروط قبول التفسير الإشارى	٢١٠
أهم كتب التفسير الإشارى	٢١١
تفسير القرآن العظيم للتسترى	٢١١

الموضوع	الصفحة
التعريف بمؤلف هذا التفسير	٢١١
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	٢١٢
التفسير المنسوب لابن عربى.....	٢١٣
من مؤلف هذا التفسير	٢١٣
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	٢١٤
ثانياً : تفسير الفقهاء	٢١٤
التفسير الفقهى فى مبدأ قيام المذاهب الفقهية	٢١٤
التفسير الفقهى بعد ظهور التقليد	٢١٥
الإنتاج التفسيرى للفقهاء	٢١٦
١- أحكام القرآن - للجصاص (الحنفى)	٢١٦
ترجمة المؤلف	٢١٦
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	٢١٧
استطراده لمسائل فقهية	٢١٧
تعصبه لمذهب الحنفية	٢١٧
حملة الجصاص على مخالفيه.....	٢١٨
تأثر الجصاص بمذهب المعتزلة	٢١٨
٢- أحكام القرآن - للكيا الهراسى (الشافعى).....	٢١٩
ترجمة المؤلف	٢١٩
التعريف بهذا التفسير ومبلغ تعصب صاحبه لمذهب الشافعى	٢١٩
تأدبه مع الأئمة وحملته على الجصاص	٢١٩
٣- أحكام القرآن - لابن العربى (المالكى).....	٢٢٠
ترجمة المؤلف	٢٢٠
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	٢٢٠
تفسير ابن العربى بين إنصافه واعتسافه	٢٢٠
احتكامه إلى اللغة	٢٢١
كراهته للإسرائيليات	٢٢١
نفرته من الأحاديث الضعيفة	٢٢١
٤- كنز العرفان فى فقه القرآن لمقداد السيورى (من الإمامية الإثنى عشرية).....	٢٢١
ترجمة المؤلف	٢٢١
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه	٢٢٢
الخلاصة	٢٢٣
تحديد موضع الدرس	٢٢٤
التعريف بالمصطلحات	٢٢٤
تدريبات الوحدة السادسة	٢٢٥
الوحدة السابعة التفسير وألوانه في العصر الحديث	
المقدمة	٢٢٧
الأهداف الخاصة	٢٢٧
الرسم التوضيحى	٢٢٨
اللون العلمى للتفسير فى عصرنا الحاضر	٢٢٩

الموضوع	الصفحة
أهم الكتب التى عنيت بهـذا اللون	٢٢٩
الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى	٢٣٠
غرض المؤلف من تفسيره	٢٣٠
مسالك المؤلف فى تفسيره	٢٣٠
طريقة المؤلف فى التفسير	٢٣١
نموذج من هذا التفسير	٢٣٣
إنكار بعض العلماء المعاصرين لهذا اللون من التفسير	٢٣٤
اللون الإلحادى للتفسير فى عصرنا الحاضر	٢٣٤
الباعث على هذا اللون من التفسير	٢٣٥
طريقته فى التفسير	٢٣٩
إنكاره لمعجزات الأنبياء عليهم السلام	٢٣٩
إنكاره للملائكة والجن والشياطين	٢٤٠
إنكاره لأحكام من الدين لم ينازع فيها أحد من المجتهدين	٢٤٠
اللون الأدبى الاجتماعى للتفسير فى عصرنا الحاضر	٢٤٢
مدرسة الإمام محمد عبده	٢٤٢
محاسن هذه المدرسة	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
عيوب هذه المدرسة	٢٤٣
أهم رجال هذه المدرسة	٢٤٤
السيد محمد رشيد رضا	٢٤٤
إنتاج الشيخ رشيد فى التفسير	٢٤٥
مصادره فى التفسير	٢٤٥
هدفه من التفسير	٢٤٦
منهجه فى التفسير	٢٤٦
آراؤه فى التفسير	٢٤٧
رأيه فى أصحاب الكبائر	٢٤٧
تذرعه بالمجاز والتشبيه	٢٤٧
رأيه فى السحر	٢٤٨
رأيه فى معجزات النبى	٢٤٩
حملته على بعض المفسرين	٢٤٩
حملته على البدع والخرافات	٢٤٩
شرحه لمبهمات القرآن بما جاء فى التوراة والإنجيل	٢٤٩
دفاعه عن الإسلام	٢٥٠
الخلاصة	٢٥١
تحديد موضع الدرس	٢٥٣
تدريبات الوحدة السابعة	٢٥٣
الفهرس	٢٥٥